



الأمير المؤمنين

مسلم بن عقیل

وقائع السفارة

الجزء الثاني

وقائع دخول الكوفة

تأليف

الشيخ علي الشيرازي

المطبعة الكوفة



المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

المجموعة الكاملة

🕌 السيد علي جمال أشرف الحسيني

أشرف الحسيني ، سيد علي

العنوان : المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام ، وقائع السفارة - المجموعة الكاملة ج ٢

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

مشهد : إعتقاد ما ، قم : مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التخصصية

٦٠٨ ص . الطبعة الأولى . ١٤٣٦ ق = ١٣٩٤ ش = ٢٠١٥ م ٨ أجزاء . المجلد الثاني .

طبعت المجموعة كأجزاء متفرقة من سنة ١٤٣٠ إلى سنة ١٤٣٥ هـ ق .

ISBN : ٧-٣٣-٧٧١٢-٦٠٠-٩٧٨ ج ١ : ISBN : ٠-٢٩-٧٧١٢-٦٠٠-٩٧٨ دورة : ISBN :

ج ١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير - قصة التطير . ج ٢ . وقائع دخول الكوفة .

ج ٣ . قصة معقل - قصة محاولة اغتيال ابن زياد . ج ٤ . معركة القصر .

ج ٥ . بين المسجد الأعظم ودار طوعة - الحرب الأخيرة . ج ٦ . وقائع الشهادة .

ج ٧ . ناصرة سفير الحسين عليه السلام - الخاتمة (مختصر في وقائع السفارة) .

ج ٨ . أولاد المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

الفهرسة طبق نظام فيفا . المصادر بالهامش .

١ . مسلم بن عقيل عليه السلام ، ٦٠ هـ ق ٢ . واقعة كربلاء ٦١ هـ ق

٣ . الحسين بن علي عليه السلام ، الإمام الثالث ، ٤ - ٦١ هـ ق - الأصحاب

الإيداع في المكتبة الوطنية :

٣٨٨١٧٤٥ • ٢٩٧ / ٩٥٣٧ • Bp ٥٢ ح ٥ م / ٤٢ / ٤

الطبعة : الأولى ، ذوالحجة ١٤٣٦ هـ ق

المطبعة : ذاكر

الكمية : ٥٠٠ نسخة

مركز التوزيع :

قم : شارع چهارمردان ، فرع ٦ رقم ١٥٣ +٩٨ ٩٣٦٩٨٩٤٤٧٢

مشهد : تقاطع شهداء ، شارع بهجت ، نشر إعتقاد ما (رستگار) +٩٨ ٩٣٥٢٢٢٤٦٢٩

تهران : سوق السلطاني ، رقم ٩٩ ، دار الكتب الإسلامية +٩٨ ٢١٥٥٦٢٧٤٤٩

البريد الالكتروني للمؤلف : saliashraf@hotmail.com



مكتبة الإمام الحسين عليه السلام التعميمية
للنشر والتوزيع

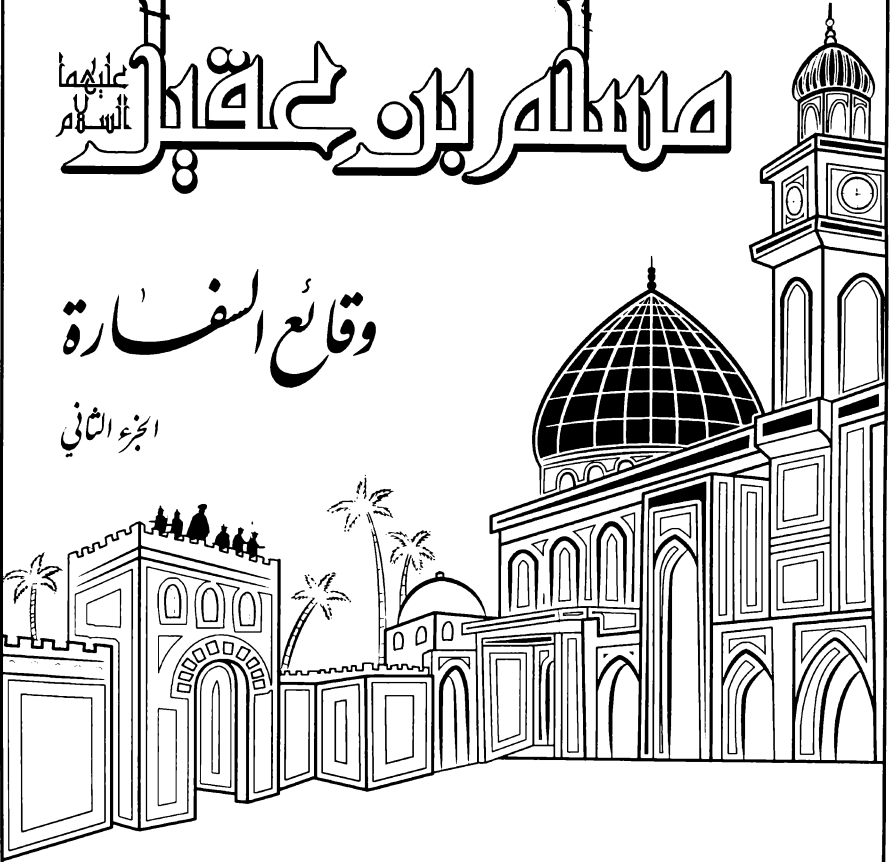
ketabashura@hotmail.com



مسلم بن عقیل

وقائع السفارة

الجزء الثاني



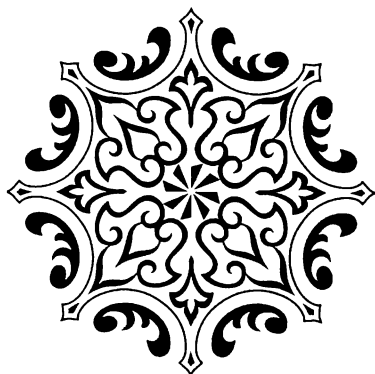
• مسلم بن عقیل عليه السلام وقائع ودخول الكوفة

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

• الفهرس الإجمالي

• مسلم بن عقيل عليه السلام وقائع دخول الكوفة •

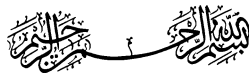
٧	المقدمة عليه السلام
١١	رفقاؤه عليه السلام
٣٣	تاريخ الوصول إلى الكوفة
٣٧	كيف دخل؟
٤٧	أين نزل؟
٥٧	التحول من دار إلى دار
١١٣	وقت دخول المولى الغريب عليه السلام دارهاني
١١٧	كتاب سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة
١١٩	إشارة إلى كتب القوم ورسلمهم
١٢٩	حامل الكتاب
١٣٣	متن الكتاب
١٤٧	مضامين الكتاب
١٧٩	أين قرأ كتاب سيد الشهداء عليه السلام ؟
١٨١	من الذي قرأ الكتاب؟
١٨٥	هل كان محل منزله سرّياً مخفياً؟! ..
١٩١	أصناف من اختلف إلى المولى الغريب عليه السلام
١٩٧	قراءة الكتاب على الناس وردود أفعالهم
٢٤٥	موقف البشير بن النعمان
٢٩١	مواقف النعمان في الكوفة
٤٦٩	دخول ابن زياد الكوفة



مسلم بن عقيل عليه السلام

دخول الكوفة

المقدمة



الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين، واللعن
الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين..
اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وأخرتابع له على
ذلك، اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت
وتابعت على قتله، اللهم العنهم جميعاً..
والعن اللهم عبيد الله بن زياد وجميع من شايع وبايع وجاهد وقتل
وقتل مولانا الغريب سفير الحسين وأخيه مسلم بن عقيل عليه السلام.
أما بعد:

لقد تناولنا فيما سبق ^(١):

نصوص الدعوة أي دعوة الإمام سيّد الشهداء لمسلم بن عقيل عليه السلام ليرسله إلى الكوفة، وحددنا من خلالها مهمّة المولى الغريب عليه السلام وعرفنا أنّه كان سفيراً وليس ثائراً.

ثم ناقشنا قصّة التطيّر واستعرضنا خلالها أحداث الرحلة من مكّة إلى حيث زعم المؤرّخ وقوع التطيّر.

ثم ناقشنا قصّة معقل وقصّة محاولة اغتيال ابن زياد.. وما تلاها من الأحداث تباعاً حتّى الشهادة والصلب وبعث الرأس المقدّس إلى الشام ^(٢)..

ونريد هنا دراسة فترة دخول المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة وما بعدها...

(١) شاء الله أن يكون هذا البحث هو آخر ما نتناوله من الفترة التي تشرّفت فيها الكوفة بأقدام المولى الغريب عليه السلام وهو يقوم بمهمّة السفارة، وأشرقت صفحات أيامها بشعاع نور وجهه الوضّاء، وكان المفروض أن يتقدّم هذا البحث، ولهذا قد نضطرّ للإرجاع والإشارة التي تنقلنا إلى بحوث ستأتي إن شاء الله في هذه المجموعة تباعاً باعتبار أنّها طبعت فيما سبق على حدة قبل صدور هذا البحث..

(٢) طبّعت هذه البحوث بشكل مستقلّ وستأتي ضمن هذه المجموعة تباعاً إن شاء الله تعالى.

وقد عرفنا أنّ سيّد الشهداء عليه السلام دعا ابن عمّه وثقته ومعتمده مسلم بن عقيل عليه السلام وبعثه إلى الكوفة، بتفاصيل سمعناها في حديثنا عن «مسلم بن عقيل، ثائر أمّ سفير»، فخرج المولى الغريب عليه السلام ميمّماً الكوفة، قاصداً الشهادة بعد أداء المهمّة على أكمل وجه..

وسوف نرافقه في هذه الرحلة لتتعرّف إلى رفقائه في السفر ومجريات الأحداث منذ وصول الكوفة ونزوله عند أوثق أهلها، وتحوّله من دار إلى دار إلى حين استقراره في بيت شيخ الكوفة وشهيدها هاني بن عروة، ومباشرة المولى الغريب عليه السلام مهامّه بقراءة كتاب سيّد الشهداء عليه السلام ومعرفة مضامينه، وردود أفعال الناس عموماً والشيعّة خصوصاً، وموقف النعمان بن بشير ودخول ابن الأئمة الفاجرة ابن زياد إلى الكوفة وما تلى ذلك من أحداث إلى حين خروج الجرو المسعور إلى المسجد الأعظم ليخطب الناس...

رفقاؤه عليه السلام

يبدو من متابعة النصوص في المصادر أنَّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام لم يخرج من مكّة وحده، حيث انفصل عن الركب الحسيني المقيم يومها في البلد الحرام، ثمّ استأجر دليلين اثنين من المدينة فاصطحبهما معه إلى الكوفة، فماتا في الطريق..

بل خرج من مكّة في جماعة نحاول التعرّف إليهم من خلال ما ورد في المتون التاريخية:

المتون:

قال البلاذري:

«ودعا مسلماً فوجّهه مع قيس بن مسهر وعمار بن عبد [كذا]

وعبد الرحمن بن عبد الله بن ذي الكدر» ^(١)..

وقال الدينوري في خضم حديثه عن الدليلين ومجريات الأحداث في الطريق إلى الكوفة:

«ونجا مسلم ومن معه من خدمه بحشاشة الأنفس حتى أفضوا إلى الطريق» ^(٢)..

وقال الطبري:

«فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيدائي إلى حسين» ^(٣)..!

ثم ذكر جواب الكتاب من سيد الشهداء إلى المولى الغريب عليه السلام.

وقال الطبري:

«ثم دعا مسلم بن عقيل فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيدائي، وعمارة بن عبيد السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي» ^(٤)..

وقال ابن حبان:

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٣٧٠.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٥٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٤.

«فخرج مسلم بن عقيل من المدينة معه قيس بن مسهر الصيداوي»^(١)..

وقال الشيخ المفيد، والفتال والطبرسي وغيرهم:

«ودعا الحسين ﷺ مسلم بن عقيل، فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن ابن عبد الله الأرحبي»^(٢)...

وفي مقتل أبي مخنف (المشهور):

«ثمّ دعا بمسلم بن عقيل ووجّه معه قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي»^(٣)..

وقال الشبلنجي:

«وأرسل مسلم بن عقيل إليهم صحبة قاصديهم»^(٤)..

وقال ابن الصبّاغ:

«فكتب جوابهم صحبته القاصدين، وسيرّ معهم ابن عمّه

(١) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٧، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، اعلام الوري

للطبرسي: ٢٢٣، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٥، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٤.

(٣) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ١٩.

(٤) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦.

مسلم بن عقيل» (١).

وقال السماوي:

«وسرّح مع مسلم، قيس بن مسهر وعبد الرحمن بن عبد الله
وجملة من الرسل منهم عمارة بن عبد الله» (٢) ..

الرسل الذين وافوا سيّد الشهداء عليه السلام في مكّة

يستفاد من مجمل النصوص المذكورة أنّ المولى الغريب عليه السلام لم يخرج
من مكّة وحده، بل خرج مع جماعة صرّحت النصوص بالآئفة ببعض
الأسماء، وأشارت بعضها إلى عناوين عامّة، كقول الدينوري: «خدمه»،
وقول الشبلنجي: «صحبة قاصديهم»، وقول السماوي: «جملة من
الرسل» ..

ولهذا سنتناول باختصار أسماء السفراء والقاصدين الذين أرسلهم
أهل الكوفة إلى سيّد الشهداء عليه السلام، لعلنا نمسح صفحات التاريخ
لتحديد عددهم المصرّح بأسمائهم، فإنّ ذلك يفيدنا في تشخيص رفقاء
المولى الغريب عليه السلام في طريقه إلى الكوفة.

صرّحت المصادر المتوفّرة لدينا بأسماء جملة من الرسل الذين وفدوا

(١) الفصول المهمّة لابن الصّبّاغ: ١٨٤.

(٢) إِبصار العين للسماوي: ٥.

على سيد الشهداء ﷺ وهو في مكة من قبل أهل الكوفة جماعات وأحاداً، ويمكن فهرستهم بما يلي^(١):

الأول: عبد الله بن سبيع (سبع) الهمداني

عبد الله بن سبيع الهمداني: ذكره البلاذري^(٢)، الخوارزمي^(٣)، المقتل

لأبي مخنف (المشهور)^(٤).

عبيد الله بن سبيع الهمداني: ذكره الدينوري^(٥).

عبد الله بن سبع الهمداني: ذكره الطبري^(٦)، ابن أعثم^(٧)، ابن الأثير^(٨)،

(١) التقدّم والتأخّر في ذكر الأسماء لا يخضع لأسباب خاصّة، بل هو تابع لمواضع تتبّعنا وحصّرنّا لهم في المصادر أو تشابه الأسماء فذكرنا ما تشابه منها متتاليّاً ليسهل التتبّع.

(٢) جمل من أنساب الأشراف: ٣ / ٤٢٢.

(٣) مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ / ١٩٤.

(٤) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ١٧ (السبيع).

(٥) الأخبار الطوال الدينوري: ٢٣١.

(٦) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥١.

(٧) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٦.

(٨) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٦.

النويري^(١)، سبط ابن الجوزي^(٢)، ابن كثير^(٣)، ابن خلدون^(٤)، ابن الصبّاغ^(٥).

يلاحظ أنّ احتمال التصحيف بين هذه الأسماء يكاد يورث الاطمئنان، «عبيد» و«عبد» و«سبع» و«سبع». والسبع في أصل اللغة اسم السبع الذي هو واحد من سبعة سَمَّى به الرجل، والنسبة إلى السبع سبعي، بفتح الباء وحذف الياء^(٦). فتكون - بناءً على قوّة هذا الاحتمال - هذه الأسماء لمسمّى واحد.

الثاني: عبد الله بن مسمع

عبد الله بن مسمع البكري: ذكره ابن أعثم^(٧)، الخوارزمي^(٨)، ابن شهر آشوب^(٩).

(١) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٥.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥١.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢١.

(٥) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤.

(٦) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي: ٦٥.

(٧) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٦.

(٨) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٤.

(٩) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٤٥.

عبد الله بن مسمع الهمداني: ذكره المفيد، الفتال (١) وغيرهما.

هذان الاسمان فيهما احتمالان:

أحدهما: أن يكونا لمسمّى واحد لاتّحاد الاسم، واحتمال الاشتباه بالنسبة، أو أنّ «بني بكر» بطن من بطون همدان.

الثاني: احتمال أن يكون متّحداً مع عبد الله بن سبيع أو سبع الهمداني لاحتمال التصحيف بين «سبيع» و«مسمع»..

الثالث: عبيد الله بن مسلم الهمداني

ذكره ابن شهر آشوب^(٢)، يحتمل فيه التصحيف «عبيد الله» و«عبد الله» و«مسمع» «مسلم»، فيكون واحداً مع الثاني.

ويحتمل أن يكون متّحداً مع الأول إذ أنّ ابن شهر آشوب ينقل عن ابن أعثم والخوارزمي فيما ظهر لنا عند تتبّع متن كتابه في مقتل سيّد الشهداء ﷺ في الجزء العاشر من المناقب حسب تصنيف النسخة التي حقّقناها.

وفي الفتوح: «عبد الله بن سبع الهمداني» وفي مقتل الخوارزمي: «عبد الله بن سبيع الهمداني»، فيكون واحداً، ويحتمل التصحيف بين

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٤، روضة الواعظين للفتال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٤٤ /

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٤٥.

«مسلم» و«سبيع» أو «سبع».

الرابع: عبد الله بن وال

عبد الله بن وال: ذكره ابن الأثير^(١)، سبط ابن الجوزي^(٢)، ابن كثير^(٣)، ابن خلدون^(٤).

عبد الله بن وال التيمي: ذكره البلاذري^(٥)، الخوارزمي^(٦).

عبد الله بن وال التيمي: ذكره ابن أعمش^(٧).

عبد الله بن وائل: ذكره النويري^(٨).

عبد الله بن والي: ذكره ابن الصبّاغ^(٩).

يقوى احتمال التصحيف والاشتباه قوّة تورث الاطمئنان تقريباً بين

«وال» «وائل» «والي»، وكذا بين «التيمي» «التيمي».

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٦.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥١.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢١.

(٥) جمل من أنساب الأشراف: ٣ / ٤٢٢.

(٦) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٤.

(٧) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٤٦.

(٨) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٥.

(٩) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤.

الخامس: عبد الله بن وداك السلمي

ذكره الدينوري^(١)، أفردنا هذا الاسم رغم احتمال التصحيف بين «وال» «وداك» و«السلمي» «التمي» ...

السادس: أبو عبد الله الجدلي:

ذكره أبو الفرج^(٢).

يبدو من عبارة أبي الفرج أنَّ أبا عبد الله الجدلي هذا ليس من حملة الكتب والقاصدين السفراء، إذ يقول: «وفد إليه وفد منهم، عليهم أبو عبد الله الجدلي»، فهو قادم على رأس وفد، وغاية ما يمكن أن تفيد العبارة أنه وافد دعوة، وليس رسولاً ولا حامل رسالة، وإن كان لابدَ فربما حمل رسالة شفويّة، وهو بعيد، والله العالم.

السابع: قيس بن مسهر الصيداوي:

ذكره البلاذري^(٣) الطبري^(٤)، ابن أعثم^(٥)، المفيد، الفَتّال^(٦)،

(١) الأخبار الطوال الدينوري: ٢٣١.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

(٣) جمل من أنساب الأشراف: ٣ / ٤٢٢. قال: «من بني أسد».

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥١.

(٥) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٦.

(٦) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٤، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٣.

الخوارزمي^(١)، ابن شهر آشوب^(٢)، سبط ابن الجوزي^(٣)، ابن كثير^(٤).

مسهر الأنصاري: ذكره المقتل لأبي مخنف (المشهور)^(٥).

بشر بن مسهر الصيداوي: ذكره الدينوري^(٦).

اتفقت المصادر على «قيس بن مسهر الصيداوي»، وتفرد الدينوري

بذكره بلفظ «بشر»، وورد في المقتل لأبي مخنف المشهور بلفظ «مسهر

الأنصاري»، ويبدو احتمال السقط والتصحيف والاشتباه راجعاً بلا تردد.

الثامن: عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي:

ذكره ابن أعثم^(٧)، المفيد^(٨)، الفتال^(٩)، ابن شهر آشوب^(١٠)، سبط

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٤٥.

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥١.

(٥) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ١٧.

(٦) الأخبار الطوال الدينوري: ٢٣١.

(٧) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٦.

(٨) في الإرشاد ط علمية: «عبد الله وعبد الرحمن ابنا شداد الأرحبي» عن

موسوعة الإمام الحسين عليه السلام: ١ / ٣٨٤.

(٩) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٤، روضة الواعظين للفتال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٣.

(١٠) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٤٥.

ابن الجوزي^(١).

عبد الرحمن بن عبيد الأرحبي: ذكره الدينوري^(٢).

عبد الرحمن بن عبد الله بن الكدر الأرحبي: ذكره البلاذري^(٣).

عبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي: ذكره الطبري^(٤).

عبد الرحمن بن عبد الله بن الكوا الأرحبي: ذكره ابن كثير^(٥).

عبد الله بن عبد الرحمن الأرحبي: ذكره الخوارزمي^(٦).

اتَّفقت المصادر على النسبة «الأرحبي»، واتَّفقت على «عبد الرحمن»، و«عبد الله» عدا الدينوري الذي ذكره بلفظ «عبيد»، وتفرّد الخوارزمي بتقديم عبد الله على عبد الرحمن.

واختلف من ذكر الاسم الثالث بين ثلاث ألفاظ «الكدر» «الكدن» «الكوا»، واحتمال التصحيف والسهو والاشتباه فيها راجح بوضوح.

(١) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

(٢) الأخبار الطوال الدينوري: ٢٣١.

(٣) جمل من أنساب الأشراف: ٣ / ٤٢٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥١.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥١.

(٦) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٤.

التاسع: عمارة بن عبد الله السلولي:

ذكره المفيد، القتال^(١)، سبط ابن الجوزي^(٢)، ابن كثير^(٣).

عامر بن عبيد السلولي: ذكره الخوارزمي^(٤).

عمارة بن عبد السلولي: ذكره البلاذري^(٥).

عمارة بن عبيد السلولي: ذكره الطبري^(٦)، ابن أعمش^(٧).

اتَّفقت المصادر على النسبة «السلولي»، وعلى الاسم الأول «عمارة» إلا ما تفرّد به الخوارزمي واحتمال التصحيف والاشتباه راجح جداً.

واختلفوا في اسم الأب «عبيد» «عبد» «عبد الله» واحتمال السقط والتصحيف وارد بقوة.

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٤، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٣.

(٢) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥١.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٤.

(٥) جمل من أنساب الأشراف: ٣ / ٤٢٢.

(٦) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥١.

(٧) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٤٦.

العاشن: هاني بن هاني السبيعي:

ذكره البلاذري ^(١)، الدينوري ^(٢)، يعقوبي ^(٣)، الطبري ^(٤)، ابن أعثم ^(٥)، المفيد، القتال ^(٦)، الخوارزمي ^(٧)، ابن شهرآشوب ^(٨)، ابن نما ^(٩)، سبط ابن الجوزي ^(١٠)، ابن طاووس ^(١١)، ابن كثير ^(١٢)، المقتل لأبي مخنف (المشهور) ^(١٣).

اتفقوا على الاسم ولا كلام فيه.

-
- (١) جمل من أنساب الأشراف: ٣ / ٤٢٢.
 - (٢) الأخبار الطوال الدينوري: ٢٣١.
 - (٣) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٥١. قال: هاني بن هاني من دون ذكر النسبة.
 - (٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥١.
 - (٥) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٦.
 - (٦) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٤، روضة الواعظين للفتال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٣.
 - (٧) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٤.
 - (٨) المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ١٤٥.
 - (٩) مثير الأحزان لابن نما: ١١.
 - (١٠) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.
 - (١١) اللهوف لابن طاووس: ٣٣.
 - (١٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥١.
 - (١٣) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ١٧ (هاني بن هاني).

الحادي عشر: سعيد بن عبد الله الحنفي:

ذكره البلاذري^(١)، اليعقوبي^(٢)، الطبري^(٣)، ابن أعثم^(٤)، المفيد،
الفتال^(٥)، الخوارزمي^(٦)، ابن شهر آشوب^(٧)، ابن نما^(٨)، سبط ابن
الجوزي^(٩)، ابن طاووس^(١٠)، ابن كثير^(١١)، المقتل لأبي مخنف
(المشهور)^(١٢).

سعيد بن عبد الله الحنعمي: ذكره الدينوري^(١٣).

(١) جمل من أنساب الأشراف: ٣ / ٤٢٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥١.

(٤) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٦.

(٥) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٤، روضة الواعظين للفتال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٤٤ /

٣٣٣.

(٦) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٤.

(٧) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٤٥.

(٨) مثير الأحزان لابن نما: ١١.

(٩) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٩.

(١٠) اللهوف لابن طاووس: ٣٣.

(١١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥١.

(١٢) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ١٧.

(١٣) الأخبار الطوال الدينوري: ٢٣١.

سعيد بن عبد الله الثقي: ذكره الدينوري^(١).

في هؤلاء الثلاثة اتفاق على الاسم واسم الأب والاختلاف في النسبة «الحنفي» «الخنعمي» «الثقي»، واحتمال التصحيف وارد بقوة.

الثاني عشر: عمر بن نافذ التميمي:

تفرد بذكره في المقتل لأبي مخنف (المشهور)^(٢).

جمع الأسماء

لو أردنا أن نأخذ باحتمالات التصحيف والسقوط وما شاكل، لقوّتها ومساعدة الشواهد عليها، كما نأخذ بما تفرد به في المقتل المشهور لأبي مخنف، يكون مجموع الرسل الذين وردت أسماءهم اثنا عشر بما فيهم أبو عبد الله الجدلي وعبيد الله بن وداك السلمي.

أعداد عامّة

وردت عبارات عامّة في المتون التاريخية بعد ذكر بعض الرسل بأسمائهم تفيد أن ثمة رسلاً آخرين غير هؤلاء المذكورين بالأسماء، كقولهم: «ثم أرسلوا إليه رسلاً ثالثاً^(٣)»، وقول ابن خلدون: «ثم كتبوا

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

(٢) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ١٧.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٦، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٥.

إليه ثانياً.. ثم ثالثاً^(١)»، وقول ابن الصبّاغ: «وكتاب واحد عام على لسان الجميع كتبوه وأرسلوه مع القاصدين^(٢)»، وقول الدينوري: «فتتابعت عليه في أيام رسل أهل الكوفة من الكتب ما ملأ منه خرجين^(٣)»..

وقول ابن أعثم: «ومعهم جماعة نحو خمسين ومائة، [أي مع الرسل الذين ذكرهم] كل كتاب من رجلين وثلاثة وأربعة»^(٤)..

وربما قصد ابن أعثم ما صرح به المفيد والفتال وغيرهما: «وأنفذوا قيس بن مسهر... ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والإثنين والأربعة»^(٥) فجاءت عبارته بما يفيد تعدد الرسل، والله العالم. وقول أبي الفرج: «لما بلغ أهل الكوفة نزول الحسين عليه السلام مكة وأنه لم يبائع ليزيد، وفد إليه وفد منهم عليهم أبو عبد الله الجدلي»^(٦).

وهذه العبارات تشير إلى وجود رسل آخرين غير من ذكرت أسماءهم لأنهم في الغالب رَوَوْا أخبار الرسل المنصوصين ثم تحدّثوا بالعموم.

(١) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢١.

(٢) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

(٤) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٦.

(٥) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٤، روضة الواعظين للفتال: ١٤٧، بحار الأنوار: ٤٤ /

(٦) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

النتيجة

تبين مما مرَّ أنَّ ثلاث مجاميع يمكن أن تكون قد خرجت مع المولى الغريب عليه السلام:

المجموعة الأولى: المؤكّدة

تبين لنا ممّا سمعنا قبل قليل أنَّ بعض المرافقين للمولى الغريب عليه السلام قد نصّت عليهم المصادر، وهم ثلاثة:

قيس بن مسهر الصيداوي
عمارة بن عبد الله السلولي
عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي

وقد ذكرت أسماءهم أيضاً ضمن الرسل الذين قدموا على سيّد الشهداء عليه السلام، فهؤلاء الثلاثة يكاد القارئ للتاريخ يطمئن ولا يتردّد في صحبتهم للمولى الغريب عليه السلام في سفره المبارك إلى الكوفة لأداء المهمّة

المشرف بها من قبل خامس أصحاب الكساء عليه السلام.

المجموعة الثانية: الخدم

ذكر الدينوري وهو يتحدث عن قصة التطير المشؤومة ^(١) قال: «ونجا مسلم ومَن معه من خدمه بحشاشة الأنفس حتى أفضوا إلى الطريق» ^(٢)..

وقد أفاد بقوله: «ومَن معه من خدمه» أنَّ ثمة جماعة من الخدم كانوا يرافقون المولى الغريب عليه السلام، والعبارة كما يلاحظ من سياقها أنها تفيد أكثر من خادم، وقد استخدم لفظ الجمع «خدمه».

وهذه الإفادة ربما تفرد بها الدينوري إذ لم نجد لها - حسب فحصنا - أثراً عند غيره بيد أنها مقبولة يشهد لها حال المولى الغريب عليه السلام، إذ أنَّ عظيمًا مبعلاً مكرماً شريفاً باذخ الشرف يلزم أن يكون معه في السفر مطلقاً - سيماً إذا كان مثل هذا السفر الخاص -، جملة من الخدم والمماليك والحشم يخدمونه في الطريق ويقومون على حاجاته الخاصة والعامة بمقتضيات الكيان الاجتماعي والمقام والوجاهة..

(١) أتينا على مناقشتها فيما مضى.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢.

المجموعة الثالثة: العدد العام

إنّما عبّرنا عن هذه المجموعة بالعدد العام باعتبار أنّه استفادة من
عمومات النصوص التاريخية من قبيل «صحة قاصديهم» وغيرها ممّا
سمّعه قبل قليل.

فإذا تمّت الاستفادة من التعابير المذكورة أنّ جملة الرسل قد خرجوا
معه، فيكون المجموع الخارج معه - بالقدر المتيقّن - يتجاوز العشرة بما
فيهم الخدم.

تنبيهان

يمكن الإشارة هنا إلى تنبيهين على عجل:

التنبيه الأول: تكذيب التطير

هذه النتيجة نفسها سواء كانت بالقدر المتيقن أو بالعدد المحتمل، شاهد يرقى إلى دليل ناهض لتكذيب قصّة التطير المزعومة، فهو لم يكن وحده مع دليلين فقط، وإنما كان مع ثلّة فيهم ثلاثة كانوا قد جابوا الصحراء وتنقلوا بين الكوفة ومكّة والمدينة من قبل وقد حملوا الرسائل من وإلى الإمام الحسين عليه السلام وسفيره مسلم عليه السلام.

التنبيه الثاني: تأكيد مهمّة السفارة

يمكن الإفادة من هذا العدد أيضاً إفادة أخرى، تصلح أن تكون شاهداً على انحصار مهمّة المولى الغريب عليه السلام بالسفارة، إذ لو كان

قاصداً إلى الكوفة بنية «الثورة» والاستيلاء على الحكم وطرده ولاة القروء الأموية ودحرها والقضاء عليها تمهيداً لإسقاط الحكم في الشام^(١)، لما خرج بهذا العدد القليل الفاقد للعدّة، ولما دخل الكوفة دخولاً هادئاً عادياً، ولما سار طول الطريق من دون أن يدعو أيّ أحد إلى نصرته والإعلان عن ثورته ...

(١) انظر: مع الركب الحسيني: ٢ / ٤٥. وقد أتينا على مناقشة ذلك بالتفصيل في بحث «ثأراًم سفير».

تاريخ الوصول إلى الكوفة

قال المسعودي:

«قدم الكوفة لخمس خلون من شوال»^(١)..

وكذا في مستدرك سفينة البحار للنمازي^(٢)، والسيد بحر العلوم في

المقتل^(٣).

وكان قد خرج من مكة في النصف من شهر رمضان^(٤)، فتكون

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤.

(٢) مستدرك سفينة البحار للنمازي: ٥ / ٢١٤.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٧.

(٤) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤، نفس المهموم للقمي: ٨٢، مقتل

الحسين عليه السلام للمقرم: ١٦٦، مقتل الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ٢١٦، العبرات

للمحمودي: ١ / ٢٩٦، معالي السبطين للمازندراني: ١ / ٢٢٩.

مدّة رحلته من مكّة إلى الكوفة عشرين يوماً، وهي المدّة المعهودة للمُجدّد.

بيد أن ابن خلدون ذكر تاريخاً آخر فقال: «فدخل الكوفة أوّل ذي الحجة من سنة ستين»^(١).. وهو لا ينسجم مع سير الأحداث ولا تؤكّده المصادر فلا يعتنى به.

ساعة الدخول

لم نجد - حسب الفحص - في المصادر القديمة تصريحاً بتحديد وقت تشرف الكوفة بأقدام المولى الغريب عليه السلام ليلاً أو نهاراً، بيد أنّ تصريح مثل ابن سعد القاضي بدخوله مستخفياً ربما أشعر بالوقت الذي نصّ عليه الطريحي، قال: «فدخلها ليلاً»^(٢) والمقتل لأبي مخنف (المشهور): «وسار حتّى وصل الكوفة فنزل ليلاً»^(٣).. والدربندي: «قال أبو مخنف: حتّى دخل الكوفة ليلاً»^(٤)..

فإنّ الليل ستيروالناس في البيوت هاجعون، والظلام مخيم على الأجواء، والشوارع فارغة من المارّة عادة إلّا ما يجوبها من حشرات

(١) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٣) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ٢٠.

(٤) أسرار الشهادة للدربندي: ٢١٨.

السلطان وقوات الشرطة.. فسور ابن سعد دخول المولى الغريب بقوله:
«مستخفياً» ليعبر عن دخوله ليلاً بالاستخفاء، وهو في الحقيقة ليس
استخفاءً، وإنما قد وصل في وقتٍ والناس نيام فلم يشعر به أحد إلا
المنتظرون ومن قد بلغوا بذلك من الخاصة لأيّ غرض كان.. كأن يكون
ممن سينزل عندهم..

كيف دخل؟

يحاول بعض المؤرخين أن ينفث سمّه، ويرشّ في عيون القارئ رماد نيران حقه، فكلّ يختار الموقع الذي يراه مناسباً، ويغتنم الغرة التي تمكنه من دخول الأذهان على حين غفلة، وقد شأؤوا أن يصوّروا حركة المولى الغريب عليه السلام في الكوفة محاطة بالسريّة ومقارنة للخوف والتوجّس والترقب، وأنها ردود فعل دائماً وهروب متكرّر واختفاء متواصل من عيون الوالي الحاكم، إن كان النعمان أو عبّيد القروذ ابن زياد، خوفاً من الوقوع في فخّ السلطان وتطيّراً من عواقب المهمّة الموكولة، وتردّداً متراكماً في أداء كلّ خطوة من خطوات الحركة..

وقد صرّح ابن سعد وتبعه الذهبي، ولوّح الطبري - كما سنسمع بعد قليل - أنّ المولى الغريب عليه السلام دخل الكوفة مستخفياً.. وكأنّه يريد التسلّل إلى أزقة الكوفة، ليدلف إلى الدار خائفاً مترقباً متلذّداً لئلا يراه

أحد، ولا يحسّ به السلطان ولا ترصده عيون الشرطة..

ولاندرى لِمَ يدخل المولى الغريب ؑ هذا الدخول المريب؟ ولم يتستّر ويستخفي؟ وهو قادم على مهمّة واثق منها، مكلفاً من سيّد شباب أهل الجنّة وخامس أصحاب الكساء ؑ، متوكّلاً على الله، موعوداً بالشهادة.. وفي الكوفة من ينتظره متشوّقاً..

وقد دخل الكوفة ليلتي الناس ويختبرهم ويرى مدى صدقهم ومصادقيتهم في الوعود التي قطعوهم لسيّد الشهداء ؑ، فيتوثّق من بيعة من بايع، ويأخذ البيعة ممّن أراد البيعة للإمام الحسين ؑ، فهو لا يمكن أن يتستّر ويستخفي والحال هذه..

وكيف يستخفي ولا بدّ له من مباشرة مهمّة تستدعي اللقاء بالآلاف من الناس؟!

وممّن يخاف بطل الكوفة وفتى أبي طالب وغصن العترة الطيبة؟ ولم يخاف؟

وهل جاء إلى الكوفة إلّا لكي يلتقي الناس ويرى ما هم عليه فيخبر به سيّد الشهداء ؑ وإمام زمانه الذي شرفه بهذه المهمّة..

نعم، ربما يكون المقصود بالاستخفاء ما سيأتي بعد قليل من عدم الإعلان عن الوصول، وعدم التحشيد والتجيش وإثارة المجتمع الكوفي ودعوتهم لاستقباله..

وقد انفرد ابن سعد بهذا التصريح، أما المؤرخون الآخرون فلم يذكروا الاستخفاء ولم يشيروا إليه أي إشارة مهما كانت ضعيفة أو بعيدة، وسنسمع فيما يلي عباراتهم:

العبرة الأولى: لم يذكروا التخلي والاستتار

نستمع الآن إلى عبارات جماعة المؤرخين الذين لم يذكروا التخلي والاستتار، قال:

ابن سعد:

«فنزل بالكوفة على هاني بن عروة المرادي»^(١).

البلاذري:

«فأتى [مسلم] الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، واختلفت إليه الشيعة»^(٢).

ابن حبان:

«ودخل الكوفة، فلما نزلها دخل دار المختار بن أبي عبيد، واختلفت إليه الشيعة، يبايعونه أرسالاً»^(٣).

الدينوري:

(١) الطبقات لابن سعد: ٤ - ١ / ٢٩.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤.

(٣) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

«حتّى وافى الكوفة ونزل في الدار التي تعرف بدار المختار...
فكانت الشيعة تختلف إليه ... ففشا أمره بالكوفة»^(١).

اليعقوبي:

«فلما قدم مسلم الكوفة، اجتمعوا إليه»^(٢)..

الطبري، الشجري، المزي، ابن حجر، ابن بدران، ابن الجوزي:
«حتّى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له: ابن
عوسجة، قال: فلما تحدّث أهل الكوفة بمقدمه دبّوا إليه»^(٣)..

الطبري، ابن عساكر:

«نزل دار المختار»^(٤)..

الطبري، المفيد، الفتال، الطبرسي، المجلسي، البحراني، القمي،
واللفظ للأوّل:

«ثم أقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، فنزل دار المختار.. وأقبلت

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٥-٢١٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٧-٣٤٨، الأملّي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال
للمزي: ٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر:
١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٥، المنتظم لابن
الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٥٦٩، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٠ / ٢٢١.

الشيعة تختلف إليه»^(١)..

ابن أعثم قال:

«ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل ... وجعلت الشيعة

تختلف إلى دار مسلم»^(٢).

أبو الفرج:

«فقدم مسلم الكوفة وأتته الشيعة»^(٣)..

البلخي:

«فجاء حتى نزل على هاني بن عروة، واجتمع إليه خلق

كثير»^(٤)..

مسكويه:

«فسار مسلم إلى الكوفة، وبها النعمان بن بشير الأنصاري

أميراً من قبل يزيد، فلما تحدّث الناس بمقدمه، دبّوا إليه»^(٥).

ابن الأثير:

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٥، العوالم للبحراني: ١٧ /

١٨٥، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨ / ١٤٨، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٣.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦.

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

(٤) البدء والتاريخ للبلخي: ٢ / ٢٤٠.

(٥) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

«فسار مسلم حتى أتى الكوفة، ونزل في دار المختار.. وأقبلت الشيعة تختلف إليه» (١).

* * * * *

سمعت هؤلاء المؤرخين وقد تحدّثوا عن حدث دخول المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة دون الإشارة إلى التخفي..

العبارة الثانية: دخل مستخفياً!!

صرّح ابن سعد وعنه الذهبي وكذا في المختصر لابن عساكر: «أنّ المولى الغريب عليه السلام دخل الكوفة مستخفياً:

قالوا: فقدم مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة مستخفياً، وأتته الشيعة، فأخذ بيعتهم» (٢)..

وأشارت بعض المصادر - ولو تضيماً - إلى سرّيّة مكان نزوله، وهو يفيد الاستخفاء في الدخول أيضاً بنحو ما.
 قال الطبري:

«واختلفت الشيعة إليه حتى علم مكانه» (٣)..

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٥، سير أعلام النبلاء

للذهبي: ٣ / ٢٠١، المختصر لابن عساكر: ٢٧ / ٥٨

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥.

وقال القاضي النعمان:

«وكان مسلم بن عقيل عليه السلام قد بايع له جماعة من أهل الكوفة في استتارهم. وكان مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام - كما ذكرنا - قد قدم الكوفة، وبايع للحسين بن علي عليه السلام جماعة من أهلها» (١).

ابن حبيب:

«وكان مسلم بن عقيل بن أبي طالب مستخفياً عنده [هاني عليه السلام] حين وجّهه الحسين بن علي عليه السلام» (٢).

معنى التخفي!

يبدو أنهم عبّروا عن دخوله مستخفياً باعتباره لم يدخل دخولاً رسمياً حافلاً معلناً عنه مسبقاً بحيث يخرج الناس لاستقباله زرافات ووحداناً.

فهو قد دخل دخولاً غير معدّ له من قبل، ولا ضرورة للإعداد إذا عرفنا صلب المهمة التي قدم من أجلها.

وهذا الأمر طبيعي، لأنه لم يدخل الكوفة فاتحاً ولا محارباً ولا ثائراً، وإنما دخلها ومن معه دخولاً هادئاً متوجّهاً إلى المنزل المقرّر من قبل

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٣، ١٤٧.

(٢) المحبر لابن حبيب: ٤٨٠.

عنده لِيُباشِر فيما بعد مهمّته الخاصّة التي أتينا على تفصيلها في دراسة مستقلة.

وبعد أن دخل واستقرّ في الدار وطرح عنه وَعِشاء السفر دَبّ الخبر، فتسامع الناس، فاختلفوا إليه بالمئات، بل بالآلاف، ليؤكّدوا البيعة أو يبايعوا مِن جديد، وليس المقصود بالمستخفي: المتنكّر الذي يدخل خائفاً كما فعل ابن الأُمّة الفاجرة ابن زياد، حسب المتون التاريخية. ويشهد لذلك ما قاله المسعودي:

«فنزل على رجل يقال له: عوسجة مستتراً، فلمّا ذاع خبر قدومه» ^(١).

وقال مسكويه:

«فلما تحدّث الناس بمقدمه دبّوا إليه» ^(٢).

وقال سبط ابن الجوزي والذهبي، واللفظ للأوّل:

«ولما قدم مسلم الكوفة.. ودبّ إليه أهل الكوفة» ^(٣).

وقال ابن كثير:

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

(٣) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٧، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ /

«فتسامع أهل الكوفة بقدومه فجاءوا إليه»^(١)..

تفيد هذه النصوص وغيرها أنَّ المولى الغريب عليه السلام دخل الكوفة من دون تجييش إعلامي ولا ضجيج أو صخب أو جلبة ولم تتزاحم الرجال حوله، ثم ذاع خبر قدومه أو تحدّث الناس بمقدمه وتسامع أهل الكوفة فدبّوا إليه..

والظاهر من المتون التاريخية - بوضوح - أنَّ المولى الغريب مسلم ابن عقيل عليه السلام لم يخرج بجيش وعسكر وموكب رسمي تحفّقه الحراس والسيوف والحراّب و«السيّافة والترّاسة» بحيث يثير الانتباه لمن يلقاه في الطريق، وإنّما خرج بصحبة أفراد معدودين.

فلم يكن دخوله الكوفة مثيراً، إذ لا غرض له في ذلك..

هذا، ولم تكن ثمة ضرورة للسريّة، كيف وقد طار خبر تشرف الكوفة بأقدامه خلال فترة وجيزة جدّاً حتّى دبّوا إليه واختلفوا وتكاثرت أعداد المتشرّفين بلقائه والبيعة للإمام عليه السلام على يديه بالآلاف..

فلا يمكن حمل قول بعض المؤرّخين وتعبيرهم بالتخفي في وصف دخوله على الاستتار والتنكّر والخوف والمباغلة وغيرها من العناوين التي يمكن أن تسوّغ الاستخفاء.. سوى ما يمكن تفسيره بالمقابلة مع الإعلان والتحشيد والإعداد والتجييش وحشر الناس للاستقبال.. وهذا ما لا يرومه أهل البيت عليهم السلام وليس من أخلاقياتهم ولا آدابهم وما سمعنا بهذا في تاريخهم، بل ربما أفادت بعض كلماتهم خلاف ذلك تماماً..

ويؤكد ذلك ويشهد له بمتانة أنّ جماعة المؤرخين لم يذكروا الاستتار والاستخفاء ولم يشيروا إليه، وهم يروون مشاهد دخول المولى الغريب عليه السلام، سيّما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما ورد في مقتل المشهور لأبي مخنف والمتخب من دخوله ليلاً، ويكاد يكون ابن سعد يتفرّد بهذا التعبير في موضع ويتجنّب في موضع آخر، والذهبي إنّما يروي عنه.. وقد سمعت عبارات المؤرخين في رسم مشهد الدخول من دون الإشارة إلى الاستخفاء والتستر..

فهم آخر للاستخفاء

ربما فهم من قوله: «فقدم مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة مستخفياً، وأتته الشيعة، فأخذ بيعتهم^(١)..» أنّ الاستخفاء متعلّق بالقدوم، وأنّ حركته حتّى وصل إلى الكوفة طيلة فترة سفره كان مستخفياً. ويجب على ذلك أنّ ظاهر العبارة وسياق الحديث يفيد وصف دخوله عليه السلام لا مسيره من مكّة إلى الكوفة. ثم إنّّه لم يكن يحتاج للإعلان في سيره وسفره لأنّه لم يقصد سوى الكوفة لإنجاز المهمّة.. والتأمّل فيما مضى من حديثنا ينفي هذا الاحتمال لعدم حاجة المولى الغريب عليه السلام للاستخفاء في رحلته...

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٥، سير أعلام النبلاء

أين نزل؟

اختلفت النصوص أشدّ الاختلاف في تحديد محلّ نزول المولى
الغريب عليه السلام حتّى أنّ بعضها ذكر أكثر من مكان، أو ذكر مكاناً وعرج على
آخر ونسبه إلى «قيل»..
ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: نصوص لم تذكر محل نزوله

أغفلت بعض المصادر ذكر محل النزول عند الوصول إلى الكوفة،
منها:

قال ابن سعد، الذهبي، المختصر لابن عساكر:

«فقدم مسلم بن عقيل الكوفة مستخفياً، وأتته الشيعة، فأخذ
بيعتهم»^(١)..

اليعقوبي:

«فلما قدم مسلم الكوفة، اجتمعوا إليه»^(٢)...

أبو الفرج:

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٥، سير أعلام النبلاء

للذهبي: ٣ / ٢٠١، المختصر لابن عساكر: ٢٧ / ٥٨

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٥-٢١٦.

«فقدم مسلم الكوفة وأتته الشيعة» (١) ..

القاضي النعمان:

«وكان مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام - كما ذكرنا - قد قدم الكوفة، وباع للحسين بن علي عليه السلام جماعة من أهلها» (٢).

مسكويه:

«فسار مسلم إلى الكوفة، وبها النعمان بن بشير الأنصاري أميراً من قبل يزيد، فلما تحدث الناس بمقدمه، دبوا إليه» (٣) ...

فهؤلاء لم يحدّوا محلاً خاصاً نزل فيه المولى الغريب عليه السلام ساعة وصوله إلى الكوفة.. أمّا النصوص الأخرى فقد اختلفت في تحديد المحلّ، وسنستعرضها فيما يلي:

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٣، ١٤٧.

(٣) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

القسم الثاني: حددت موضعاً

حدّدت مصادر هذا القسم موضعاً لنزوله عند وردوه المبارك إلى الكوفة، بيد أنّها اختلفت في تحديد الموضع:

الموضع الأوّل: النزول عند هاني بن عروة

صرّح ابن سعد والبلاذري وهما من متقدّمي المؤرّخين، والبلخي أنّ المولى الغريب عليه السلام نزل بالكوفة على هاني بن عروة، قال ابن سعد: «فنزل بالكوفة على هاني بن عروة المرادي»^(١).

قد يقال: إنّما تجاهل هؤلاء المؤرّخون نزوله في أيّ دار قبل دار هاني باعتبار أنّ الأحداث المهمّة التي رسمت المواقف الحاسمة دارت في

(١) الطبقات لابن سعد: ٤ - ١ / ٢٩، انظر أيضاً: جمل من أنساب الأشراف

للبلاذري: ٣ / ٤٢٢. البدء والتاريخ للبلخي: ٢ / ٢٤٠.

الغالب في بيت هاني! وكان هو المحطة الأخيرة ومركز القيادة، فإليه بادرت الجموع ومنه انطلقت حسب تصويرهم..

ولم تكن الفترة التي تشرفت الكوفة بأقدام المولى الغريب عليه السلام طويلة، إذ أنه دخل في الخامس من شوال واستشهد في التاسع من ذي الحجة، فهي زهاء شهرين وأيام لا أكثر.. فيلزم أن يكون مقامه في غيره من الدور لفترات قصيرة لم يأخذها هؤلاء الثلاثة وغيرهم ممن تبعهم بالحسبان..

ويشهد له تعبير البلاذري في الجزء الثالث، إذ قال في سياق ذكر مقتل سيد الشهداء عليه السلام واختصار ما جرى على المولى الغريب عليه السلام:

«فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فنزل بالكوفة دار هاني بن عروة، فبعث إليه ابن زياد فأتى فضربه بقضيب كان معه، ثم أمر فكتف فضربت عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في ناس كثير»^(١)..

فذكر دار هاني باعتباره المحطة الأخيرة التي جرت الأحداث فيها، فيما يذكر في الجزء الثاني وهو يتحدث بالتفصيل عن حياة المولى الغريب عليه السلام، أنه أتى الكوفة فنزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي^(٢).. ثم يسرد الأحداث وبعد صفحتين تقريباً يقول:

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٤٢٢.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤.

«وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد الكوفة، فأقبل

حتى أتى دار هاني بن عروة بن نمران المرادي»^(١)..

بغض النظر عن مناقشة المتن، فإنّ ما نريده هنا أنّه ذكر الموضعين

في حديثه المفصّل، وتغافل عن الموضع الأوّل في حديثه المختضب

واكتفى بالموضع الثاني باعتباره مسرح الأحداث المهمّة..

وكذا فعل الذهبي قال:

«وكان الحسين قد قدّمه إلى الكوفة، ليخبر من بها من شيعة

بقدومه، فنزل على هاني بن عروة المرادي، فأحسّ به عبيد

الله بن زياد، فقتل مسلماً وهائناً»^(٢)..

وربما يجاب على ذلك: أنّ الإيجاز والاختصار له أدواته وطرق التعبير

فيه ينبغي أن لا تكون بشكل يتجاوز المعروف الذي يحتفظ بروح

الحدث، فلو كان يريد الاختصار والاقتضاب لاستخدم تعبيراً يفيد

حصول الحدث الأخير في المحطة الأخيرة كأن يقول مثلاً فقتل وكان

نازلاً عند فلان.. أمّا ما ذكرناه من عباراتهم فهي تفيد من خلال السياق

والتركيب أنّ النزول الأوّل والأخير حصل في دار هاني.

بيد أنّ من تعود أساليب المؤرّخين يعرف أنّهم لا يأبون عن التعبير

بالطريقة التي تروقهم متى شأوا وكيف شأوا..

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٥ / ٢١.

الموضع الثاني: النزول في دار المختار

ذهب جملة من المؤرخين، منهم البلاذري والدينوري والطبري وابن أعثم، ومن أخذ عنهم، من قبيل الشيخ المفيد والخوارزمي والطبرسي وغيرهم، إلى أن المولى الغريب عليه السلام نزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي عند نزوله الكوفة، وقد اختلف الناس إليه هناك، قال البلاذري: «فأتى [مسلم] الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، واختلفت إليه الشيعة»^(١).

وقال الدينوري:

«حتى وافى الكوفة ونزل في الدار التي تعرف بدار المختار بن أبي عبيد، ثم عرفت اليوم بدار المسيّب، فكانت الشيعة تختلف إليه، فيقرأ عليهم كتاب الحسين، ففشا أمره بالكوفة»^(٢).

وقال المفيد، والفتال وغيرهما:

«ثم أقبل حتى دخل الكوفة، فنزل في دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب، وأقبلت

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢-٢٣٣. انظر أيضاً: تاريخ الطبري: ٥ / ٥٦٩،

تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٠ / ٢٢١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦. الثقات لابن

حبان: ٢ / ٣٠٧. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧.

الشيعة تختلف إليه، فكلّمّا اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون، وبايعه الناس حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً. وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل رضي الله عنه حتّى علم بمكانه»^(١).

وقال ابن الأثير:

«فسار مسلم حتّى أتى الكوفة، ونزل في دار المختار، وقيل غيرها، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، وقيل غيرها»^(٢)!..
وسنسمع بعد قليل الاحتمالات التي يمكن المصير إليها، بعد أن نقرأ الأقوال الأخرى:

الموضع الثالث: النزول في دار ابن عوسجة

ذكرت بعض النصوص نزول المولى الغريب عليه السلام دار رجل يقال له: «عوسجة» كما قال المسعودي، و«ابن عوسجة» كما قال الطبري، الشجري، المرّي، ابن حجر، ابن بدران، ابن الجوزي:
«حتّى قدمها، ونزل على رجل من أهلها يقال له: ابن عوسجة، قال: فلمّا تحدّث أهل الكوفة بمقدمه دبّوا إليه»^(٣)..

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٥، العوالم للبحراني: ١٧ /

١٨٥، روضة الواعظين للفتّال: ١٤٨. إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٣.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٧-٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال

وقال المسعودي:

«فنزل على رجل يقال له: عوسجة مستتراً، فلما ذاع خبر قدومه، بايعه من أهل الكوفة» ^(١) ... ولا يبعد أن يكون سقط من متن المسعودي «ابن»، وفي بعض نسخه ورد «ابن» بين معقوفتين، فإمّا أن تكون مصحّحة من قبل المحقّق، أو إضافة من نسخة أخرى..

الموضع الرابع: سالم بن المسيّب

ذكر ابن شهرآشوب أنّ المولى الغريب عليه السلام سكن في دار سالم بن المسيّب، قال:

«فدخل مسلم الكوفة، فسكن في دار سالم بن المسيّب، فاختلف إليه الشيعة» ^(٢) ..

يبدو من النصوص الأخرى أنّ دار سالم بن المسيّب هذه هي نفس دار المختار، حيث عرفت فيما بعد بدار سالم، وقد ذكرنا النصوص قبل قليل، فلا نعيد.

للمزّي: ٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٥، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٤.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ١٧٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٣، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٢.

التحول من دار إلى دار

يمكن تصنيف النصوص التي تتحدث عن تحول المولى الغريب عليه السلام إلى دار هاني إلى عدة أصناف:

الصنف الأول: قبل قدوم ابن زياد

أفادت عبارات بعض المؤرخين من قبيل اليعقوبي والطبري وابن حبان أن تحول المولى الغريب عليه السلام من دار المختار إلى دار هاني كان قبل دخول ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة، وقد اختلفوا في الإشارة إلى الفترة التي سبقت دخول ابن زياد، فأفاد اليعقوبي أن الدعوى قدم والمولى الغريب عليه السلام قد نزل على هاني.

قال اليعقوبي:

«وقدم عبيد الله بن زياد الكوفة، وبها مسلم بن عقيل، قد

نزل على هاني بن عروة»^(١)..

وأفاد الطبري أنّ المولى الغريب عليه السلام كان قد نزل دار هاني، فأخبر عبيد القرود ابن زياد بذلك، وهو وإن لم يصرح بتقدّم المولى الغريب عليه السلام بالنزول ثمّة على دخول الدعي الكوفة، بيد أنّ في تعبيره ما يفيد ذلك..

قال الطبري:

«فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فقدم الكوفة، فنزل دار هاني ابن عروة، فاجتمع إليه الناس، فأخبر ابن زياد بذلك»^(٢)..

فيما تأخّر ابن الأئمة الفاجرة حسب نصّ ابن حبان في دخوله الكوفة إلى فترة ليست بالقصيرة، إذ افترض أنّ عدداً ضخماً بايع المولى الغريب عليه السلام في دار هاني، فرفع الخبر إلى القرد الأمويّ المجدور، فاتّخذ قراره في تحويل مهمّة مواجهة البطل الهاشمي إلى عجله ابن زياد، فأرسل إليه وهو في البصرة، فخرج قاصداً الكوفة، وهذا يعني أنّ فترة مضت على المولى الغريب عليه السلام في بيت هاني تستوعب مبايعة عدد كبير، واستغرقت مدّة حركة البريد من الكوفة إلى الشام ومن الشام إلى البصرة، وحركة ابن الأئمة الفاجرة من البصرة إلى الكوفة..

(١) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١.

قال ابن حبان:

«ودخل الكوفة فلما نزلها دخل دار المختار بن أبي عبيد واختلفت إليه الشيعة يبائعونه أرسالاً ووالى الكوفة يومئذ النعمان بن بشير ولأه يزيد بن معاوية الكوفة، ثم تحول مسلم ابن عقيل من دار المختار إلى دار هاني بن عروة، وجعل الناس يبائعونه في دار هاني حتى بايع ثمانية عشر ألف رجل من الشيعة، فلما اتصل الخبر بيزيد بن معاوية أن مسلماً يأخذ البيعة بالكوفة للحسين بن علي كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد، وهو إذ ذلك بالبصرة، وأمره بقتل مسلم ابن عقيل أو بعثه إليه، فدخل عبيد الله بن زياد الكوفة حتى نزل القصر» (١) ..

الصنف الثاني: حين قدوم ابن زياد

صرّحت بعض المصادر أن المولى الغريب عليه السلام تحول وانتقل من الدار التي كان فيها إلى دار هاني حين قدم ابن زياد، وربما كان الجمع المتأخر عن الطبري قد أخذ عنه.

وهذا الصنف لم يصرّح بوقت معيّن وإنما اكتفى بالتعبير بـ «حين»

وهو يفيد اقتران دخول الطاغية المسعور وانتقال المولى الغريب عليه السلام،
وكأن موافاة الجرو الأموي وانتقال البطل الهاشمي حدثاً في نفس الوقت..
أي قبل أن يستقرّ الدعيّ ابن زياد في قصر الخبال وخطبته في الناس
وتهديده..

قال الطبري، الشجري، المزّي، الذهبي، ابن حجر، ابن بدران، ابن
الجوزي، المحليّ:

«فتحول مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان
فيها إلى منزل هاني بن عروة المرادي»^(١).

مسكويه:

«وانتقل مسلم، حين وافى عبيد الله، إلى منزل هاني بن عروة
المرادي»^(٢).

وربما أفادت عبارة ابن كثير مقارنة الدخول والانتقال بيد أنها وردت
بألفاظ غريبة وأحداث عجيبة، فهو يسمّي هانئاً بابن حميد بن عروة،

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزّي:

٦ / ٤٢٤، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢

/ ٣٥٠، الإصابة: ١ / ٣٣٣، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ /

٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، الحقائق الوردية للمحليّ: ١ / ١١٥.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٣.

ويقول أنّ المولى الغريب عليه السلام تحوّل إلى دار هاني ثمّ إلى دار شريك، ويحتمل في اسم هاني التصحيف أو الزيادة من النسخ، بيد أنّ التحوّل إلى دار شريك لا يقوى على مخالفة المشهور المتفق عليه.

وقال ابن كثير:

«فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، فلمّا دخلها دخلها

متلثماً.. وقد تحوّل مسلم بن عقيل إلى دار هاني بن حميد [؟]

ابن عروة المرادي، ثمّ إلى دار شريك بن الأعور وكان من

الأمراء الأكابر»^(١)!!

الصنف الثالث: بعد قدوم ابن زياد

تنقسم نصوص هذا الصنف إلى قسمين:

أحدهما: المسعودي

ما أفاده المسعودي وسبط ابن الجوزي، حيث صرّحاً أنّ خبر ابن

زياد اتّصل بالمولى الغريب عليه السلام فتحوّل حين قدوم الأول إلى الكوفة..

فهما يفيدان أنّ التحوّل حصل بعد قدوم ابن الأمة الفاجرة، فذكر

الانتقال دون تحليل وتعليل أو تعليق على فعل من أفعال ابن زياد.

قال المسعودي:

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

«ولمّا اتّصل خبر ابن زياد بمسلم، تحوّل إلى هاني بن عروة المرادي»^(١).

وقال سبط ابن الجوزي:

«فأقبل ابن زياد في وجوه أهل البصرة حتّى قدم الكوفة متلثماً ... وتحوّل مسلم إلى دار هاني بن عروة المرادي»^(٢).

الأخرى: ابن شهر آشوب

بيد أنّ عبارة ابن شهر آشوب تشير بنحو ما أنّ الانتقال حصل بعد شيء من التوجّس والخوف والتحسّب، إذ يصرّح أنّه دخل في أمان هاني! وكأنّه كان يبحث عن أمان فحقّقه له دخوله عند شيخ الكوفة المرادي، ولاندري ما حاجته إلى ذلك الأمان وقد كان يبايعه الآلاف حتّى بلغوا خمسة وعشرين ألفاً! - في تقدير ابن شهر آشوب نفسه - فكان عدد المبايعين في تزايد، وكان المولى الغريب عليه السلام من حيث تجمّع الناس عزيز الجانب كثير الأعوان تحفّه السيوف والرجال!

قال ابن شهر آشوب:

«فلمّا وصل المنشور إلى ابن زياد قصد الكوفة، ودخلها بغتة

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٧.

(٢) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨.

في الليل ... فانتقل مسلم من دار سالم إلى دار هاني بن عروة المذحجي في الليل، ودخل في أمانه، وكان يبايعه الناس حتى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل، فعزم على الخروج، فقال هاني: «لا تعجل»^(١)!!

الصنف الرابع بعد تهديد ابن زياد

تنقسم نصوص هذا الصنف إلى أقسام:

القسم الأول: لا تذكر التهديد

قال البلاذري:

«وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد الكوفة، فأقبل حتى أتى دار هاني بن عروة بن نمران المرادي، فدخل من بابه، ثم أرسل إليه أن اخرج إليّ. فخرج إليه، فقال له مسلم: يا هاني، إني أتيتك لتجيرني وتضيفني. فقال هاني: والله لقد سألتني شططاً، ولولا دخولك داري وثقتك لي، لأحببت أن تنصرف عني، ولكنه قد وجب عليّ ذمامك. فأدخله داره.

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٨٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٣، العوالم للبحراني:

وكانت الشيعة تختلف إليه فيها»^(١).

ذكرنا النص هنا بالرغم من إفادته أنّ الانتقال حصل بعد قدوم ابن زياد دون ذكر التهديد، وذلك لاتّحاد النصّ تقريباً مع نصّ الدينوري الذي سنسمعه بعد قليل من جهة، ولإشعاره بخوف المولى الغريب عليه السلام وانتقاله بسبب ذلك، فكأنّه يريد أن يقول نفس ما قاله الدينوري، ولهذا سوّغنا إدراجه تحت هذا العنوان، لتتمّ مناقشتها في موضع واحد.

القسم الثاني: تذكّر التهديد

يمكن تقسيم الأخبار التي أشارت إلى تحوّل المولى الغريب عليه السلام من دار المختار إلى دار هاني بعد أنّ دخل ابن الأئمة الفاجرة الكوفة فخطب وأزبد وأرعد إلى ثلاث مجاميع:

المجموعة الأولى: قبول هاني على مضض

قال الدينوري:

«وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد، وانصراف النعمان وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على نفسه، فخرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة، حتّى أتى دار هاني بن عروة المذحجي، وكان من أشرف أهل الكوفة،

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٦.

فدخل داره الخارجة، فأرسل إليه، وكان في دار نسائه يسأله الخروج إليه، فخرج إليه وقام مسلم، فسلم عليه وقال: إني أتيتك لتجيرني وتضيفني. فقال له هاني: لقد كلفتني شططاً من الأمر، ولولا دخولك منزلي لأحببت أن تنصرف عني غير أنه قد لزمني ذمام لذلك. فأدخله دار نسائه، وأفرد له ناحية منها، وجعلت الشيعة تختلف إليه في دار هاني.

ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة على أهل الكوفة، حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل في سترورفق»^(١).

الطبري:

«وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله ومقاتله التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، فخرج من دار المختار - وقد علم به - حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي، فدخل بابه، وأرسل إليه أن اخرج. فخرج إليه هاني، فكره هاني مكانه حين رآه، فقال له مسلم: أتيتك لتجيرني وتضيفني. فقال: رحمك الله! لقد كلفتني شططاً، ولولا دخولك داري وثقتك، لأحببت ولسألتك أن تخرج عني، غير أنه يأخذني من ذلك ذمام، وليس مردود مثلي على مثلك عن جهل، ادخل. فأواه،

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤-٢٣٥، ٢٣٦.

وأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني بن عروة»^(١).

ابن أعثم:

«وسمع بذلك مسلم بن عقيل وبقدوم عبيد الله بن زياد وكلامه. فكأنه أتى على نفسه، فخرج من الدار التي هو فيها في جوف الليل، حتى أتى دار هاني بن عروة المذحجي عليه السلام، فدخل عليه، فلما رآه هاني قام إليه، وقال: ما وراءك، جعلت فداك؟ فقال مسلم: ورأي ما علمت، هذا عبيد الله بن زياد الفاسق ابن الفاسق قد قدم الكوفة، فاتقته على نفسي، وقد أقبلت إليك لتجيرني وتأويني حتى أنظر إلى ما يكون. فقال له هاني بن عروة: جعلت فداك! والله لقد كلفني شططاً! ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف، غير أنني أرى ذلك عاراً عليّ أن يكون رجل أتاني مستجيراً، فانزل على بركة الله.

قال: فنزل مسلم بن عقيل في دار هاني المذحجي. وجعل عبيد الله بن زياد يسأل عنه فلم يجد من يرشده عليه، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم عليه السلام في دار هاني، ويبايعون للحسين سرّاً. ومسلم بن عقيل يكتب أسماءهم، ويأخذ عليهم العهود والمواثيق لا يركنون، لا يعذرون، حتى بايع

مسلم بن عقيل نيّف وعشرون ألفاً» (١).

أبو الفرج:

«وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله بن زياد ومقاتله، فأقبل حتّى أتى دار هانئ بن عروة المرادي، فدخل في بابه، فأرسل إليه أن اخرج إليّ. فقال: إني أتيتك لتجيرني وتضيّفني. قال له: رحمك الله لقد كلّفتني شططاً، لولا دخولك داري وثقتك بي، لأحببت لشأنك أن تنصرف عني غير أنّي أخذني من ذلك ذمام، ادخل. فدخل داره، فأقبلت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ بن عروة. وجاء شريك بن الأعور حتّى نزل على هانئ في داره وكان شيعياً» (٢).

الخوارزمي، ابن أبي طالب:

«وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله ومقاتله، فانتقل من موضعه حتّى أتى دار هانئ بن عروة المرادي، فدخل، ثمّ أرسل عليه: إني أتيتك لتجيرني وتؤويني، فإنّ ابن زياد قد قدم الكوفة، وأنا أتقيه على نفسي، فخرج إليه هانئ، وقال: قد كلّفتني شططاً، ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني،

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٨.

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٤.

غير أنني أجد ذلك عاراً عليّ بأن رجلاً أتاني مستجيراً، فلا أجيره، فانزل على بركة الله.

وجعل عبيد الله يسأل عن مسلم، فلا يجد أحداً يرشده إليه، وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم في دار هاني بن عروة المذحجي ويبياعون الحسين سرّاً، ومسلم بن عقيل يكتب أسماءهم ويأخذ عليهم العهود أنهم لا ينكثون ولا يغدرون، حتّى بايعه ما ينيف على عشرين ألفاً، وهم مسلم أن يثب بعبيد الله بن زياد، فمنعه من ذلك هاني بن عروة، فقال له: جعلت فداك لا تعجل، فإنّ العجلة لا خير فيها» (١).

ابن الأثير، التويري:

«وسمع مسلم بمقالة عبيد الله، فخرج من دار المختار، وأتى دار هاني بن عروة المرادي، فدخل بابه، واستدعى هانئاً، فخرج إليه، فلمّا رآه كره مكانه، فقال له مسلم: أتيتك لتجيرني وتضيفني. فقال له هاني: لقد كلفني شططاً ولولا دخولك داري لأحببت أن تنصرف عني، غير أنّه يأخذني من ذلك ذمام، ادخل. فأواه، فاختلفت الشيعة إليه في دار هاني» (٢).

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ٢٠٠، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨١.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٩، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٩١.

ملاحظات

يمكن تسجيل جملة من الملاحظات على نصوص هذه المجموعة:

الملاحظة الأولى: الرواية في كتب المؤرخين العامة

يلاحظ أنّ مؤرّخي هذه المجموعة كلّهم من العامة، عدا ابن أبي طالب، وهو إنّما التزم نصّ الخوارزمي وابن أعثم في روايته، فروى عنهم من دون إصلاح للنصّ، فيما نجد مؤرّخي الشيعة وعلماءهم من قبيل الشيخ المفيد والطبرسي والسيد ابن طاووس وابن نما - رحمهم الله - نقلوا متناً قريباً من رواية مؤرّخي العامة بعد إصلاح عبارتهم وتقليم ما لا يناسب سيوف سيّد الشهداء (عليه السلام) واقتصاص ما يחדش ساحة شيخ الكوفة الشجاع هاني بن عروة، كما سنسمع نصوصهم بعد قليل..

الملاحظة الثانية: خوفه على نفسه

رتّب مؤرّخو هذه المجموعة انتقال المولى الغريب (عليه السلام) على خطبة ابن الأمانة الفاجرة وتهديده ووعيده، حتّى صرّح بعضهم أنّه «خاف على نفسه»، أو «كأنّه اتقى على نفسه»، وكأنّ خطبة واحدة وتهديداً واحداً كافٍ لإزعاب البطل الهاشمي والتأثير عليه وتنفيذه وإخراجه من مكانه - حسب تصويرهم - وخروجه خائفاً يبحث عن مكان يأمن فيه سطوة الجبار العنيد..

والحال أنّ كلمات الجرو الأمويّ وخطبته ليس فيها شيء يمكن أن

يهزّ في الشجعان والفرسان شعرة، فكيف بالفارس الطالبيّ مسلم بن عقيل عليه السلام ..

أينهدّ ركن الصنديد ويندك الطود الراسخ بتهديد جامد، وخطبة واحدة من رعديد سامد.. أول خطبة هزمته وأخرجته خائفاً على نفسه.. خائفاً على نفسه.. لا خائفاً على الناس والمبايعين! ولا خائفاً على ما سيجري على أنصار سيّد الشهداء عليه السلام! ولا خائفاً على مَنْ توعدّهم ابن الأمة الفاجرة.. ولا خائفاً على أيّ شيء سوى نفسه..

خطبة واحدة من ابن مرجانة كافية لقلب كلّ الموازين وتحويل «أرجل أولاد عقيل»^(١) والشجاع المعروف في الجمل وصفين الذي أذاق الكوفة سابقاً ولاحقاً طعم الموت الأحمر، وهزم العسكر تلو العسكر.. يهزم لأوّل خطبة.. لكلمات باردة هامة تتساقط من بين شفّتي الطاغوت كأنّها قطعات جمر رشّ عليها الماء الآسن المالح..

أجل! ربما أرعبت الجبناء وأصحاب القلوب الخاوية وعبيد الدنيا المتزلّقين على رمال المطامع المنكوسين في أحوال الشهوات..

بعد لم تحصل أيّ مواجهة.. ولم ينفذ أيّ تهديد.. ولم يتنجز أيّ وعيد.. ولم نسمع أيّ ردود فعل يحدّث عنها التاريخ في المجتمع الكوفي لخطبة الوغد - وإن كان لها أثر حتماً على عامّة الناس الذين وصفهم

(١) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٧٧.

سيّد الشهداء بأنهم «عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معاشهم فإذا حصّوا بالبلاء قلّ الديانون^(١)».. لكننا نسمع موجة الخوف العارمة التي سلبت المولى عليه السلام قراره وأخرجته هائماً دون أيّ تنسيق من محله إلى دارهاني.. إن هذا إلا بهتان عظيم.

وكيف يخاف المولى عليه السلام على نفسه وهم يزعمون أنّ آلافاً قد بايعته وأعلنت النصرة له في تلك الفترة التي سبقت دخول ابن الأمة الفاجرة.. وهل يخاف من تحفه السيوف وتغطيه الرماح وتكتاف الأيدي وتلتحم السواعد وتهبّ الرجال نجدة للدفاع عنه.. وخيانتهم وغدرهم وخذلانهم بعد لم ينكشف حسب تلك المصادر؟!

* * * * *

أضف إلى أنّ تفسير التحول بالخوف على نفسه أو الاتقاء على نفسه أو خوف الاشتهار وما شابه كلّها تحليلات المؤرّخ، إذ أنّه رأى تصرفاً وحركة وانتقالاً ولم يعلم له سبباً، فجمع القرائن التي أحاطت بالمشهد، ففسّره بالخوف، ولسنا ملزمين باتّباعه وقبول تحليلاته..

سيّما أنّنا لم نسمع أحداً منهم ينسب هذا التفسير إلى المولى الغريب عليه السلام نفسه أو إلى أحد المقرّبين منه، بل إنّ عباراتهم واضحة

(١) انظر: تحف العقول للحزاني: ٢٤٥، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ٢٥٢،

السياق أنها فهوم المؤرخين خاصة.

الملاحظة الثالثة: التركيز على مواقع خاصة

يلاحظ أن نصوص هذه المجموعة تضرب على نفس الوتر الذي قتله السلطان، من تشويه لصورة المولى الغريب عليه السلام..

فهو عليه السلام - وحاشاه - يتحرك كما يرسمه المؤرخ دائماً خائفاً على نفسه، يبحث عن مأمن ومأوى، ودون أيّ تخطيط مسبق، ويقع في الكمين المفترض ويهجم على الأمور ويستدبرها استدباراً.. خرج دون تنسيق وهو لا يدري حتى انتهى إلى دارهاني على حين غفلة من الأخير.. فيفاجأ وهو في دار نسائه..

يستعجل، ويفعل ويتردد ولا يدري ما يفعل إلا أن يرشده أحد الأتباع!!!

بئس الأقلام المأجورة.. وبئس العقول التي تكتب كأنها يبريق الذهب والفضة مخمورة..

ولا نطيل هنا فقد تتبّعناها وأحصيناها في كثير من مواضع هذه المجموعة التي خُصّصت للبحث عن حياة مولانا المعظم المكرّم سليل إبراهيم الخليل وأخ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، وسيأتي بعضها فيما يلي، فلا نعيد..

الملاحظة الرابعة: أين كان أنصاره

يبدو من النصوص المذكورة أنَّ المولى الغريب عليه السلام قصد دار هاني في الليل وحده، إذ أنها لا تشير إلى وجود أحد معه، فأين كان المختار؟! ولم لم يجره ولم يستمر في ضيافته، وهو المختار؟! وبما اعتذر المولى الغريب عليه السلام منه؟ هل اعتذر منه بالخوف على نفسه؟! أستغفر الله من هذه الأسئلة الوقحة، بيد أنها ضرورة البحث تضطرنا لذلك..

وأين عنه الأفذاذ المخلصين من أمثال أبي ثمامة الصائدي وباقي الأعمدة والسيوف التي كانت محدة بسفير الحسين عليه السلام من شيعة الأبرار؟ بل أين تلك الآلاف التي بايعته حسب نفس المصادر في دار المختار؟

فكيف يخرج وحده من دون أي حماية أو حراسة أو دليل؟
أوليس يزعمون أنَّ المولى الغريب عليه السلام كان لا يعرف الكوفة بحيث وقف بعد خروجه من المسجد الأعظم عند انتهاء معركة القصر لا يجد من يدلّه على الطريق، فبقي - كما يزعمون ظلماً - يتلدد في الشوارع والأزقة^(١).. فكيف اهتدى الطريق إلى دار هاني؟!

وكيف تخلى البطل الهاشمي عن كلّ تلك الجموع وانسلّ انسلالاً

(١) ناقشنا ذلك بالتفصيل في كتاب «مسلم بن عقيل بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

تحت جناح الظلام ليفلت إلى موضع لا يعلم به أحد حتى هو صلوات الله عليه؟! فكان هو أول من تخلى وليس القوم، حسب هذه الحكاية! ولم لم يسدده القوم كما يفعلون معه دائماً كلما وقع في ورطة، حسب ما يصوره المؤرخ؟!

نستغفر الله من هذه الفروض التافهة الجريئة، بيد أنها ضرورة البحث، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الملاحظة الخامسة: أدب المولى الغريب ؑ

ورد في النصوص السالفة أن المولى الغريب ؑ دخل دار هاني الخارجية أو دخل بابه، ثم أرسل إلى هاني وهو في دار نسائه.. الفقيه العالم مسلم بن عقيل.. معدن الأدب والأخلاق السامية، ومثال الالتزام بالأدب القرآني الرباني النبوي، والمتشرف بالانتهال من الأئمة الطاهرين ؑ، وكتاب الله ملء كيانه، وقد قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.. ويقول الله تبارك وتعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾..

وقد وردت الأحاديث الشريفة كثيراً تأمر بالاستئذان قبل الدخول.. وإذا كانت الدار الخارجية مفتوحة للداخلين، فليس لمثل هاني

- وهو من أشرف الكوفة ورجالات مراد وشيوخ المصر - أن يردّ أو يعتذر أو يتلکأ أو يتظاهرها بالتثاقل من ضيف دخل بابه المفتوح للضيوف!

الملاحظة السادسة: السريّة والعدد الضخم

تردّد على المكان - الذي دخله المولى الغريب عليه السلام سرّاً! واختفى في دار النساء - أعداد ضخمة تراوحت بين ثمانية عشر ألفاً وما ينيف على عشرين ألف رجل في سترور فق وسرّ^(١)..

وسواء كان هذا العدد كلّه قد بايع في دار هاني وسجّلت أسماءهم هناك أو كانوا ممّن سبق، فهم على كلّ حال قد دخلوا على المولى الغريب عليه السلام هناك لأيّ غرض وعرفوا مكانه.. وأيّ سرّ يبقى بين هذا العدد الضخم المتشكّل من الخليط الاجتماعي بمكوناته وتشبّثاتجاهاته، وتفرّق معتقداته، وعدم تحديد هويّته ومدى وثاقته ومقدار ثباتهم وإيمانهم وصلابة مواقفهم ومصداقيّتهم.. فكلّ واحد منهم كما يعدّ رقماً لصالح المولى الغريب عليه السلام يمكن أن يعدّ رقماً لصالح ابن الأمة الفاجرة وعيناً له، إلّا من عرفهم سفير الحسين عليه السلام بالتشيع والإخلاص والثبات..

إلّا أن يقال أن المراد بالسريّة والرفق والستر الهدوء والانسيابية والاسترسال واللفظ في التقدّم بين يدي سفير الحسين وثقته عليه السلام، من

(١) ناقشنا ذلك مفصلاً في كتاب «مسلم بن عقيل قصّة معقل».

دون إحداث ضجيج وتجمّعات ضخمة ترتفع فيها الشعارات والنداءات والصرخات والتدافع على باب الدار التي سكنها المولى الغريب عليه السلام، وإنما كانت حركة هادئة يدخل الناس أفراداً وجماعات بهدوء ويخرجون بهدوء، ويتردّدون على الموقع بلطف واسترسال.. وهذا شيء غير السريّة والتستر، وإن كان يعدّ كذلك إذا قورن بحركة العساكر وتجييش الجيوش..

الملاحظة السابعة: إخراج الآخرين والإباء الطالبّي

يلاحظ - حسب تصوير المؤرخ - كأنّ هذه المهمة التي أنيطت بالمولى الغريب عليه السلام مهمة المواقف المحرجة، منذ أن يستعفي تطيراً بموت الدليلين، فيخرجه - والعياذ بالله - سيّد الكائنات، ويضطرّه للاستمرار بالرحلة رغماً عنه، ويخرجه ليقبل المهمة، ثمّ يُخرج المولى الغريب عليه السلام فيقبل معقلاً ويدخله مقرّ قيادته، ويُخرج المرأة الصالحة طوعة ^(١)، ويخرج هاني بن عروة، ويضطرّهما للدخول عندهما لاجئاً مستجيراً طلباً للحماية!!! متوسّلاً يُسعف بالضيافة!!

وبغضّ النظر عن هذه الفرية المقذعة التي تشين بساحة بطل مذحج وشيخ مراد، والأبّي الغيور هاني بن عروة، إذ ليس محلّ نقاشها

(١) انظر جميع تلك الموارد ومناقشتها في مواضعها من مجموعة المولى الغريب

وردّها هذا الكتاب، ولها موضع آخر نرجو من الله أن يوفّقنا لذلك.

أمّا ما يخصّ مولانا الغريب عليه السلام فإنّ هذه النصوص البائسة تنمّ عن جهل مطبق بإباء الطالبين أو حقد متراكم يغلي ويجيش في نفوس الحاسدين والحاquدين، فإنّ إباء الهاشمي والمؤمن يأبى له أن يُطرد، أو يُحمّل من لا يُحتمل أو لا يرغب أن يحتمل، وقد رأينا سيّد الشهداء عليه السلام يأذن لمن معه المرّة تلو الأخرى، وقد أذن لبعض أصحابه وأهل بيته يوم العاشر والحرب قائمة على ساق.. فكيف يُحمّل المولى الغريب عليه السلام هائناً - لو سلّمنا صحّة ما نُسب لهاني، وهو ليس صحيحاً - وهو يجابهه بهذه الصراحة، ويكشف عن اضطراره لقبول ضيافته، ويواجهه بما هو أعنف من الطرد! «لقد كلّفتني شططاً»، ويصرّح له بعزوفه عن استقباله «ولولا دخولك منزلي لأحببت أن تنصرف عني»..

وما أشبه هذا الموقف بما نمّقه المؤرّخ لرسم موقفه عليه السلام على باب المرأة الصالحة طوعة، وهي تدفعه وتردّه وتحرمّ عليه الجلوس على باب دارها!! وهو يلتمس ويتوسّل إليها أن تضيّفه سواد ليلته (١)؟!

والله سبحانه يقول:

(١) أتينا على مناقشة ذلك مفصّلاً في كتاب «مسلم بن عقيل بين المسجد الأعظم ودار طوعة».

﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركى لكم والله بما تعملون علِيمٌ﴾..

ومن أولى بالقرآن وأعرف بما فيه والعمل بآياته - بعد من استثناهم الله - من المولى الغريب ؑ؟!

الملاحظة الثامنة: إدخاله دار نسائه

هنا طامتان.. مصيبتان.. تهمتان.. فريتان.. سهم ذو شعبتين أصاب المولى الغريب ؑ وناصره الشيخ الشجاع في آن.. أدخله دار نسائه.. فكيف طاوعت نفس هاني أن يدخله ثمة.. وكيف رضي البطل العقيلي بذلك؟!

وما هي الضرورة لدخوله دار النساء ليقبع هناك مع الحريم وهو قادم للقاء الناس وأخذ البيعة منهم لسيد الشهداء ؑ؟ وكيف استمر في أخذ البيعة وهو في دار النساء؟ وما هذا الخوف المتسلط على قلوب الأباة والأحرار وسيوف سيد الشهداء ؑ الذين لاحقوا الموت ليقبضوا عليه حتى أتعبوه فاستسلم لهم وسلمهم نفسه ليريحهم ويرتاح من ملاحقتهم..

أيخاف هاني فيدخله دار نسائه.. ويخاف سيف الحسين ؑ مسلم فيرضى أن يكون مع الخوائف ويقبع بينهم؟!

المجموعة الثانية: قبول هاني

قال الشيخ المفيد:

«ولمّا سمع مسلم بن عقيل مجيء عبيد الله إلى الكوفة ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتّى انتهى إلى دار هاني بن عروة، فدخلها، فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هاني على تسرّ، واستخفاء من عبيد الله، وتواصوا بالكتمان»^(١).

وقال الطبرسي:

«ولمّا سمع مسلم بن عقيل بمجيء ابن زياد إلى الكوفة ومقالته التي قالها، خرج من دار المختار حتّى انتهى إلى دار هاني بن عروة، فأقبلت الشيعة تختلف إليه سرّاً»^(٢).

وقال ابن طاووس:

«فدخل قصر الإمارة وبات فيه إلى الغداة ثمّ خرج وصعد المنبر وخطبهم وتوعّدهم على معصية السلطان ووعدهم مع الطاعة بالإحسان. فلمّا سمع مسلم بن عقيل بذلك، خاف على نفسه من الاشتهار، فخرج من دار المختار، وقصد دار هاني بن عروة،

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٢، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤١، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩١.

(٢) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٥.

فأواه، وكثر اختلاف الشيعة إليه»^(١).

وقال ابن نما:

«ولما بلغ مسلم بن عقيل قوله وخرج من الموضع الذي كان فيه، ونزل دار هاني بن عروة، واختلف إليه الشيعة، وألح عبید الله في طلبه، ولا يعلم أين هو»^(٢).

* * * * *

تمتاز نصوص هذه المجموعة عن المجموعة السابقة بميزتين، كما أنها تتوافق معها في أمور

الميزتان:

الميزة الأولى: علماء ومؤرخون شيعة

يلاحظ أن هذه المجموعة تتشكّل من جملة من علماء الشيعة وجماعهم وليس فيهم عامي، ويعدّ هذا مرجحاً قوياً عند اختلاف النصوص، وإن كانت هذه المجموعة قد تروي - عاقبةً - عن المجموعة الأولى بيد أنها شدّبت وهذّبت وروت ما ارتضت..

الميزة الثانية: موقف هاني

امتازت هذه المجموعة كلّها باقتطاع تلكاً هاني بن عروة وامتعاذه

(١) اللهوف لابن طاووس: ٤٥.

(٢) مشير الأحران لابن نما: ١٤.

وإحراجه وقبول الاستجارة والضيافة على مضض وتحت ضغط الخوف من العار وطمعاً بالسمعة، وبدافع النخوة والحمية..
فهم لم يتعرضوا لهذا المقطع مما رواه مؤرخوا المجموعة الأولى،
وإسقاطهم له يفيد رفضه من قبلهم وهذا هو ديدنهم سابقاً..

التوافق

تتفق هذه المجموعة مع سابقتها في أمور: منها ترتيب تحول المولى
الغريب عليه السلام إلى دار هاني على دخول ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة
وتهديده وخطبته وسماع مقالته، وتخوفه وغيرها من الأمور التي ناقشناها
قبل قليل، والكلام فيها واحد، فلا نعيد.

المجموعة الثالثة: تحول بعد خذلان الناس

يروى الطريحي والقندوزي عن المقتل المشهور لأبي مخنف، وقد
صرح القندوزي بأخذه عن المقتل المشهور، ويبدو ذلك واضحاً لمن
تتبع كتاب المنتخب، وقد اختصر القندوزي أو اعتمد على نسخة غير
النسخة المتداولة ^(١).

قال القندوزي:

(١) أشرنا إلى ذلك في موضعه من الجزء الثالث من كتاب ينابيع المودة النسخة
التي حققناها.

«فخطب على المنبر يذكر أن يزيد ولّاه وأوصاه بالإحسان إلى المحسن والتجاوز عن المسيء والناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون: ما لنا وامتناع السلطان، فنقضوا بيعة الحسين عليه السلام وبايعوا ابن زياد. فلما سمع مسلم ذلك دخل هارباً دار هاني ابن عروة»^(١).

وقال الطريحي:

«ثم نادى بالناس، فرقى المنبر فخطب خطبة ذكر فيها: إنّ الخليفة يزيد قد ولّاني مصركم هذا، وقد أوصاني بالإحسان إلى محسنكم والتجاوز عن مسيئكم وأنا مطيع أمره فيكم، فلما نزل من المنبر، جعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون: ما لنا والدخول بين السلاطين. فنقضوا بيعة الحسين وبايعوا عبيد الله بن زياد.

قيل: وكان مسلم بن عقيل موعوكاً، لم يقدر على الحضور للاجتماع!! فلما كان وقت صلاة العصر، خرج إلى الجامع فأذن وأقام الصلاة، وصلى وحده، ولم يصلّ معه أحد من أهل الكوفة، فخرج، فرأى رجلاً، فقال له: ماذا فعل أهل مصركم؟ قال: يا سيدي، نقضوا بيعة الحسين، وبايعوا يزيد. فصفق

بيده وجعل يخترق السكك والمحال هارباً!! حتى بلغ إلى محلة بني خزيمة، فرأى باباً شاهقة في الهواء، وجعل ينظر إليها، فخرجت جارية، فقال لها: يا جارية لمن هذه الدار؟ قالت: لهائى بن عروة. فقال لها: ادخلي، فقولي إن رجلاً من أهل البيت واقف بالباب، فإن قال ما اسمه؟ فقولي: مسلم بن عقيل. فدخلت الجارية، ثم خرجت إليه، وقالت له: ادخل» (١).

وفي مقتل أبي مخنف (المشهور):

«قال أبو مخنف: فلما سمع أهل الكوفة جعل ينظر بعضهم بعضاً ويقولون: ما لنا والدخول بين السلاطين. ونقضوا بيعة الحسين عليه السلام وبايعوا يزيد (لعنه الله).

قال أبو مخنف: وكان مسلم عليه السلام قد أصبح في ذلك اليوم موعوكاً، فلم يخرج للصلاة، فلما كان وقت الظهر خرج إلى المسجد، فأذن وأقام، وصلى وحده، ولم يصل معه أحد، فلما فرغ من صلاته، إذا هو بغلام فقال له: يا غلام، ما فعل أهل هذا المصر؟ فقال: يا سيدي! إنهم نقضوا بيعة الحسين عليه السلام وبايعوا يزيد (لعنه الله). فلما سمع كلام الغلام صفق يداً على

يد، وجعل يخترق الشوارع حتى بلغ محلة بني خزيمة، فوقف هناك يازاء بيت شاهق فخرجت من ذلك البيت جارية، فقال لها: لمن هذه الدار؟ فقالت: لهائي بن عروة. قال لها: ادخلي عليه وقولي له رجل بالباب، فإن سألك عن اسمي، قولي له: إنه مسلم بن عقيل ؑ. فدخلت الجارية، ثم خرجت، وقالت له: ادخل يا سيدي» (١).

* * * * *

النص في المقتل المشهور فيه شيء من الغرابة عن النصوص المعروفة المشهورة في باقي الكتب.

فيبدو هنا الخذلان قد تحقق بمجرد خطاب ابن الأمة الفاجرة، وأن المولى الغريب ؑ كان موعوكاً فامتنع عن الصلاة في الجامع، ثم خرج لصلاة العصر! وصلى وحده وتعرّف إلى خذلان الناس فجعل يصفق يداً بيداً!!

ثم سأل فأخبر.. وسأل - حسب المقتل المشهور - غلاماً!! ودلّه الغلام وأخبره! وهنا أيضاً يعيش المولى الغريب ؑ كأنه لم يكن في الكوفة، ولم يكن يعنيه الأمر من قريب لولا خروجه لأداء صلاة العصر حسب الطريحي أو صلاة الظهر حسب المقتل المشهور، ليفاجأ بهذه

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٥-٢٦.

الصورة المروعة من خذلان الناس ويقىض الله له غلاماً يرشده!!!
ثم يهرب.. أو يمشي على وجهه محترقاً الشوارع لا يدري أين يذهب
حتى يقف بإزاء باب شاهقة!!
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! لا نريد هنا الوقوف طويلاً
عند هذه المجموعة والتوسع في مناقشتها مفصلاً، وكيفها ما فيها.

الصنف الخامس: بعد الخروج إلى القصر

قال ابن قتيبة، البيهقي، ابن عبد ربّه، الباعوني:
«وباع له [الحسين عليه السلام] مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً
من أهل الكوفة، فنهضوا معه يريدون عبيد الله بن زياد،
فجعلوا كلّما أشرفوا على زقاق، انسلّ عنه منهم ناس، حتى
بقي مسلم في شردمة قليلة.
قال: فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت، فلمّا رأى
ذلك، دخل دار هاني بن عروة المرادي، وكان له فيهم رأي^(١).
وكان له شرف ورأي^(٢)».

* * * * *

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوي للبيهقي: ٥٠. العقد

الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥.

يبدو من خلال تشابه النصّ والحديث أنّ هذا الصنف ينقل عن ابن قتيبة باعتباره الأقدم، وقد امتاز هذا المصدر برواية خاصّة لمجريات الأحداث التي تخصّ المولى الغريب عليه السلام.

فهو لا يتعرّض إلى دخول سفير الحسين عليه السلام إلى الكوفة ولا إلى نزوله عند أحد، بل لم يتعرّض للحديث عن الفترة التي سبقت خروج الآلاف المؤلفة التي تربو على الثلاثين ألفاً، وإنّما يتحدّث عن إرساله من قبل سيّد الشهداء عليه السلام إلى الكوفة ويبدأ المشهد بخروج هذه الآلاف.. فأين بايع كلّ هؤلاء؟ وكيف اجتمعوا؟ وغيرها من الأسئلة الحائرة التي تغافل عنها..

ثمّ بعد أن نهضت تلك الآلاف جعلوا ينسلّون رويداً رويداً كلّما انتهوا إلى زقاق، هكذا يختزل الموقف ويختصر القصة، فيذوب الجمع دون أيّ سبب حتّى يبقى في شذمة قليلة..

ثمّ ينقلب المشهد على حين غرة وينقلب الناس عليه فيرمونه بالآجر من فوق البيوت.. فيفاجأ المولى الغريب عليه السلام هنا أيضاً بالموقف «فلما رأى ذلك دخل دارهاني بن عروة».. فيدخل ولم يكن يحسب لدخوله ذاك أيّ حساب، وإنّما شاءت الأقدار أن يمرّ في الزقاق الذي كان فيه دارهاني!! فهو قد نهض بتلك الآلاف من دون أيّ تخطيط مسبق، ولا حساب للرجوع والعودة والانسحاب إذا جدّ في الموقف

جديد، مهما كان! إته كلام لا يصمد أمام النقد، ونستغفر الله ونستجير به أن يرمى العالم الخبير والمقاتل المتمرس مسلم بن عقيل عليه السلام بمثل هذه التصويرات البائسة ^(١)..

أجل! ربما كان في تعبير ابن قتيبة ما يفيد شيئاً، حيث يحكي عن هاني بن عروة أنه كان له في القوم رأي قال: «وكان له فيهم رأي».. فقد يقال: إن رأي شيخ الكوفة هاني بالقوم هو الذي شجّع المولى الغريب عليه السلام للوقوف على بابه، فيكون نوع تسويق لفعله، وإن كان تسويقاً بارداً..

حتى هذا المقدار من التسويق والإشارة البعيدة لموقف له سابقة تبرّره من مواقف المولى الغريب عزّ على من تلى ابن قتيبة أن يسترسل فيه فقال: «وكان له شرف ورأي» ^(٢) بدل قول ابن قتيبة: «وكان له فيهم رأي» ^(٣)..

ويمكن استخلاص تسويقاً ومبرراً من العبارة الأخيرة باعتبار أن المولى الغريب عليه السلام إنما وقف على تلك الدار باعتبار أن فيها شيئاً من

(١) انظر للتفصيل: كتاب «مسلم بن عقيل معركة القصر».

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوي للبيهقي: ٥٠. العقد

الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥.

المنعة، لأنها تعود لرجل ذي شرف ورأي، فهو يقدر على أن يمنعه..
ولكنّها باردة تماماً كسابقتها، إذ أنّها تبقى تحمل نفس الإشارات التي
تحملها عبارة ابن قتيبة من العفوية في حركة الليث العقيلي وافتقادها
لأيّ تخطيط مسبق.

وقد أكّد النّص أنّ المولى الغريب عليه السلام لم يعرف البيت لمن، وأّنه
سأله عن صاحبها.

أضف إلى ذلك وغيره من المناقشات التي لا يسعها وقت العجلان
في هذه الصفحات، أنّه خبر شاذّ يخالف المشهور.

النتيجة

يمكن أن نستخلص إحدى نتيجتين من البحث السابق فيما يخصّ الموضع الذي نزل فيه المولى الغريب عليه السلام وشرفه بالإقامة فيه:

النتيجة الأولى: دار هاني

لقد سمعنا فيما سبق جملة من المؤرخين كابن سعد^(١) والبلاذري^(٢) والبلخي^(٣) يصرحون أنّ المولى الغريب عليه السلام نزل في دار هاني بن عروة، ولم يذكروا له موضعاً آخر نزل فيه، ويمكن الاعتماد على هؤلاء لعدّة مرجّحات:

(١) الطبقات لابن سعد: ٤ - ١ / ٢٩.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٤٢٢.

(٣) البدء والتاريخ للبلخي: ٢ / ٢٤٠.

المرجّح الأول: قدم المصادر

لا يخفى أنّ ابن سعد والبلاذري يعدّان من أقدم المصادر، بل ربما كان ابن سعد هو المصدر الأقدم على الإطلاق في مثل هذه الحوادث، كما لا يخفى ما لهما من ثقل ومصدريّة.

المرجّح الثاني: أمر سيّد الشهداء عليه السلام

نعتقد أنّ حركة المولى الغريب عليه السلام في الكوفة كانت وفق تعليمات دقيقة وخريطة مرسومة من قبل، حدّد سيّد الشهداء عليه السلام جميع تفاصيلها لسفيره ومعتمده، وقد حدّد له منزله في الكوفة، فقال كما ذكر ابن سعد والذهبي:

«وقد كان ^(١) قدّم مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة، وأمره أن ينزل على هاني بن عروة المرادي» ^(٢) ...
وهذا النصّ صريح وواضح جداً أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد عيّن له محلاً وأمره أن ينزل فيه وهو دار هاني..

(١) في تاريخ الإسلام للذهبي: مجالد عن الشعبي والواقدي من عدّة طرق، أنّ الحسين عليه السلام ..

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٩٩، ابن عساكر، مختصر ابن منظور: ٢٧ / ٥٨.

وإن كان نصّ ابن أعثم لا يحدّد الموضع بالضبط وإنما يحدّده بالعنوان قال:

«ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام، فدفع إليه الكتاب وقال له: إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتّى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها، فانزل عند أوثق أهلها» ^(١)..

فالأمر هنا بالنزول «عند أوثق أهلها»، فيما كان النصّ السابق يحدّد هاني بن عروة بالخصوص..

وربما كان العنوان العامّ الذي ذكره ابن أعثم فيه إشارة إلى الدور التي سبقت دار هاني، فينزل عند أوثق أهل الكوفة حتّى يستقرّ به المقام في بيت هاني المأمور بالنزول عنده والمقام فيه.

بناءً على هذا اتّضح أنّ دار هاني بن عروة هي المستقرّ والمقام المأمور به المولى الغريب عليه السلام من قبل سيّد الشهداء عليه السلام، فهي وجهته أينما نزل وحلّ وارتحل..

وهذه الملاحظة المهمّة ينبغي أن تبقى في الذاكرة دائماً خلال بحث حركة المولى الغريب عليه السلام وتنقلاته من محلّ إلى محلّ آخر، ليكون هو

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥١.

الباعث الأصلي والدافع الرئيسي والمقصد النهائي والموضع المنظور المحدّد الذي يريده مسلم بن عقيل عليه السلام ..

وبهذا نقيس ونقارن تحليلات المؤرّخ التي سنسمعها، وترتيب التوقيتات على أساسها من قبله، ليفرّع انتقاله إلى بيت هاني على دخول ابن زياد أو خطبة ابن زياد أو الخوف من تهديداته وما شاكل ..

المرجّح الثالث: ما هي ضرورة التنقّل

قد يقال: إنّ الفترة التي قضاها المولى الغريب عليه السلام في الكوفة هي فترة وجيزة محدودة لا تتجاوز الشهرين وبضعة أيّام، وقد ازدهمت بالأحداث والمشاكل وتدافع الآلاف لتقديم البيعة وإعلان النصرة لريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنّة واكتضّت باللقاءات والاجتماعات واحتشد فيها الناس لسماع كتاب الإمام الحسين عليه السلام وغيرها من المشاهد التي تكبس الوقت كبساً لا يسمح للممارس للأحداث أن يتنقّل من محلّ لآخر، إذ أنّ هذا التحوّل ليس هو مجرد انتقال فرد من مكان إلى مكان، وإنّما هو تحوّل مقرّ للقيادة - كما يقولون - بما يرافق ذلك من تغيير للعنوان على الآلاف التي تريد أن تتواصل مع قيادتها ..

ويلزم من هذا التحوّل أيضاً إعدادات ضخمة لتهيّات المكان لاستقبال تلك الجموع الغفيرة، وإيجاد مكان آمن يستوعب الحماية

والحرس والاحتياطات اللازمة وغيرها من التدابير والمستلزمات التي يقتضيها تواجد سفير سيّد الشهداء عليه السلام وتردّد أنصاره والمقرّبين منه في تلك الفترة..

وانتقال المولى الغريب عليه السلام خلال فترة زهاء الشهرين ثلاث مرّات من دار ابن عوسجة إلى دار المختار إلى دار هاني، بل حتّى انتقاله مرّتين خلال هذه الفترة سيكّلف المولى عليه السلام وأنصاره ما يشغلهم عن المهمة الأصليّة ويستنزف الكثير من اهتماماتهم وهمومهم ومهامهم..

النتيجة الثانية: النزول عند ابن عوسجة والمختار وهاني

لقد نصّت المصادر أنّ المولى الغريب عليه السلام نزل عند مسلم بن عوسجة وعند المختار، واستقرّ أخيراً في دار هاني، وتبيّن لنا أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد أمر سفيره بالنزول عند أوثق أهل الكوفة، وحدّد موضع استقراره في دار هاني، ويمكن الجمع بين الأقوال بأن يقال: إنّ نزول عندهم جميعاً، واستغرق كلّ نزول فترة قصيرة أو طويلة بالنسبة للزمن الذي قضاه المولى الغريب عليه السلام في الكوفة..

ويمكن تصوّر ذلك من خلال ما سنذكره بعد قليل تحت عنوان أسباب التحوّل.

وكيف كان! فإنّ نزول المولى الغريب عليه السلام عند هذين الفارسيين الهمامين (ابن عوسجة والمختار) واستقبالهما له في تلك الأيام الحرجة،

مع وجود الوالي الأمويّ يكشف عن شجاعة وبسالة وتضحية يعزّ لها النظر... وحصانتها وقوتها ونفاذ كلمتها في قومها ورهطها، ممّا يوفّر للمولى الغريب (عليه السلام) وزوّاره معقلاً أميناً يمكن الركون إليه في تلك الظروف العصيبة..

وتكشف عن وثاقتها، فلو لم يكن سفير الحسين (عليه السلام) وثقته واثقاً منهما تمام الثقة، ولم يكن يعرفهما من قبل لما استند إليهما، وحطّ رحله عندهما، وهو قادم لمهمة حسّاسة خطيرة في مجتمع مثل المجتمع الكوفي المتقلّب آنذاك.

ويلزم - عادة - من نزول المولى الغريب مسلم بن عقيل عندهما فور وصوله الكوفة أن يكون بينهم اتّصال وتنسيق مسبق على الاستقبال، وهذا يعني أنّهما كانا متواصلين مع الحركة الحسينيّة بشكل مستمرّ، ويعدّان من مفاصلها المهمّة في الكوفة^(١)..

(١) اقتباس من كتاب «مسلم بن عوسجة أوّل شهداء الله في معسكر الحسين (عليه السلام)»، للسيد علي السيّد جمال أشرف الحسيني: ٨٣.

أسباب التحول

السبب المذكور في كتب التاريخ يكاد يكون محصوراً في سبب واحد، وهو الخوف على نفسه أو الاتقاء على نفسه أو خوف الاشتهار وجميعها تؤدي مؤدىً واحداً..

وقد تبين لنا أنّ هذا السبب المنصوص إنّما هو تفسير من قبل المؤرّخ الذي رصد الحدث وبحث عن علّته، فتوهم أنّه حدث خوفاً، إذ أنّه لم ينقل لنا ذلك من خلال تصريح للمولى الغريب عليه السلام ولا من المقرّبين أو المهتمّين بشأنه في تلك الأيام..

وتكاد تكون عبارة المؤرّخ واضحة جليّة في التعبير عن تحليلاته وتفسيراته الشخصية لموقف المولى الغريب عليه السلام، ورواية الحدث شيء وفرض تفسيره شيء آخر، ونحن لسنا ملزمين بالانصياع والتسليم لتفسير الراوي وفهمه من الحدث..

ويمكن أن نفسّر الحدث ونبحث له عن الأسباب من خلال قراءة تنا
فسنجد أسباباً غير ما ذكرها المؤرّخ، ولولم نجد سبباً منظوراً يمكن
اكتشافه، فإننا لا نرضخ لفهم المؤرّخ، لأنّه غير معقول ولا مقبول في حقّ
البطل الهاشمي والضرغام العقيليّ والسيف المسلول الصقيل البتّار من
سيوف سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام.. وقد ناقشنا ذلك قبل قليل عند
مناقشة المجموعة الأولى من القسم الثاني من الصنف الرابع من أقوال
المؤرّخين تحت عنوان «التحوّل من دار إلى دار»..

وهذا كلّ وما سيأتي من تصوّرات مبنيّ على قبول النتيجة الثانية،
أمّا إذا قبلنا النتيجة الأولى فلا حاجة إلى هذا البحث من رأس.

ربما كان سبب التحوّل من دار إلى دار تفسّره إحدى التصرّوات
التالية أو جمعها:

التصوّر الأوّل: دور في الطريق

ربما كانت دار مسلم بن عوسجة ودار المختار متباعدتان عن مركز
الكوفة، ودار مسلم أبعد من دار المختار، فكانت هذه الدور كمنازل في
طريق المولى الغريب عليه السلام إلى مركز الكوفة، كأن تكون دار مسلم على
حدود الكوفة، مثلاً، ثمّ تليها دار المختار، فنزل أوّل ما نزل عند مسلم
ابن عوسجة، فتسامع الناس ودّبوا إليه، ثمّ اقترب المولى الغريب عليه السلام

قليلاً فنزل دار المختار، فتدافع إليه الناس هناك، حتى استقرّ به المقام في دار هاني المأمور من قبل سيّد الشهداء عليه السلام بالنزول فيها، وقد امتثل الأمر العامّ حيث نزل عند أوثق أهلها الأوّل فالأوّل..

فذكر بعض المؤرّخين كلّ نزول على حدة إذ حدّثه راويه عن الموضع الذي رصد فيه المولى الغريب عليه السلام.

التصوّر الثاني: الإلحاح

ربما كان إلحاح هذين البطلين الهمامين على المولى الغريب عليه السلام للتشرّف بالنزول عندهما، ورجاؤهما، ووجاهتهما عند سيّد الشهداء عليه السلام وعند سفيره وعند الشيعة جعل المولى الغريب عليه السلام يستوجب لهما، فينزل بعض الأيّام عند الأوّل ثمّ عند الثاني، ليستقرّ في الموضع المرصود المقصود من قبل وهو دار هاني، ليكون قد امتثل أمر سيّد الشهداء عليه السلام بالنزول عند هاني، وهو لم يخالف أمره بالنزول عند أوثق أهلها، ومن أوثق من ابن عوسجة (أوّل شهداء الله في معسكر الحسين عليه السلام)، والمختار الثقي المذخور للانتقام الأوّل من قتلة سيّد الشهداء عليه السلام..

التصوّر الثالث: أسباب تتعلّق بالمكان

ربما كان المولى الغريب عليه السلام قد نزل عند مسلم بن عوسجة فتسامع الناس ودبّوا إليه، فضاقت بهم المكان، أو كان المكان بعيداً يشقّ على

الناس أن يترددوا إليه وهم يتمنون النزود بالنظر إلى وجه المولى الكريم وإشراقته الوضاء، وتأكيد التواجد حوله ومعه.

أو أنه عليه السلام نزل عند أحد العلّمين الشاهقين ريثما يعدّ دارهاني لاستقباله وإعداد المستلزمات الضرورية التي تناسب شأن الضيف العظيم والفراس الكريم، وتستوعب الأعداد الضخمة التي ستبائعه أو تلازمه هناك، وترتيب المكان بحيث يصلح أن يكون مقراً لمثل تلك المهمة.. أو لأيّ غرض آخر..

التصوّر الرابع: اقتران حدثين

ربما كان التحوّل لأيّ غرض كان من الأغراض السابقة سيّما امثال أمر الإمام سيّد الشهداء عليه السلام، وشاء الله أن يتوافق توقيت هذا التحوّل من دار المختار إلى دارهاني بوقت دخول ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة، ويمكن الاستشهاد لهذا تصوّر بنصوص الصنف الثاني من عنوان تحوّل المولى من دار إلى دار.. وهم: الطبري، الشجري، المزي، الذهبي، ابن حجر، ابن بدران، ابن الجوزي، المحلي، مسكويه، ابن كثير.

«فتحوّل مسلم حين قدم عبيد الله بن زياد من الدار التي كان فيها إلى منزل هائي بن عروة المرادي»^(١).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩١، تهذيب الكمال للمزي: ←

فرصد المؤرّخ هذا التحول في هذا الوقت فتوهم أنّ دخول ابن الأمانة الفاجرة هو السبب في ذلك، أو أنّ خطبته وتهديده ووعيده هو الذي نفّر المولى الغريب عليه السلام من الموضع الذي هو فيه، ولكي يكون مقنعاً في وهمه للآخرين اضطرّ إلى التزويق والتنميق والكذب والافتراء، فأضاف قصّة الهجوم على هاني وإحراجه بطلب الالتجاء والاستجارة والاحتماء به التي لم يروها المؤرّخون والعلماء الشيعة، كما سمعت قبل قليل..

التصوّر الخامس: علم المولى عليه السلام بدور الرجلين

ربما يكون السرّ والسبب الداعي لتحول المولى الغريب عليه السلام من دار ابن عوسجة والمختار علمه بدورهما وما ينتظرهما من يوم موعود وموقف مشهود، وما ينتظر صاحبه الوفيّ هاني من سعادة بين يدي المولى الغريب عليه السلام، فهو يعلم بإخبار الإمام سيّد الشهداء عليه السلام أو إخبارات النبي والأئمّة الأطهار عليهم السلام كما أخبر ميثم وحبيب ورشيد بعضهم بعضاً بما ينتظرهم، حتّى سمّي رشيد البلايا والمنايا، وقد اشتهرت أخبار انتقام المختار والشواهد متظافرة على علم المختار بدوره الذي ينتظره، وليس هذا موضع إثبات ذلك..

٦ / ٤٢٤، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٥٠، الإصابة: ١ / ٣٣٣، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

فلما كان المولى الغريب عليه السلام عالماً بأن لابن عوسجة يوماً في كربلاء بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام وللمختار يوماً بعد كربلاء.. خرج من عندهما.. إمّا رعاية للعامل الغيبيّ محضاً، أو لئلاّ يعرضهما للمواجهة مع ابن الأمة الفاجرة في الظاهر المنظور..

التصوّر السادس: الدواعي الأمنية

ربما كان التحوّل بسبب رعاية جملة من الدواعي الأمنيّة والميدانيّة التي تقتضيها متطلّبات الموقف من خلال سير الأحداث، إن كان بفعل تغيّر الوالي أو بفعل تغيّر الناس، أو أيّ عامل آخر أنتج تغيّر الظروف، فاقتضت المصلحة أن يغيّر المولى الغريب عليه السلام مكانه كترتيب احترازيّ أو إعداد استباقيّ، يجعله كما هو دائماً ممتلكاً لزاماً المبادرة مستعدّاً لكلّ جديد.

وهذا شيء يختلف عن الخوف على نفسه، وإمّا هو نباهة تنم عن خبرة بالمجتمع ومعرفة بالعدوّ وإحراز للموقع الأفضل الذي يبقى فيه القائد متسلّطاً على ميدان حركته فارضاً هيئته وسطوته وخطته محترساً عن كلّ ما يمكن أن يكون مؤشراً إيجابياً للعدوّ، محتاطاً للأفراد الذين معه، مقنعاً لهم في مواقفه..

فليكن دارهاني أكثر منعة وأشدّ بأساً وحصناً موثقاً يتدرّع به المولى الغريب عليه السلام ومن معه، وليس في ذلك ما يكشف عن خوف

البطل، فاختيار الموقع الأفضل من أهمّ مفاتيح الظفر ودليل حذق القائد..

فهو إنما انتقل بداعي أمنيّ أو عسكريّ أو ما شاكلها من المصطلحات.. للإعداد والاستعداد والبقاء في موقع القوة واختيار الأفضل عند تقلّبات الظروف وامتلاك الخيار الأنسب لكلّ ظرف، والتحكّم بزمان الموقف وفرض الإرادة على الأعداء واضطّارهم لانتخاذ ما يلزم من دفاع ومفاجأتهم بخطط تزلزل الأرض تحت أقدامهم وتخبّط عقولهم خبطاً، وتذهلهم أمام هذه الخبرة الفريدة التي يعرّ لها النظر..

النتيجة:

إنّما نستخلص النتيجة هنا على اعتبار عدم الاقتناع بنزول المولى الغريب عليه السلام عند هاني مباشرة، فإذا اقتنعنا بنزوله ثمة فلا تنقل ولا تحوّل ولا حاجة للبحث في الدواعي والأسباب..

أمّا إذا اقتنعنا بنزوله في أكثر من دار، كأن تكون ثلاثة أو اثنين، يعني في دار ابن عوسجة والمختار وهاني، أو المختار وهاني، فإنّنا نضطرّ للبحث في أسباب التحول ودواعيه..

وقد ذكرنا تصوّرات ستّة، فإن كان كلّ تصوّر مقنعاً لوحده في تفسير التحول، أو كان اجتماع أكثر من تصوّر أو التصرّوات مجموعة مقنعة، فالحمد لله وهو المطلوب.

وإلا فلك أن تبحث عن مسوّغات وأسباب أخرى مهما كانت سوى ما ذكره المؤرّخ «الخوف على نفسه»، فإنّه غير مبرّر ولا مقبول، ولا يمكن تصوّره في حقّ بطل مجرّب وخبير مدرب على أيدي الأئمّة المعصومين عليه السلام، ومؤمن معتقد واثق بوعد الله، مصدّق لإخبار رسول الله ﷺ ومنتظر للشهادة المرجوة ببشارة وصيّ رسول الله ﷺ وحبيبه الإمام الحسين عليه السلام (١) ..

بل! لا تساعد عليه مجريات الأحداث أيضاً، فإنّ المولى الغريب عليه السلام إنّما انتقل بعد أن بايعه عدد هائل، وأقلّ ما يقال فيه عدد لا يستهان به، ومع وجود كلّ هؤلاء المبايعين لا يسوّغ لنا أن نفترض الخوف في صاحب ميمنة الرّجالة في الجمل وصفّين الطاحنة لمجرّد دخول الجرو الأمويّ وخطبته ..

هذا هو تماماً ما يريد أن يفرضه علينا المؤرّخ الذي اتّخذ من طرف ذيل الجرو والقرّد الأمويّ قلماً لتحبير صفحاته ..

يريد أن يفرض علينا هيبة ابن الأمة الفاجرة ونصره بالرعب .. وأنّ بطل أبطال الكوفة ارتجّ واهتزّ وارتعد لمجرّد دخوله الكوفة !!

يريد أن يفرض علينا أنّ جراء القروء الأمويّة يمكنها أن تأخذ بزمام

(١) ذكرنا الإخبار بشهادة المولى الغريب عليه السلام على لسان النبي ﷺ وبشارة سيّد الشهداء عليه السلام له بذلك في أكثر من موضع من دراساتها.

المبادرة وتفرض على الأبطال والصناديد الخوف لمجرد خطبة يخطبها..
كلمات عرف كيف يصوغها بحيث تعمل عمل السيوف والرماح الحادة
الماضية المؤثرة التي تصرع الأعداء قبل اللقاء..

يريد أن يفرض علينا ما دأب على تصويره في حركة المولى
الغريب عليه السلام منذ الانطلاقة الأولى حينما تطير وخاف الموت! وهكذا هو
في تشويه الصورة الناصعة وتكدير الأشعة والوهج المسلمي الذي أبى
الله إلا أن يجعله صورة من الجلال والجمال الحسيني، وشعاعاً من
أشعة نور خامس أصحاب الكساء عليهم السلام..

إنها صورة بائسة.. رسمها المؤرخ وفرضها على صفحات الكتب
بمحق المزور الخبير، فجعلنا نتعامل معها كحقيقة، فنبحث لها عن تأويل
وتسويق وتوجيه يتناسب مع ما نكته في قلوبنا المفعمة بالتقديس
والإخبات لأصحاب سيد الشهداء عليه السلام، ثم استمرأنا تأويلاتنا
وتسويغاتنا حتى صارت عندنا مسلّمات تستسيغها بعض الطباع
والقلوب المؤمنة، لأنّها تعودت أفيون المؤرخ..

صورة مفزعة للمؤمن.. مشينة لا ترتضيها القلوب المستنيرة بنور
سيد الشهداء عليه السلام المتأدبة بأدب أهل البيت عليهم السلام العارفة بسيوف آل
أبي طالب..

خوف.. خوف.. خوف.. رعب.. تردّد.. إحجام.. اختفاء..

هروب .. فرار .. استغفال .. مفاجأة .. وقوع في الكمائن .. هكذا هي صورة
 البطل الطالبى التي رسمها المؤرّخ الخوّون ..
 جرأة .. إقدام .. هجمات متلاحقة .. حملات متوالية تبهر الأنفاس
 وتحير اللبيب .. هكذا هي صورة الجرو الأمويّ الرعديد المنجحر في قصر
 الحبال ..

اقرأ التاريخ متجرّداً عن السوابق والخلفيات التي سرّ بها المؤرّخ
 نفسه إلى وجدان القارئ وعقله ومكامن نفسه .. اقرأ التاريخ نفسه
 بعين الناقد البصير المحترس من سموم المؤرّخ .. العارف بأهل البيت عليهم السلام
 ورجاهم .. ستكتشف بأيسر ممّا تظنّ كذب الصورة المذكورة للبطل
 الطالبى والصورة المرسومة للجرو الأمويّ ..

ملاحظة هامّة تؤثر في استخلاص النتيجة

قسّمنا فيما مضى النصوص التي تحدّثت عن تحوّل المولى
 الغريب عليه السلام من دار إلى دار إلى خمسة أصناف، وكان الصنف الأوّل
 يفيد أنّ الانتقال كان قبل دخول ابن الأمة الفاجرة، والصنف الثاني أفاد
 تقارن تحوّل المولى الغريب عليه السلام ودخول ابن الأمة الفاجرة، والصنف
 الثالث جعل التحوّل متأخراً عن دخول الجرو الأمويّ بيد أنّه اقتصر
 على ذلك من دون تحليل وتفسير، ولم يذكر السبب في التحوّل ولم يوعزه
 لا إلى الخوف على نفسه ولا إلى غيره من الأسباب، وترك تفسير الموقف

تماماً، والصنف الخامس جعل التحول بعد أن نهض الناس إلى القصر، وهذا يعني أنه لم يكن بفعل دخول ابن زياد ولا خطبته..

أما الصنف الرابع الذي رتب تحول المولى الغريب عليه السلام على دخول ابن الأمة الفاجرة وخطبته، فقد قسّمناه إلى ثلاثة مجاميع، وتبين لنا أن المجموعة الأولى لم تذكر التهديد، والمجموعة الثالثة جعلت التهديد فاعلاً لكتّته أثر في الناس ففرض عليهم خذلان المولى الغريب عليه السلام فتحول بعد أن خذله الناس، لا بفعل الخطبة والتهديد..

فلا يبقى عندنا من جميع تلك الأصناف وكل من تطرق لسرد مجريات هذا الحدث سوى مجموعة واحدة من الصنف الرابع فقط.. وهؤلاء هم الذين ذكروا الحدث وفسّروه من عند أنفسهم بأنّ البطل الطالبي خاف على نفسه..

وحينئذ يكاد لا ينقضي العجب أن نعرض عن الأصناف جميعاً ونتمسك بتفسير وتحليل ذكره جماعة نكاد نظمئن أنّهم أخذوا عن بعض..

والأعجب أن يرمى من يعرض عن هذه المجموعة - بالخصوص - بالتمرد..

فما يمنع أن نجعل تلك الأصناف يعضد بعضها بعضاً، فتكشف عن تظافر متماسك يردّ «كونه انتقل خوفاً»، فيرجع إخبار إحدى مجاميع

الصف الرابع إلى رواية أصل الحدث فيؤخذ به، فيتفق هذا الصف حينئذٍ مع الجميع، ويردّ التفسير إلى قائله..
وما يمنعنا أن نأخذ المتن التاريخي الذي لا يشعرنا بما يחדش ساحة القدس الناصعة لمولانا الغريب عليه السلام، ونعرض عن المتن الذي يحمل في طياته شيئاً من السموم المرة التي قد تصرعنا وتضطرنّا للخروج عن حدّ المعرفة الراقية لسيوف سيّد الشهداء عليه السلام.

قد يقال:

رغم ما ذكرناه آنفاً، قد يقال: إنّ خروج المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام من دار المختار إلى دارهاني خوفاً على نفسه من الملاحقة، وتجنباً لتمكين العدو من نفسه، هي حالة قد لا تكون سلبية تستحقّ كلّ هذه الحساسية من كلمة «خوفاً على نفسه» تماماً كخروج سيّد الشهداء عليه السلام من المدينة خائفاً يترقب، وكخروج النبي صلى الله عليه وآله من مكّة إلى غار ثور ثمّ إلى المدينة حينما عزم المشركون على قتله!
ويجاب على ذلك:

أولاً: تفسير بين التفاسير

عرفنا قبل قليل أنّ تحوّلَه من دار إلى دار «خوفاً على نفسه» كان تفسيراً للمؤرخ، ونحن نرى أنّ ثمة تفسيرات أخرى يمكن أن تكون لهذا

التحول، وقد ذكرنا بعضها ضمن التصورات الستة، فلماذا نتمسك بالتفسير الوحيد الذي ذكره المؤرخ دون الأخذ بنظر الاعتبار التفسيرات الأخرى، وهي احتمالات مقبولة، ويكفي أنها تكون بمستوى الاحتمال على أقل التقادير.

ثانياً: تفسير لا تصريح

لو كان المولى الغريب عليه السلام قد صرح بسبب انتقاله وتحوله، أو كان أحد المقربين ممن يوثق به من قبيل مسلم بن عوسجة أو المختار أو حبيب أو أبو ثمامة الصائدي ومن كان بمستواهم في القرب من المولى الغريب عليه السلام قد صرح بذلك وأوعز التحول إلى الخوف على نفسه، لقبلنا ذلك، وغصنا في أعماق تصريحه لنستكشف العلل والأسباب فلعلنا نبلغ ذلك، فإن عجزنا عن فهمها وإدراكها نسبنا العجز إلى أنفسنا مع تصحيحنا للموقف..

وما نسب في فتوح ابن أعثم للمولى الغريب عليه السلام لا يعتد به لانفراده من جهة، وللكذب الصريح في بيان موقف هاني المترتب على الكلام المنسوب للمولى الغريب عليه السلام، من جهة ثانية، ولعدم تعبيره بالخوف على نفسه، وإنما عبّر بالتقية حتى ينظر ما يكون، ويمكن أن يفهم هذا من خلال التصور السادس «الدواعي الأمنية».

أما أن يكون المؤرخ يريد أن يفرض علينا تصوّره ويفرضه على

المولى الغريب عليه السلام - وهو بريء منه - ، فهذا ما ناباه لمعرفةنا بالمولى الغريب عليه السلام ولتخوفنا من مزاعم المؤرّخ وترهاته وسمومه .

ثالثاً: الأمر الإلهي والظروف الخاصة

يختلف موقف سيّد الأنبياء صلّى الله عليه وآله في الهجرة إلى المدينة، وموقف سيّد الشهداء عليه السلام في هجرته إلى الأرض الموعودة، مع ما نحن فيه ..
فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّما خرج من مكّة إطاعة لأمر الله - عزّ وجلّ - في ظرف خاصّ وبطريقة خاصّة ضمن تخطيط ربّانيّ مبين ليهاجر النبي صلّى الله عليه وآله في وقت معيّن وظرف معيّن وملابسات وأحداث معيّنة، فيترك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مكانه وينجو بنفسه لتحقيق غرض إلهي معيّن .

وكذلك الأمر بالنسبة لسيّد الشهداء عليه السلام، فإنّه كان يسعى إلى الأرض الموعودة والحفرة التي تنتظره، ويفضّل أن يقتل شبراً خارج الحرم المكيّ والحرم المدني، ولا يتردّد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وكلام النبي صلّى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين في أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان على موعد مع كربلاء من قبل أن يخلق الله الأرض ومَن عليها، وليس هذا موضع إثبات ذلك ..

فهذه المواقف وأمثالها تفسّر عادة تفسيراً تعبدياً أولاً ثمّ يبحث حولها وعنّها بحثاً لاستكشاف الحكمة ومعرفة الآثار والنتائج ..

والحال أنَّ المولى الغريب عليه السلام كان في نفس الأرض الموعودة التي سعى إليها ليرزق الشهادة التي بشر بها النبي صلى الله عليه وآله وسيّد الشهداء عليه السلام.. فهو قد دخل حيّز التنفيذ للأوامر الإلهيّة الغيبية منذ أن دخل الكوفة وتنوّرت أرجاؤها بنور وجهه..

رابعاً: الفرق بين المواجهة والتوقّي

لا يقاس موقف أشرف الخلق وسيّد الكائنات النبي الأمين صلى الله عليه وآله ليلة المبيت والهجرة إلى المدينة بموقفه في بدر وأحد وغيرها من المشاهد والحروب، وهذا فارق كبير محسوس لكلّ ذي عينين، فهل يمكن - والعياذ بالله - أن يفترض في رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو تصوّراً وخيالاً، أن يخاف ويفرّ وهو في المواجهة مع العدوّ خوفاً على نفسه من القتل؟! حاشاه...

وكذا في سيّد الشهداء عليه السلام، هل يمكن أن يتصوّر أحد - ولو خيالاً - معنى الخوف والفرار - والعياذ بالله - في حقّ سيّد الشهداء عليه السلام بعد أن حوصروصرت الحرب أسنانها في كربلاء؟!

والحال أنَّ المولى الغريب عليه السلام كان في ساحة مواجهة وميدان تقابل، وظرف خاص لا يشبه مشهد النبي صلى الله عليه وآله عند الهجرة، ومشهد خروج سيّد الشهداء عليه السلام من المدينة، ولما شابهها من المشاهد، والخوف من العدوّ على النفس في مثل هذا الظرف منقصة، وربما دخل

تحت عناوين الفرار من الزحف، وهذا الفرض لا يمكن تصوّره في البطل الهاشمي والضرغام الطالبي والأسد العقيلي والليث الهصور والسيف المسلول من سيوف سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء ؑ، بل هو تجنّي عليه وبهتان عظيم!

خامساً: التحييز إلى فئة

ربما يقال: إنّ تحوّل المولى الغريب ؑ كان من باب التحييز إلى فئة في الحرب، ولا بأس في ذلك بعد أن استثناه الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ ذُبْرُهُ إِلَّا الْمُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ..

أجل! لا بأس بتفسير الموقف على هذا الأساس، وهو ما يتفق مع التصوّر السادس الذي ذكرناه في تفسير أسباب التحوّل «الدواعي الأمنية»، فإن كان المولى الغريب ؑ قد اتخذ هذا القرار ليفرض سطوته وتسلّطه على المشهد، ويحتلّ الموقع الأفضل في المواجهة المقبلة بكلّ أبعادها ودواعيها أمنية كانت أو غيرها، فإنّ ذلك من عزم الأمور، وهو المفروض في البطل المجرب والمقاتل الخبير الذي خبر أهل الكوفة ومارس العمل معهم وعالجهم منذ أيام عمّه أمير المؤمنين ؑ.

بيد أنّ هذا الفرض لا ينسجم مع تفسير المؤرّخ بالخوف على نفسه، فإن كان هذا هو مقصود المؤرّخ، - وهو ليس كذلك جزماً كما

يبدو من عبارته ـ، فلا بأس، ولكن يبقى تعبيره غير مؤدّب وغير مؤدّي للغرض، وقاصر عن رسم الصورة كما ينبغي..

وقت دخول المولى الغريب عليه السلام دار هاني

صرح الدينوري أَنَّ المولى الغريب عليه السلام خرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة ^(١)، هكذا بالتنكير، وكأنَّه يريد أن يفصل بين الخروج ووقت العتمة الذي يتبادر منه وقت صلاة العشاء.

وربما قصد أنَّه عليه السلام خرج بعد أن ذهب هزيع من الليل، أو ما عبَّر عنه ابن أعثم بقوله: «فخرج من الدار التي هوفيها في جوف الليل» ^(٢)، وعبارته تفيد التوغَّل في ظلمة الليل أكثر حتَّى بلغ الجوف! فيما أطلق ابن شهرآشوب «الليل» ^(٣)، ليشمل الوقت من بعد العتمة وجوف الليل

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٨.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ١٨٠.

وكل ما يصدق عليه لفظ الليل.

فيكون أوضحهم تحديداً ابن أعثم، ويلزم من قوله أن يكون قد مضى وقت معتد به من الليل، وعمّ الظلام الأرجاء، وخيم على الأجواء.

وذكر وقتان آخران:

أحدهما: ورد في المنتخب للطريحي، وحدّده بعد أن أنهى المولى الغريب عليه السلام صلاة العصر في الجامع. والآخر: عند أبي مخنف في مقتل المشهور، إذ حدّده بعد أن أنهى عليه السلام صلاة الظهر..

وقد دأب الأول على الرواية عن الثاني كما يبدو واضحاً للمتتبع، وربما كانت نسخة الشيخ الطريحي رحمته الله تختلف عن النسخة المتداولة، إذ أنّ نسخ مقتل المشهور كثيرة جداً وتختلف اختلافاً شديداً، ويتّضح ذلك جلياً لمن راجع الناقلين عنه من المؤلفين وقارن بين النسخ المخطوطة المصورة والحجرية المتوفرة.

وعلى كلّ حال، فإنّ المنتخب والمقتل المشهور يتفقان على ذكر الوقت خارج الليل، إذ هما ينصّان على الظهر والعصر، وكلا الوقتين يسبق الليل، فهما يختلفان عن المصادر المذكورة آنفاً التي نصّت على الانتقال في الليل بعد عتمة أو في جوفه..

ويلاحظ أنَّ العلماء والمؤرخين الآخرين لم يتعرّضوا لذكر وقت دخول المولى الغريب عليه السلام على هاني، إلّا مَنْ ذكرناهم - دائماً حسب فحصنا -.

كتاب سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة

ورد في بعض المصادر أنَّ ثمة كتاباً قرأه المولى الغريب عليه السلام على الناس في بيت المختار الثقفي كلما استقبل جماعة، وكان الناس يبدون تأثراً ويبكون ويعربون عن مواقفهم وعزمهم ..
ويبدو من النصوص أنَّ هذا الكتاب كان قد كتبه لهم سيد الشهداء عليه السلام، جواباً على كتبهم ورسلم التي أرسلوها إليه يدعونه فيها إلى الكوفة ويعلنون فيها النصر والبيعة ..

إشارة إلى كتب القوم ورسلمهم

الذين كتبوا الى الحسين ؑ ينقسمون إلى عدّة أصناف، ويصطّفون في عدّة صفوف، يختلفون باختلاف النوايا والأهداف والتصورات والعقائد والخيارات والاختيارات، وقد كشفت مواقفهم عن نواياهم وأهدافهم، والعبرة بالعاقبة.

الفريق الأوّل: الانتهازيّون والمنافقون

وهم أكثرية بين الرؤوس وكبار الشخصيات، وأقلية كانت تنتشر في المجتمع الكوفي يومئذٍ، وهم إنّما كاتبوا سيّد الشهداء الحسين ؑ طمعاً في الدنيا، وحبّاً للدعة، وانتهازاً للفرص، وركوباً للموجة التي كانوا يستشرفون منها جني قِطاف العيش الرغيد الذي استروحوه يوم ماجت الكوفة بذكر الحسين ؑ واللجوء إليه فراراً من الحكم الأمويّ الذي

اهتزّت أركانه بهلاك القرد المترهل معاوية.

ويمكن استكشاف ذلك من نصّ الكتاب الذي أمضاه جماعة انتهازيين من أمثال شبت بن ربعي وحجّار وعزرة بن قيس وأمثالهم. فقد كتب شبت بن ربعي، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد ابن عمير التميمي:

«أما بعد، فقد اخضرّ الجنب، وأينعت الثمار، وطمّت الحمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجتّد، والسلام عليك».

فكلام هؤلاء الأوغاد يتركّز على جنّات خضراء، وثمار يانعة، وآبار طامية، وزروع باسقة، تنتظر القطاف، وجني الثمار، وهم في رفاهية من العيش، ودعة من الحياة، فإن شاء الحسين عليه السلام فليقدم، لأنّ الناس ينتظرونه.. الناس ينتظرونه، أمّا هم أنفسهم فإنّهم ينتظرون القطاف، فإذا جاء كانوا هم معه، وقد قدّموا لذلك مع من قدّم، وسجّلوا موقفاً مع من سجّل، وإن لم يأت ريحانة النبي الحسين عليه السلام فليأت غيره، ولا خطر عليهم في ظلّ الغير لأنّهم منه.

ثم إنهم قالوا: «إذا شئت فاقدم على جند لك مجتّدة»، فكأنّهم يريدون إخباره عليه السلام بما يجري من بيعة الناس له، ولا يريدون أن يعلنوا له عن استعداد البتّة، فلا يريدونه أن يقدم عليهم إماماً وأميراً يحاربون

تحت لوائه، فهم يقولون: «أقدم على جند لك»، ولا يقولون: أقدم علينا
فإتنا جند لك!

وهكذا هم أصحاب هذا الفريق.. متقلبون، متزلفون، انتهازيون،
يميلون مع كل ربح ترحل بهم إلى مآربهم وأطماعهم، فإذا كانت الدنيا
مع الأدعياء ركعوا لهم، وتزلفوا إليهم، وتخذقوا في خنادقهم.

الفريق الثاني: الشيعة والمؤمنون

وثمة فريق آخر كتب يخاطب الإمام الحسين عليه السلام معتقداً بإمامته
وقيادته، ومتذمراً من الحكم الأموي المنحرف، وهارباً من ظلم المتمردين
على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، وملتجئاً إلى العدل المطلق، ومعلنأ عن
استعداده للموت بين يدي الحق، ونلاحظ ذلك في نموذج آخر من
الكتب التي وصلت إلى الحسين عليه السلام من شيعته:

روى الطبري وغيره عن محمد بن بشر الهمداني قال:

«اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك
معاوية، فحمدنا الله عليه.

فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً
قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته
وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه،
فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفسل، فلا تغرؤا الرجل من

نفسه .

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه .

قال: فاكتبوا إليه .

فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي، من سليمان بن صرد،
والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته
من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:

سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد:
فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على
هذه الأمة، فابتزّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضى
منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة
بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ،
والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا
نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أثك قد أقبلت إلينا أخرجناه
حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك».

وفي لفظ ابن أعثم:

«وهذا حسين بن علي قد خالفه، وصار إلى مكّة خائفاً من

طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله،
وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه
ومجاهدو عدوّه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفسل، فلا
تغزّوا الرجل من نفسه، فقال القوم: بل ننصره، ونقاتل عدوّه،
ونقتل أنفسنا دونه حتّى ينال حاجته»^(١)..

مقارنة بين الفريقين

قارن بين الكتابين تعرف الفريقين:

فريق يمدّ عينيه إلى زهرة الحياة الدنيا، والجنان المخضرة، والثمار
اليانعة، والمياه الجارية.

وفريق يتصوّر من الكفر والظلم والجور، ويتوق إلى الإيمان والعدل
والشهادة والحرور...

الفريق الأوّل لا يعاني من مضايقات، ولا مطاردات في ظلّ الحكم
القائم، ويرى ازدهار مسيرة العمران الدنيوي، وكلّ ما يراه هو نعم
وحدائق ذات بهجة، ونخيل باسقات حان اقتطافها، وأكل دائم يخشون
انقطاعه.

والفريق الآخر يشكو العدوّ الجبار العنيد الذي تسلّط على الأمة

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٤٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٣.

فابتزها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها... فريق لا يذكر السلطان الحاكم بسوء.

وفريق يذكره بمساوئ أفعاله وتجبره وطغيانه، ويدعو عليه بالانتقام واللعنة فيقول: فبعداً له كما بعدت ثمود.

فريق لا يشعر بفراغ الإمامة، لأنه لا يميز بين إمامة سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام، ومملك أولاد البغايا والأدعياء والطلقاء.

وفريق لا يقرّ للأوغاد بالطاعة ويستغيث ويتوسّل بالمعصوم قائلاً: «إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق».

فريق يتكلّم بضمير الغائب، وفريق ينطق بضمير المتكلّم.. فريق خائف على الإمام من طواغيت آل أبي سفيان يفديه بنفسه ليدفع عنه بالغالي والنفيس.. فريق يعدّ النصره بالنفس.. وفريق يتحدّث عن استعداد الغير..

فريق يعدّ عن جند لا يعدّ نفسه منهم، وفريق يعدّ المبادرة.. فريق يكتب بالكناية والتلويح، ويستعمل العبارات التي لا تدخل السرور على قلب الحسين عليه السلام ولا تحزن أعداءه، تماماً كما يعبر القرآن الكريم: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، ولو وقع الكتاب بيد أعداء الإمام

الحسين عليه السلام فإنّ فيه متّسع، ومجال اعتذار، ومدح مبّطن يكشف بعد شرح ما بين السطور من كلماتهم، وهم لا يذكرون هلاك الطاغية، ولم يبدوا فرحاً بضعف الدولة الحاكمة في الشام، ولم يتعرّضوا للوالي الممثل له في الكوفة.

وفريق يصرّح بالبراءة من أعداء الله وأعداء الإمام الحسين عليه السلام، ويحمد الله على هلاك الطاغية، ويعلن استعداداه لمواجهة الوالي الممثل له في الكوفة.

«والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله».

ولا يخاف هؤلاء في الله لومة لأئم، ويعرض الدنيا خراباً تنتظر يد الرأفة الحسينيّة لتمسح عليها، وتنفخ فيها روح الحياة والعمران.

الفريق الثالث: التائهون الضالّون

لعلّ هذا الفريق كان يمثّل شريحة كبيرة في المجتمع الكوفي يومذاك، لأنّ الشيعة كانت أقلّيّة، ورؤوس الضلال والمنافقون المتحرّبون أيضاً لم يكونوا أكثرية، وغالبية المجتمع الذين شكّلوا سواد الجيش الأمويّ الذي حارب سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، كانوا ممّن تربّى على موائد السلطان، وحلت دنياهم الهزيلة في أعينهم، واتبعوا العجل والسامري،

وأشرب حبّهم في قلوبهم، وذاقوا وبال ما قدّمته أيديهم، فهم في زيّهم وضلالهم يتردّدون، وقد أحسّوا بضعف أركان مساكن الظالمين التي سكنوها، وشعروا بفراغ القائد والإمام، وماجت الكوفة يومها بأهلها، وارتفعت الصرخات وعلا الضجيج وشقّ أجواء المدينة التائهة الحائرة يهتف بالإمام، فهتفوا مع مَنْ هتف، وهم لا يفرّقون بين أن يكون إمامهم الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة، أو يزيد بن معاوية البغيّ ابن البغيّ، ولكنّهم يطلبون الإمام ويريدون الراية التي تجمعهم وتوحّد كلمتهم ضمن المقاسات المرسومة في قلوبهم، بعد هلاك السلطان!

فهم يريدون الإمام ويهتفون بذلك، لا اعتقاداً بإمامة سيّد الشهداء عليه السلام المنصوصة من قبل الله التي نزل بها الروح الأمين من عند ربّ العالمين على لسان سيّد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله.

ولهذا شرح لهم ريحانة النبي صلى الله عليه وآله معنى الإمام باختصار في جواب رسائلهم، ليكونوا على علم من دعوتهم له، فالإمام كما يرسمه الإمام الحسين عليه السلام:

«فلعمري! ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله» ^(١).

(١) اقتباس من كتاب «مسلم بن عوسجة أوّل شهداء الله في معسكر الحسين عليه السلام» للمؤلف، ويمكن ملاحظة تفاصيل أكثر في تقسيم المجتمع

هذا باختصار شديد - ربما كان محلاً - بيد أنه يكفي، لأن دراسة كتب الكوفيين ومضامينها ومرسلوها خارج عن محلّ البحث هنا، وإنما قدّمنا هذه الإشارة السريعة الخاطفة لتكون إضاءة على الكتاب الذي أرسله لهم سيّد الشهداء عليه السلام، وذكرت بعض المصادر أنّ المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام قرأه على أهل الكوفة..

حامل الكتاب

إمعان النظر في النصوص يفيد تقسيمها إلى عدّة طوائف حسب ما ورد فيها من تحديد للجهة التي دفع سيّد الشهداء عليه السلام إليها الكتاب، وسنترك ذكر نصوصهم باعتبار أنّنا سنذكرها فيما يلي مع متن الكتاب:

الطائفة الأولى: بيد الرسل

فقد نصّ الدينوري والطبري والشيخ المفيد والفتال وابن الجوزي أنّ سيّد الشهداء عليه السلام دفع الكتاب مع آخر الرسل إليه، وهما هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي.

وقال ابن الصبّاغ وغيره:

«أرسله صحبة قاصديهم».

الطائفة الثانية: بيد المولى الغريب عليه السلام

قال ابن أعثم وابن شهر آشوب وسبط ابن الجوزي والسيد ابن طاووس وابن كثير أنه عليه السلام دفع الكتاب إلى المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام.

الطائفة الثالثة: عدم التصريح بأحد

لم يصرح بدفعه إلى أحد بعينه كلاً من الطبرسي وابن الأثير والنويري وابن نما والطريحي والمقتل المشهور لأبي مخنف، واكتفى بقوله: دعا بمسلم بن عقيل وسرّحه مع فلان وفلان، أو دعا بمسلم فقط وتعابير من هذا القبيل..

وأضمر مثل ابن خلدون واكتفى بقوله: فأجابهم الحسين عليه السلام وذكر الكتاب..

معالجة أقوال الطوائف الثلاث

لما كانت الطائفة الثالثة قد أعرضت عن ذكر من دفع إليه الكتاب، فهي تنسجم مع الطائفتين الأولى والثانية جميعاً.

أمّا الطائفة الأولى، فيمكن أن يقال فيها أنّ المسوّغ لدفعها إلى الرسل أنّهم جاءوا وكانوا آخر الرسل، كما صرّح أصحاب نصوص هذه الطائفة، فهم ينتظرون الجواب ليرجعوا به إلى مرسلهم.

بيد أنّ سؤالاً يبقى حائراً، وهو: لماذا يدفع سيّد الشهداء عليه السلام

الكتاب إلى هؤلاء الرسل مع وجود المفضّل عنده من أهل بيته والمبرز بالفضل، وهو السفير والمبعوث المرسل من قبله عليه السلام إلى أهل الكوفة؟! سيّما إذا لاحظنا أنّ الرسل رجعوا مع المولى الغريب عليه السلام وفي صحبته أو في نفس الوقت على أقصى التقادير.

فربما قصد المؤرّخ تهميش دور المولى الغريب عليه السلام من خلال ذلك، وكأنّ الرسل أولى منه في حمل الكتاب.. فلو أنّ سعيداً وهانئاً وظّفا في تبليغ أهل الكوفة جواب سيّد الشهداء عليه السلام، فما هو دور مسلم بن عقيل السفير المبعوث لهم؟!

أضف إلى ذلك أنّ كتاب سيّد الشهداء عليه السلام كان لعموم من كاتبه والرسولان قاصدان لجماعة معيّنة، فيناسب أن يكون الجواب بيد المبعوث للجميع..

إلا أن يقال: إنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد دفع نسختين من الكتاب إحداها للرسول والأخرى إلى المولى الغريب عليه السلام، وهو احتمال ربما أجاب على السؤال لو كان في المتون ما يساعد عليه، وليس الأمر كذلك. بل صرّحت بعض المصادر أنّه كتب كتاباً واحداً إليهم جميعاً..

متن الكتاب

يبدو من خلال الفحص أنَّ أوَّل من ذكر كتاب سيّد الشهداء عليه السلام لأهل الكوفة جواباً لكتبتهم ورسلمهم إنّما هو الدينوري، ثمّ تلاه الطبري وابن أعثم ومَن جاء من بعدهم.. أمّا من سبق الدينوري كابن سعد وابن قتيبة والبلاذري، وكذا فعل اليعقوبي والذهبي، فقد اكتفوا بذكر إرسال المولى الغريب عليه السلام إلى أهل الكوفة وقال البلاذري:

«فأجابهم على آخر كتبتهم»^(١)..

ويبدو أنَّ ثمة نسختين للكتاب:

(١) انظر: الطبقات لابن سعد: ٤ / ١ - ٢٩، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٤، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، جمل من أنساب الأشراف: ٢ / ٣٣٤، ٣ / ٣٧٠، ٤٢٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٦٩، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٥.

إحداهما: اتَّفَقَ المشهور على مضمونها وإن اختلفت العبارة.

والأخرى: نسخة ابن أعثم، وهي تحتوي المضمون المشهور مع إضافات خاصّة به تتناسب مع منهجه في التعامل مع قيام سيّد الشهداء عليه السلام.

ولهذا سنقسم البحث في الكتاب وفق النسختين:

النسخة الأولى: المشهورة

وردت النسخة الأولى للكتاب في المصادر بألفاظ شتى، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة تتَّفَقُ كلُّ مجموعة بمضمون يختلف عن المجموعة الأخرى من حيث التفصيل والإجمال وذكر بعض المعاني والمطالب الإضافيّة:

اللفظ الأوّل: الدينوري ومَن بعده

ورد اللفظ الأوّل عند الدينوري، ثمّ تلاه الآخرون، وهو يتضمّن تحديد المخاطبين والسلام عليهم وإخبارهم بورود كتبهم إليه وفهمه ما ذكروا من محبّتهم لقدمه عليهم، وأنه باعث إليهم المولى الغريب عليه السلام أخاه وابن عمّه وثقته من أهل بيته مسلم بن عقيل، وحدّد فيها مهمّة مبعوثه إليهم بتحريّ كنه أمرهم وكتابته بما يتبيّن له من اجتماعهم، فإن وافق أمرهم كتبهم وإخبارات رسلهم أسرع بالقدوم عليهم:

قال الدينوري:

«فكتب الحسين إليهم جميعاً كتاباً واحداً، ودفعه إلى هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله، نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى من بلغه كتابي هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة، سلام عليكم، أما بعد، فقد أتني كتبكم، وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدمي عليكم، وأنا باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل، ليعلم لي كنه أمركم، ويكتب إلي بما يتبين له من اجتماعكم، فإن كان أمركم على ما أتني به كتبكم، وأخبرتني به رسلكم، أسرعت القدم عليكم، إن شاء الله، والسلام»^(١)..

وقال ابن الجوزي:

«وتلاقت الرسل كلها عنده. فقرأ الكتب، وكتب مع هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبيد الحنفي، وكانا آخر الرسل: بسم الله الرحمن الرحيم. من حسين بن علي إلى الملامن المؤمنين والمسلمين. أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي، وكانا آخر من قدم من رسلهم، وقد بعثت أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرت أن يكتب إلي بحالكم، فإن كتب

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

إلَيَّ أَنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيَ مِلَّتِكُمْ وَذَوِي الْحِجَى وَالْفَضْلَ مِنْكُمْ عَلَى
مِثْلِ مَا قَدِمْتُ بِهِ عَلَيَّ رِسْلَكُمْ، قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى» (١).

وقال سبط ابن الجوزي:

«... فحِينَئِذٍ بَعَثَ إِلَيْهِمْ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا: قَدْ
بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَأَمَرْتُهُ أَنْ
يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ، فَإِنْ كُتِبَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ رَأْيُ مِلَّتِكُمْ
وَذَوِي الْحِجَى مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ مَا قَدِمْتُ بِهِ رِسْلَكُمْ، قَدِمْتُ
عَلَيْكُمْ، وَإِلَّا لَمْ أَقْدَمْ وَالسَّلَامُ. ثُمَّ دَعَى مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ،
فَبَعَثَهُ مَعَ قَيْسِ بْنِ مَسْهَرِ الصِّدَاوِيِّ، وَعِمَارَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
السلولي، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْحَبِيِّ، وَأَمَرَهُ بِكُتْمَانِ
الْأَمْرِ» (٢).

وقال الشبلنجي:

«فَكُتِبَ إِلَيْهِمُ الْحُسَيْنُ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ وَصَلَنِي كِتَابُكُمْ، وَفَهَمْتُ
مَا اقْتَضَتْهُ آرَائُكُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَثِقَتِي وَابْنَ عَمِّي
مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ، وَسَأَقْدُمُ عَلَيْكُمْ إِثْرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٨.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٧، ١٣٩-١٤٠.

وأرسل مسلم بن عقيل إليهم صعبة قاصديهم»^(١) [عن
الفصول المهمة].

وقال القندوزي:

«فكتب إليهم: إني أرسلت إليكم ابن عمي مسلم، فاسمعوا له
وأطيعوه، وقد أمرته باللطف فيكم، وأن يرسل إليّ بحسن
رأيكم، وما أنتم عليه، وأنا أقدم عليكم إن شاء الله تعالى»^(٢).

اللفظ الثاني: الطبري ومن تلاه

تضمّن هذا اللفظ ما ورد في اللفظ الأوّل وزيادة ذكر فيها سيّد
الشهداء عليه السلام بشيء من التفصيل مجمل ما وردت به كتبهم ورسلمهم
ومقالة جلهم: أنّه ليس عليهم إمام، وأنّهم يطلبون منه أن يقبل عليهم
لعلّ الله أن يجمعهم به على الهدى والحقّ، ثمّ ختم الكتاب بوصف
الإمام بقوله: «فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط،
والدائن بالحقّ، الحابس نفسه على ذات الله»..

قال الطبري:

«وتلاقت الرسل كلّها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦، ثورة الحسين عليه السلام للشيخ باقر القرشي: ٢ / ٣٣٩

عن وسيلة المآل (ص ١٨٦) من مصوّرات مكتبة الإمام الحكيم.

(٢) ينابيع المودّة للقندوزي: ٣٣٥.

الناس، ثم كتب مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وكانا آخر الرسل:

بسم الله الرحمن الرحيم. من حسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين والمسلمين: أما بعد، فإن هانئاً وسعيداً قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي، أنه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»^(١).

وقال المفيد، الفتال:

«ثم كتب مع هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله، وكانا آخر الرسل:

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملائمة

المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإنّ هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنّّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ والهدى، وإنيّ باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام» (١).

[فلعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، الحابس نفسه على ذات الله].

وقال الطبرسي:

«فلما قرأ الكتاب وسأل الرسل كتب إليهم: من الحسين بن عليّ إلى الملائمة المؤمنين:

أما بعد، فإنّ فلاناً وفلاناً قدما عليّ بكتبكم، وفهمت مقالة جلّكم: إنّّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨.

الحقّ. وإنيّ باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهلي،
فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذووا الحجى والفضل
منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأته في كتبكم
أقدم عليكم، وشيكاً إن شاء الله تعالى.

فدعا بمسلم بن عقيل، فسرّحه مع قيس بن مسهر
الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي وعبد الرحمان بن
عبد الله الأزدي»^(١).

وقال ابن شهر آشوب:

«فاجتمعت الرسل كلّهم عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن
أمر الناس، ثمّ كتب مع مسلم بن عقيل:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من
المسلمين والمؤمنين، أمّا بعد، فإنّ هائناً وسعيداً قدما عليّ
بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ
الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنّّه ليس لنا إمام،
فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى. وأنا باعث إليكم
أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليّ أنّه قد
أجمع رأي أحداثكم [؟] وذوي الفضل منكم على مثل ما

قدمت به رسلكم، وتواترت به كتبكم، أقدم عليكم، وشيكاً إن شاء الله، ولعمري ما الإمام إلا الحاكم القائم بالقسط، الدائن بدين الله، الحابس نفسه على ذات الله» (١).

وقال ابن الأثير، النويري:

«فكتب إليهم الحسين عند اجتماع الكتب عنده: أما بعد، فقد فهمت كل الذي اقتضتكم، وقد بعثت إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملتكم وذوي الحجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، أقدم إليكم، وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والقائم بالقسط، والدائن بدين الحق، والسلام. ثم دعا الحسين مسلم بن عقيل، فسيره نحو الكوفة، وأمره بتقوى الله، وكتمان أمره واللفظ، فإن رأى الناس مجتمعين له عجل إليه بذلك» (٢).

وفي المقتل لأبي مخنف (المشهور):

«فلما قرأ الكتب جميعاً كتب الجواب في كتاب أوله: بسم الله

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٥٠.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٦.

الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي عليه السلام إلى الملائكة من المؤمنين: أما بعد، فإن هائلاً وسعيداً قدما إليّ بكتبكم، وكنا آخر من قدما إليّ من رسلكم، وقد فهمت ما ذكرتموه أنه ليس لكم إمام غيري، وتسالوني القدوم إليكم، لعل الله يجمعكم على الحق والهدى، وإني باعث إليكم أخي وابن عمي المفضل عندي من أهل بيتي مسلم بن عقيل عليه السلام، وقد أمرته أن يكتب إليّ بحسن رأيكم، وما أنتم عليه وأنا أقدم إليكم إن شاء الله تعالى.

ثم دعا بمسلم بن عقيل، ووجه معه قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وأمره بتقوى الله واللفظ بالناس، فإن رأى الناس مجتمعين على رأيه يعجل له بالخبر»^(١).

اللفظ الثالث: المقتضبة

تضمّن اللفظ الثالث معاني اللفظين الأولين لكن باختصار، فمن استقى معلومته التاريخية من اللفظ الأول اختصره، ومن استقاها من اللفظ الثاني اختصره، فهو بالتالي أحد اللفظين منقول بشيء من

(١) المقتل لأبي مخنف (المشهور): ١٩.

التصرّف والاختزال:

قال ابن نما:

«ودعا مسلم بن عقيل وعزّفه ما في نفسه وأطلعه على أمره.
وعن داود بن أبي هند عن الشعبي، قال: بايع الحسين عليه السلام أربعون
ألفاً من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب، ويسالموا من سالم.
فعند ذلك ردّ جواب كتبهم يمتّهم بالقبول، ويعدّهم بسرعة
الوصول، وأنه قد جاء ابن عمّي مسلم بن عقيل ليعرّفني ما أنتم عليه
من رأي جميل.

ولعمري ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن
بدين الحقّ، الحابس نفسه في ذات الله. وأمر مسلم بالتوجّه بالكتاب
إلى الكوفة» (١).

ابن طاووس:

«ثمّ طلب مسلم بن عقيل، وأطلعه على الحال، وكتب معه
جواب كتبهم يعدّهم بالقبول، ويقول ما معناه: قد نفذت
إليكم ابن عمّي مسلم بن عقيل ليعرّفني ما أنتم عليه من رأي
جميل» (٢).

(١) مشير الأحران لابن نما: ١١، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٧.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ٣٦.

ابن كثير:

«فعند ذلك بعث ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتمّاً وأمرّاً حازماً محكماً، بعث إليه ليركب في أهله وذويه، ويأتي الكوفة ليظفر بمن يعاديه، وكتب معه كتاباً إلى أهل العراق بذلك» (١).

ابن خلدون:

«فأجابهم الحسين: فهمت ما قصصتم، وقد بعثت إليكم ابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، يكتب إليّ بأمركم ورأيكم، فإن اجتمع ملؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم، أقدم عليكم قريباً، ولعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق» (٢).

الطريحي:

«فلما وقف الحسين على الكتب وقرأ ما فيها، سألهم عن أمور الناس، وكتب إليهم كتاباً يذكر فيه: إنّي قد أنفذت إليكم أخي وابن عمّي والمفضّل عندي مسلم بن عقيل بن أبي طالب،

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

فاسمعوا له وأطيعوا رأيَه، وقد أمرته باللفظ فيكم، وأن ينفذ إليّ بحسن رأيكم، وما أنتم عليه، وأنا أقدم عليكم إن شاء الله. ثم دعا بمسلم، فأنفذه مع دليلين، يدّله على الطريق»^(١).

تنبيه هام:

التفريق بين كتب القوم ومطالبهم وردود سيّد الشهداء عليه السلام

ينبغي الالتفات إلى نقطة في غاية الأهمية في المقام، ويمكن تلخيصها بكلمة:

ربما يلاحظ ثمة اختلاف بين مضامين كتب القوم إلى سيّد الشهداء عليه السلام ومطالباتهم وشعاراتهم وأغراضهم المرسومة فيها، ومضامين كتب سيّد الشهداء عليه السلام وما احتوته من أوامر وتعليمات، أو شعارات وأهداف وأغراض مرسومة فيها..

فربما رفعوا شعارات ورسموا أهدافاً لدعوتهم لسيّد الشهداء عليه السلام ليقدم عليهم، فليس بالضرورة أن تُحمّل هذه الشعارات والأهداف على حركة سيّد الشهداء عليه السلام وقيامه، فيقال: إنّ الإمام عليه السلام أيضاً كان يرفعها ويقصدها كما وردت في كلام القوم وضمن تصوّراتهم وأمانيتهم..

أهداف سيّد الشهداء عليه السلام وأغراضه وشعاراته المرفوعة في قيامه لا

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٢.

تُقتنص ولا تدرك ولا تحسب عليه إلا إذا كانت صادرة عنه مرضية لديه
 قد صرّح بها نفسه في كتاب أو خطاب أو كلام.. فلو أنّهم زعموا في
 كتبهم وخطاباتهم الحماسية أنّهم يدعون الإمام ليزيل حكم القروود
 ويطردها عن منبر الرسول صلّى الله عليه وآله ويتسمّ ذروته ويحكم بما أنزل الله فيهم
 وغيرها من الشعارات والصرخات التي قد تسمع منهم.. فإنّ هذا لا
 يسوّغ لنا أن نقول: إنّ هذه نفسها مقاصد كانت للإمام في حركته، ما لم
 نسمع منه تأييداً أو تصريحاً يفيد ذلك..

وهذا البحث واسع يحتاج إلى ذكر النماذج والأمثلة، بيد أنّنا أشرنا
 إليه هنا إشارة سريعة كعنوان لا أكثر، وليبانه - تفصيلاً - محل آخر،
 وسنسمع في ثنايا البحث ما يصلح أن يكون مثلاً لذلك.

مضامين الكتاب

يمكن استخلاص ما ورد من مضامين في مجموع الألفاظ السابقة للكتاب:

المضمون الأوّل: المخاطب بالكتاب

لا شك أنّ الإمام سيّد الشهداء عليه السلام إنّما خاطب في كتابه هذا أهل الكوفة ولم يوجّه خطابه إلى غيرها من الأمصار باعتبار أنّهم هم الذين كاتبوه وأرسلوا إليه رسلهم ودعوه لينصروه، وقد حدّد سيّد الشهداء عليه السلام ذلك في نصّ الدينوري بقوله:

«إلى من بلغه كتابي ... بالكوفة»..

فالكتاب متوجّه إلى مصر من الأمصار بالذات، ولغرض الجواب على كتبهم ورسلهم بالذات، وفي ذلك الظرف الزماني بالذات، فلا بدّ

من فهمه ضمن هذه الأطر الثلاث ..

المضمون الثاني: التمييزين المخاطبين

لم يحدّد المخاطب في مجموعة اللفظ الأول من المؤرخين سوى أولهم الدينوري، أما الآخرون فقد تغافلوا عن ذلك، فلم يتعرّض لذلك ابن الجوزي وسبطه والشبلنجي والقندوزي، وكذا فعل من جماعة اللفظ الثاني ابن الأثير والنويري.

ولا يدرى هل أنهم بتروا من نصّ الكتاب اختصاراً، أو لأني غرض آخر كان، أو أنّ سقطاً أو سهواً قد حصل .. وكذا يقال فيمن قدّم وآخر.. ويمكن ملاحظة التمييز في الخطاب ضمن ثلاث مستويات:

المستوى الأول: التمييز

اختلف من ذكر المخاطبين في التمييز إلى ثلاث:

التمييز الأول: الأولياء والشيعة

قال الدينوري:

«من الحسين بن علي إلى من بلغه كتابي هذا من أوليائه
وشيعته بالكوفة: سلام عليكم» ..

التمييز الثاني: المؤمنون والمسلمون

قال الطبري، المفيد، الفتال:

«من حسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين والمسلمين»..

وقال ابن شهرآشوب:

«من المسلمين والمؤمنين»..

التمييز الثالث: المؤمنون

قال الطبرسي والمقتل المشهور لأبي مخنف:

«من الحسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين»..

المستوى الثاني: إمكان اختصاص الخطاب بالمؤمنين

ميّز لفظ الكتاب برواية الدينوري بذكر عنوانين «أوليائه»

و«شيعة»، وميّز لفظ الطبري ومن بعده بذكر عنوانين أيضاً «المؤمنين»

و«المسلمين»، وما جاء في لفظ ابن شهرآشوب فهو نفس ما ورد عند

الطبري والفرق بالتقديم والتأخير.

أمّا ما ذكره الطبرسي والمقتل المشهور لأبي مخنف وابن أعثم - كما

سنسمع - من تخصيصه بعنوان «المؤمنين»، فهو إما سقط أو إسقاط،

لوضوح أنّ مخاطبي سيّد الشهداء عليه السلام لم يكونوا من نط واحد، بل هم

أنسجة مختلفة متكررة الألوان متعدّدة الصفات، وخليط غير متجانس

من الشرائح الاجتماعية الممتدة من أقصى الطهارة والنبيل والولاء والطاعة لسيد الشهداء عليه السلام إلى أقصى الحقد والبغضاء والنصب والعداء، وما بينهما من رتب ودرجات وزبد متراكم وغوغاء، وقد أتينا على تفصيل ذلك في بعض دراساتنا عن المولى الغريب عليه السلام..

المستوى الثالث: التمييز بين المسلمين والشيعة والمؤمنين

تبين أنَّ ثمة عنوانين تنضوي تحتها الشرائح الاجتماعية التي خاطبها سيد الشهداء عليه السلام في كتابه:
أحدهما: خاطبهم سيد الشهداء تحت عنوان «المسلمين»،
و«الشيعة»..

والآخر: عنوان الأولياء والمؤمنين..

والمسلمون والشيعة هم الأكثرية الكاثرة التي كانت تكتسح المجتمع ذلك اليوم من أتباع السقيفة وإفراقات المد الأموي..
وقد استعمل سيد الشهداء عليه السلام هنا لفظ «الشيعة» بالمعنى اللغوي والمقصود منهم الأتباع مطلقاً ممن أعلن النصر يومها وأعرب عنها من خلال المكاتبات والمراسلات، لأيّ غرض من أغراضهم على تشعب آرائهم واختلاف مصالحهم ومقاصدهم من وراء تلك المكاتبات، وقد أتينا على تقسيماتهم في كتاب معركة القصر وغيره..

وقابل عنوان «الشيعة» في نسخة الدينوري عنوان «الأولياء»، وفي

نسخة الطبري «المسلمين» مقابل «المؤمنين»، ومن الواضح جداً أنَّ أهل البيت عليه السلام فرقوا في أدبيّاتهم وكلماتهم بين «المسلم» و«المؤمن»..

المضمون الثالث: إخبارهم بوصول الكتب وخلاصتها

لقد أخبر سيّد الشهداء عليه السلام المكاتبين والمراسلين أنَّ كتبهم قد أتته ووصلت إليه، ثمّ لخصّ لهم ما احتوتها كتبهم بالمحور الأساسي الذي كانت تحويه جميعها، بيد أنَّ ألفاظ الدينوري وألفاظ الطبري اختلفت في التفصيل والإجمال:

المحتوى الأوّل: كتاب الدينوري ومن تبعه

قال الدينوري:

«فقد أتني كتبكم، وفهمت ما ذكرتم من محبّتكم لقدومي عليكم»..

اقتصر الكتاب حسب هذا اللفظ على الإخبار بوصول الكتب وأنّه قد فهم ما ذكروا، وهو محبة القوم أن يقدم عليهم سيّد الشهداء عليه السلام، من دون ذكر للأسباب ولاتعليق عليها سوى الموقف الذي اتّخذه سيّد الشهداء عليه السلام ليكون جواباً على دعواتهم من خلال إخبارهم أنّه سيبحث إليهم المولى الغريب عليه السلام في مهمّة خاصّة محدّدة المعالم..

المحتوى الثاني: كتاب الطبري ومَن تبعه

قال الطبري:

«فإنَّ هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ»..

ويمكن تلخيص ما في هذا المقطع من الرسالة حسب لفظ الطبري ومن تبعه، في النقاط التالية:

النقطة الأولى: الفرق بين محبة القدوم ورجاء الاجتماع على

الهدى والحقّ

يلاحظ أنّ الدينوري فقطّ ذكر ملخصاً من رسائل القوم إلى سيّد الشهداء عليه السلام ولم يتعدّ حصر ذلك بقوله «من محبتكم لقدومي عليكم»، ولم يذكر الباكون من قبيل ابن الجوزي وسبطه والشبلنجي وغيره ممّن تابع الدينوري ذلك.

أمّا الطبري ومن تابعه فقد توسّعوا في ذلك بما سمعته من ذكر مقالة جلّهم..

والفرق بين النّصّين شاسع، إذ أنّ محبة القوم قدوم سيّد الشهداء عليه السلام عليهم أعمّ بكثير ممّا ذكره الطبري، بما تضمّنه من البحث

عن إمام رجاء الاجتماع على الهدى والحقّ، فربما أحبّوا ذلك لينصروه ويوفّروا له مكاناً آمناً يمنعونه فيه ويصدّون عنه عدوان القرود والذئاب المسعورة، إذ قد سمعوا بمطاردته في المدينة ومكّة، وخروجه من هناك بعد أن خذلوه وضيعوه ولم يحفظوه، وربما شهد لذلك كلام سليمان بن صرد الخزاعي في الاجتماع الذي عقد في بيته، قال:

«يا معشر الشيعة! إنكم قد علمتم بأنّ معاوية قد صار إلى ربّه
وقدم على عمله، وسيجزيه الله - تبارك وتعالى - بما قدّم من
خير أو شرّ، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد - زاده الله خزيّاً -
وهذا الحسين بن علي قد خالفه، وصار إلى مكّة خائفاً من
طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله،
وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه
ومجاهدو عدوّه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفسل، فلا
تغروا الرجل من نفسه. فقال القوم: بل ننصره، ونقاتل عدوّه،
ونقتل أنفسنا دونه» (١) ..

فهم قد وعوا أنّ حياة سيّد الشهداء عليه السلام في خطر، وأنهم أعلنوا عن
استعدادهم للدفاع عن شخصه وقتل أنفسهم دونه!
سيّما أنّ التاريخ لم يسجّل أيّ استنصار أو استنهاض، ولا دعوة ولا

كتاب من سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة، وإنّما كانوا هم الذين بدأوا بالمكاتبة والدعوة.

النقطة الثانية: التصريح باسم آخر رسولين

ذكر الكتاب اسم الرسولين الأخيرين المتشرّفين بخدمة الإمام عليه السلام، وأكّد أنّهما آخر من وصل من الرسل، وأنّ كتابه عليه السلام كان بعدهما، وكذا كان تشريف المولى الغريب عليه السلام بمهمّة الرياد.

النقطة الثالثة: الفرق بين الكلّ والجلّ

أكّد لفظ الكتاب أنّ الإمام عليه السلام قد فهم كلّ الذي ذكره وقصّوه على سيّد الشهداء عليه السلام، واختصر ذلك بقوله:

«ومقالة جلّكم: إنّّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا

بك على الهدى والحقّ»..

نلاحظ تعبير الإمام سيّد الشهداء عليه السلام في قوله: «ومقالة جلّكم»،

ولم يقل عليه السلام «كلّكم»، والجلّ - كما في لسان العرب - معظم الشيء،

ولعلّ الإمام عليه السلام ترك هذه المسافة بين «الكلّ» و«الجلّ» لتكون

استثناءً أيدخل فيه جماعة لم تدعو الإمام بهذا اللحاظ والاعتقاد ولهذه

الحاجة.. وأشار بذلك إلى أنّ فريقاً لم تكن رسائلهم كاشفة عن مقالة

«الجلّ» التي تطالب بالإمام والإقبال عليهم ليجتمعوا على الهدى

والحق.

النقطة الرابعة: ترجي الاجتماع على الهدى والحق بالإمام!!

ربما أفاد قوله: «فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك» وقد عبّر عن مراد القوم ومقالتهم، بـ«لعلّ» التي تفيد الترجي، أنهم يتوقعون ويتربّون ويأملون من قدوم الإمام اجتماعهم على الهدى والحق، وليسوا واثقين من ذلك تمام الثقة، وهذا يكشف عن تشبّثهم وتفرّقهم ومعرفتهم بذلك من جهة.

كما يكشف عن عقيدتهم المتزلزلة المتضعضة وبصيرتهم المغبّشة المعتمة التي لا تسمح لهم أن يثقوا بالإمام عليه السلام سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء كجامع للكلمة على الهدى والحق.. وهل يمكن أن يكون أيّ موجود بعد الله والإمام المنصوب من قبله أن يجمع الناس على الهدى والحق، وهل يكون الحق في غيره، وهل يشكّ في أن يكون الهدى والحق فيه ومعه؟!

ولو كانوا من المؤمنين المعتقدين حقّاً الملازمين للحقّ الواضح والمنار اللائح لكان حقّ العبارة أن يقولوا: ليجمعنا الله أو فيجمعنا الله، أو أيّ تعبير آخر يفيد التحقيق والتأكيد للحقّ والهدى القائم بالإمام عليه السلام والاجتماع معه..

وليس معنى «لعلّ» هنا التحقق كما وردت أحياناً بهذا المعنى في

القرآن الكريم، إذ لو كان التعبير من الإمام نفسه عليه السلام لاحتمل هذا المعنى، أما والتعبير من القوم فلا، ولا يخفى أن تعبير الخالق والناطق عنه يختلف عن تعبير المخلوقين.

النقطة الخامسة: الإمام لا يتحدث عن نفسه وإنما يعبر عن

مقاتلهم

ينبغي الالتفات والتدقيق هنا وإمعان النظر في كلمات سيد الشهداء عليه السلام فهو يعبر عن مضامين كتبهم ومؤدياتها ولا يتكلم عن نفسه المقدسة، وإنما يقول: هم هكذا كتبوا ورسوموا في كتبهم وعلى لسان رسلهم، فلا يقال: إن الإمام قد صدقهم على ما يقولون، ولا أكد ما يكتبون ويزعمون، وإنما أرسل إليهم ابن عمه وثقته ليتأكد مما يقولون ويزعمون..

المضمون الرابع: إخبارهم بإرسال المولى الغريب عليه السلام

قال الدينوري:

«وأنا باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل، ليعلم لي كنه أمركم، ويكتب إلي بما يتبين له من اجتماعكم، فإن كان أمركم على ما أتني به كتبكم، وأخبرتني به رسلكم، أسرع القدوم عليكم، إن شاء الله»..

وقال الطبري:

«وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ، أنّه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله»..

* * * * *

يمكن أن نجمع الكلام فيها ضمن الإشارات التالية:

الإشارة الأولى: الاتفاق على مضمون واحد

يكاد هذان النصّان يجمعان ألفاظ باقي النصوص ومؤدّياتهم، وقد أجمعت المتنون على المضامين الواردة في هذه الفقرة من الكتاب، والاختلافات اللفظية بينها بسيطة طفيفة بأدنى تفاوت.. لذا اكتفينا بذكرهما هنا سيّما أنّنا ذكرناها قبل قليل، فلا نعيد.

الإشارة الثانية: مبادرة أهل الكوفة

ثمّة نقطة في غاية الأهميّة، ينبغي الالتفات إليها هنا، وهي أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يكتب إلى أهل الكوفة ولم يستنصرهم ولم يدعهم لنفسه، ولم يخبرهم بما يجري عليه من مضايقات وملاحقات وتهديد في

النفس والمال والأهل، ولم يطلب منهم أي شيء، وإنما بادره بذلك أهل الكوفة بمبادرة، وقد ابتدأوه بالكتب والرسل التي وصلت إلى سيّد الشهداء ؑ منهم، وكانت كثيرة جداً أحصاها بعضهم باثني عشر ألف كتاب أو يربو على ذلك، وقد ملأت خرجين، وكانت بعضها ممضاة من أسماء ورؤوس معروفة في الكوفة، لها تاريخها مع سيّد الشهداء ؑ، بغضّ النظر عن اتّجاهاتهم وأغراضهم وتوجّهاتهم..

وسواء كان المكاتبون يقصدون من مكاتبتهم ودعوتهم الإمام ؑ البحث عن إمام ربما يجمعهم على الهدى والحقّ فيخلعون ربقة الاستعباد للقرود الأمويّة، أو كانوا يقصدون نصره والذبّ عنه والدفاع عنه لئلا يقتله طواغيت بني أميّة..

كيف كان! فإنّ سيّد الشهداء ؑ لم يحبهم بنفسه!! ولم يرض منهم بالمكاتبة والوعود! ولم يعتمد عليهم ولم يعوّل على شيء من قوّتهم ومزاعمهم مباشرة..

فهم يدعونه ويؤكّدون عليه أن يقدم عليهم، والمفروض أنّهم يتوقّعون من سيّد الشهداء ؑ أن يكتب لهم بعد كلّ تلك الكتب والرسل المتوالية التي كانت تترى عليه في فترة زمنيّة وجيزة، والظروف الخطيرة والحرجة، وقد هُدّد هو وعياله وأهل بيته، وطلبت الوحوش الكاسرة دمه ولحمه، فداه العالمين، فنَبَت به مكّة وأهلها، فكانوا

يتوقعون أن يكتب لهم: إني سأقدم سريعاً، ويركن إلى وعودهم وما أعلنوا عنه من نصرته ومحبتهم لقدمه..

بيد أن سيّد الشهداء (عليه السلام) أجابهم مباشرة بإرسال المولى الغريب (عليه السلام) إليهم..

بل إن سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يجب على رسلهم وكتبهم أفراداً وجماعات، وإنما تركها من غير جواب ردحاً من الزمن، ولم يرد على كل كتاب كتاب، ولا رسول رسول، وتركها حتى اجتمعت جميعاً، فأجابهم جواباً واحداً..

الإشارة الثالثة: شروط سيّد الشهداء (عليه السلام) لقبول الدعوة

لقد كاتبه أهل الكوفة ووعدوه النصر، فلم يجبه سيّد الشهداء (عليه السلام)، وإنما أرسل إليهم أخاه وثقته وابن عمّه المولى الغريب (عليه السلام)، ووعدهم أن يقدم عليهم لكن بشروط، نذكرها لا على نحو الترتب:

الشرط الأول: توافق حالهم وأمرهم مع ما جاءت به كتبهم

ورسلهم

أن يتوافق حالهم وأمرهم ورأيهم مع ما جاءت به كتبهم ورسلهم، وأنهم قد أجمعوا واجتمعوا على ذلك..

وربما أفادت عبارة الدينوري اشتراط ذلك في كل من كاتب، إذ لم يحدّد فيها صفة أو ميزة للمجتمعين واكتفى بقوله: «ليعلم كنه أمرهم ويكتب إليّ بما يتبين له من اجتماعكم...». فيما كان المنظور في نصّ الطبري إجماع رأي الملاء وذوي الفضل والحجى..

الشرط الثاني: أن يكتب له سفيره الخاص

أن يكتب بذلك له سفيره الخاص المشرف بهذه المهمة الخاصة، فهو لا يقيم وزناً لأيّ تقييم يكتب به غيره، ولا يقبل أيّ تقييم سوى تقييمه، ومن هنا نعرف عظمة المولى الغريب معتمد خامس أصحاب الكساء عليه السلام ودقّة نظره ومعرفته العميقة بأهل الكوفة وخبرته وتسديده الربّاني الفائق الذي يجعله يميّز المواقف والعزائم ويقارنها إلى الكتب والرسائل - ولو حسب الموازين الظاهرية -، إذ أنّه كسيّده ومولاه ومولى الثقلين سيّد الشهداء عليه السلام يتعامل مع الناس حسب الظاهر.

الإشارة الرابعة: من دلالات الاشتراط

يكشف عدم استجابة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام لكلّ هاتيك الكتب والرسائل والدعوات المتواليات والصرخات، وإرسال المولى الغريب عليه السلام بعد الاشتراط، أنّ الإمام عليه السلام لم يحسب أيّ حساب لهم ولم يعتمد عليهم ولم يرض بهم أنصاراً، وهو لا شكّ يعرفهم، لأنّهم عاشوا

معه وغدروا بأبيه وأخيه وأعانوا عليهما وخانوا الله ورسوله، بغض النظر عن علم الإمامة.

وقد شكك الإمام عليه السلام فيهم وأخبرهم بذلك وهو يجيب على كتبهم جميعاً بكتاب واحد، فجميع الكتب وجميع الرسل الذين تشرفوا بخدمته وأخبروه عما يجري في الكوفة من انتظار الإمام حسب زعمهم واستعدادهم للنصرة، لم يقبله الإمام منهم، ومؤدى الشرطين، الذين صرح بهما سيّد الشهداء عليه السلام في كلامه مع سفيره، إنه سوف لن يقدم عليهم إن لم يخبره المولى الغريب عليه السلام بتوفر الشرط فيهم..

فكأنه يقول لهم: لا أستجيب لكتبكم ولا أقبل قولكم، ولا أعتد وعدكم ولا أركن إلى مزاعمكم، إلا أن يمضيها ويؤكد صحتها معتمدي وثقتي الخاصّ المبعوث لكم من قبلي لتحريّ حقيقتكم.. ونعود لنؤكد أنه تعامل معهم برحمته ولطفه حسب الظواهر، وإلا فهو الإمام العالم عن الله بهم وبالحلق أجمعين والعارف بنواياهم وعواقبهم..

فلم يقبل الإمام - إذن - دعواتهم إلا بشرط، لأنه يعرفهم، وقد شكك فيهم وفي نواياهم، وفرّق لهم بين كتابتهم ومزاعمهم ومواقفهم وعزائمهم، وكان كما قال سيّد الشهداء عليه السلام.

ومن دلالاته أيضاً: أن يجدّ القوم ويجهدوا في إبراز ما عقدت عليه ضمائرهم وشدّت عليه عزائمهم للمولى الغريب سفير الحسين عليه السلام،

وعليهم أن يثبتوا ذلك لمعتمده كي يكتب بما يراه مما أظهره وأصحروا عنه وكشفوه له .

الإشارة الخامسة: مهمّة المولى الغريب عليه السلام

لقد حدّد الكتاب مهمّة المولى الغريب عليه السلام بدقّة للناس ولمولانا المعظم معتمد سيّد الشهداء عليه السلام، ويلاحظ أنّ المهمّة التي شرف بها ثقة الحسين عليه السلام تنحصر في استطلاع وضع الناس وحالهم ومدى تطابق دعاواهم ومزاعمهم المكتوبة مع مواقفهم وعزائمهم وثباتهم على ما كتبوا، ولا يحتوي الكتاب أيّ مهمّة أخرى تتضمّن مواجهة جراء القروذ الأمويّة والسلطان والوالي وما شاكل، ولا النهوض بـ«ثورة» تؤدّي إلى الاستيلاء على الكوفة، ولا أيّ شيء من هذا القبيل ولا من قبيل آخر، وقد أتينا على تحديد مهمّة المولى الغريب عليه السلام الموكولة إليه من قبل خامس أصحاب الكساء في بداية هذه الدراسة تحت عنوان «مسلم ابن عقيل ثائر أم سفير» ..

الإشارة السادسة: وعد سيّد الشهداء عليه السلام

لقد ورد في بعض كتب العلماء أنّ سيّد الشهداء عليه السلام «قد وعدهم القبول ومناهم القدوم عليهم»، هكذا على نحو الإطلاق، وقد تبين لنا من خلال الإشارات السابقة أنّ سيّد الشهداء عليه السلام لم يعدهم القدوم ولم

يَمْنَهُمْ بذلك مطلقاً، وإِنَّمَا وعدهم وعداً مشروطاً، وقد قالوا: «أَنَّ المشروط عدم بعدم شرطه»، فلا يصحَّ أن يعبرَ عن وعده ﷺ بالإطلاق، سيَّما والجميع يعلم أنَّ هذا الاشتراط له دلالاته بالخصوص حينما يصدر من سيّد الشهداء ﷺ في تلك الظروف مع أولئك القوم بالذات المعروفين للجميع بالغدر والخيانة..

وقد توجّه الإمام ﷺ من مكّة إلى الكوفة وفق ما وصله من كتاب المولى الغريب ﷺ الذي رسم له المشهد بدقّة فائقة مذهلة، وأخبرهم عن ظاهر حالهم من الثبات والمثابرة والهيجان والغليان الذي اعتراهم اندفاعاً من منطلقاتهم ومصالحهم..

وهنا يبقى السؤال الذي لا تفسّره جميع النظريات القائمة على تصوّر قيام سيّد الشهداء ﷺ قياماً ثورياً هجومياً سواء كان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن الإسلام والمسلمين، أو القيام بقصد إسقاط حكم القروء وطردها عن منبر النبي ﷺ وكنسها عن المساجد، وإقامة حكم الله في الأرض..

إذ أنَّ المولى الغريب ﷺ قد بلغ سيّد الشهداء ﷺ بخذلان القوم ومسارعتهم إلى أحضان أبناء الفواجر الرخيصات وعكوفهم على عبادة القروء وركوعهم بين أيديها لتنزو على جباههم وظهورهم، وتكالبهم على الدنيا السائحة من صديدهم وعرقهم وقيئهم..

كما أخبره غير المولى الغريب عليه السلام بذلك وهو في الطريق.. فلماذا استمر في المسير؟! وإلى أين كانت وجهته بعد أن غرقت الكوفة في مياه الطاعة الآسنة لعبيد القرود ابن زياد وأربابه؟ ولماذا طلب الإمام عليه السلام منهم أن يذهب في أرض الله العريضة، فأبوا؟ ولماذا أبى الحرّ أن يدع سيّد الشهداء عليه السلام ليعود إلى المدينة أو يدخل الكوفة إلا أن يقبل النزول على حكم الأعداء، فاختاروا طريقاً لا يؤدّي إلى الكوفة ولا ينتهي إلى المدينة؟!

وأسئلة أخرى تبقى حائرة لا تفسّرها النظريات المشهورة في تفسير قيام سيّد الشهداء عليه السلام إلا أن يقال «بالدفاع» وأنّ بني أمية وابن آكلة الأكباد وابن الأمة الفاجرة ابن زياد كانوا يلاحقون ریحانة النبي صلّى الله عليه وآله ليقتلوه مهما كلف الأمر، أو تفسّر بالعامل الغيبي، ولا تعارض بينهما. ولإثبات ذلك - تفصيلاً - موضع آخر.

المضمون الخامس: صفات الإمام

روى الطبري مقطعاً من مقاطع الكتاب، يبدو أنّه في مقام الجواب على طلب جلّ القوم إماماً يجتمعون به على الهدى والحقّ..

قال الطبري:

«فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط،

والدائن بالحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»^(١).
وما ذكره الشيخ المفيد وغيره يؤدّي نفس المعنى باختلاف في
الألفاظ.

ويمكن تلخيص القول في هذا المقطع بالنكات التالية:

النكته الأولى: تقدّم الطبري

إنّ من سبق الطبري من المؤرّخين لم يذكروا بالاتفاق - حسب
فحصنا - ما ذكره الطبري في هذا المقطع من الكتاب، فهم بين من لم
يذكر الكتاب أصلاً، وبين من ذكره مثل الدينوري ولم يذكر هذه الفقرة،
ولا الفقرة التي سبقتها، وهي على نفس النسق والمعنى من انتظارهم
لإمام يجتمعون به على الهدى والحق، ولم يذكر هذه الفقرة من المتأخّرين
عنهم مثل الشيخ الطبرسي والسيد ابن طاووس..

وما ذكره ابن أعثم في فتوحه يشبه ما ذكره الطبري باختلاف واضح
في الألفاظ، مضافاً إلى أنّ الفتوح يعدّ معاصراً للطبري إذا لاحظنا تاريخ
وفاتهما.

النكته الثانية: جهل القوم بالإمام

لقد ذكرنا في أكثر من موضع - إنّ في هذه الدراسة أو غيرها - أنّ

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٣.

الذين كاتبوا سيّد الشهداء عليه السلام ودعوه وأعلنوا نصرتهم له، ليسوا من شيعة بالمعنى الاعتقادي الاصطلاحي، ولا من أوليائه، وإنما هم متوزعون على شرائح اجتماعية متعدّدة تجمعها المصالح والأهواء وحبّ الدنيا والرخاء وانتهاز الفرصة والتمدّد في الأفياء، أو البحث عن الانتقام من الأعداء كالحزبيّة والخوارج، وقليل جدّاً ممّن أعلن النصره والولاء من شيعة الأبرار الأوفياء، وكانوا من القلّة ما لا يكاد يبين لهم سواد.. وهؤلاء الكثرة النائمة الضالّة لا تعرف شيئاً عن الإمام، مطلق الإمام ومهامه ووظائفه إلا ما عرّفته به السقيفة وإفرازاتها ورسمته لهم من خلال سيرة رواد الخمارات والحانات وخيام الدعارة..

وهم يظنّون أنّ كلّ إمام مهما كان يمكن أن يجمعهم على الهدى والحقّ، الحقّ الذي يعرفونه هم، الحقّ الذي يعدّ القروء الأمويّة إذا نزلت على المنبر النبوي وتمكّنت منه أئمة يجمعون الناس على الهدى والحقّ، وأنّ مفارقتهم يعدّ في دينهم شقاً لعصا المسلمين، وهكذا هم يعرفون الإمام هو الحاكم المتسلّط على رقاب المسلمين الذي يُجبي له النفي والخراج والأموال والصفايا والهدايا، ويسوس الناس ويروضها لتعيش معه وفيما بينها بوداعة.. وغير ذلك ممّا عرّفته السقيفة من مهام للإمام.. وقد سمّوا السنة التي قتل فيها أمير المؤمنين عليه السلام وصالح الإمام المجتبي الأمين عليه السلام بـ«عام الجماعة»!! لأنّهم اجتمعوا على معاوية القرد

الأمويّ السمين المترهل!

فهم لا يعرفون الإمام بالمعنى الذي نصبه الله لهم يوم الغدير وأخذ النبي ﷺ عليهم البيعة له، كما يعتقدوها الشيعة بالمعنى الاعتقادي، ولم يدعوه أو يبايعوه على بيعة الغدير وأنه إمام مفترض الطاعة من الله، صديق منصوب من الله، ومعين من الله، وطاعته طاعة الله وطاعة رسوله - وهذا هو الحد الأدنى في الاعتقاد بالإمام - وإنما يبايعوه بالبيعة التي يبايعوا بها حكامهم وسلاطينهم، وبايعوا بها ابن الزبير، ويبايعون بها شيخ قبيلتهم وزعيم عشيرتهم^(١)..

النكته الثالثة: الإمام لم يتحدث عن نفسه

لما كان جلّ القوم لا يعرف الإمام ووظائفه، فإنّ سيّد الشهداء ﷺ بيّن لهم من خلال هذا المقطع بعض وظائف الإمام عموماً، باعتبارها موارد وصفات ضرورية لا يمكن لأحد - أيّاً كان - أن يلبس خلعة الإمام - بالمعنى المعروف عند المجتمع لا بالمعنى الذي أراده الله - ما لم يتّصف بها، فهو لم يتحدث لهم عن إمامته التي جعلها الله له وفرضها على العالمين.

(١) قد أتينا على بيان ذلك وذكر الشواهد له في غير موضع من دراساتنا عن حياة المولى الغريب مسلم بن عقيل ﷺ كـ «معركة القصر» و«بين المسجد الأعظم ودار طوعة» وغيرها..

وبعبارة أخرى: إِنَّ الإمام عليه السلام لم يصف لهم إمامته، وإنما وصف مطلق مَنْ يريد أن يكون إماماً وإن كان على نهجهم وديدنهم وعقيدتهم الراشحة من ثماد السقيفة، وهي على كل حال لا تنطبق على يزيد شارب الخمر والمعلن بالفسق والفجور والقائم بالظلم والجور والقهر والزور...

ولهذا أكد لهم وأقسم لهم «لعمرى»، وهو أعز قسم، وأبر قسم، وأعظم يمين! ولم يقل لهم: ما الإمام إلا من نصبه الله وقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته، وغيرها من الموازين التي يعرف بها إمام الهدى والحق الذي أقامه رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله يوم الغدير!

النكتة الرابعة: صفات الإمام

جاء تركيب العبارة بصيغة الاستثناء في سياق النفي، وهو يفيد الحصر، ثم شرعت في بيان صفات الإمام الذي لا يكون إماماً إلا أن يتّصف بهذه الصفات كحد أدنى، وهي:

الصفة الأولى: «العامل بالكتاب»، وفي لفظ الشيخ المفيد: «الحاكم بالكتاب».

الصفة الثانية: «الآخذ بالقسط»، وفي لفظ الشيخ المفيد: «القائم بالقسط».

الصفة الثالثة: «الدائن بالحق»، وفي لفظ الشيخ المفيد: «الدائن

بدين الحق».

الصفة الرابعة: «الحابس نفسه على ذات الله».

هذه هي الصفات العامة التي ذكرها سيّد الشهداء عليه السلام للإمام، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الملاحظات، وترك التفصيل إلى موضعه:

الملاحظة الأولى: الفرق بين ألفاظ الطبري والشيخ

إنّ الفرق بين ألفاظ الطبري والشيخ المفيد في الصفات الثلاثة الأولى، لا يعدّ فرقاً كبيراً، وهي تؤدّي نفس المؤدّي، وكأنّ عبارة الشيخ شرحاً لعبارة الطبري، فالعامل بالكتاب يحكم به، والآخذ بالقسط قائم به، والدائن بالحقّ يكون دينه الحقّ.

الملاحظة الثانية: صفات سيّد الشهداء عليه السلام أكثر من ذلك

لا شك أنّ هذه الصفات وأكثر، ممّا لا تدركه عقول البشر ولا أوهامهم وأحلامهم كانت في سيّد الشهداء عليه السلام، لأنّه الإمام المنصوب من الله والمصنوع على عينه، وقد وردت أحاديث شريفة في بيان صفات الإمام المعصوم وعجز البشر العادي مهما بلغ عن إدراك الإمام والإمامة ^(١)..

(١) في الكافي الشريف للكليني: ١ / ١٩٩ ح ١: «أبو محمد القاسم بن العلاء عليه السلام

رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً فقال عز وجل: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾، وأمر الإمامة من تمام الدين ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به..

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟ إن الإمامة أجل قدرراً وأعظم شأنراً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إن الإمامة خصّ الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾، فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: ﴿ومن ذريتي﴾! قال الله تبارك وتعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفة والطهارة فقال: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين﴾. ﴿وجعلناهم أئمة

يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴿١﴾، فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً قرناً حتى ورثها الله تعالى النبي ﷺ، فقال جلّ وتعالى: ﴿لأنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ فكانت له خاصّة فقلّدها ﷺ عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد ﷺ، فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟!

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء. إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ﷺ ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام. إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين. إنّ الإمامة أَسّ الإسلام النامي وفرعه السامي.

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة. الإمام كالشمس الطالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار. الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار. الإمام الماء العذب على الظمّ والدالّ على الهدى والمنجي من الردى. الإمام النار على اليفاع الحارّ لمن اصطلّى به والدليل في المهالك، من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة. الإمام الأئیس الرفیق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأُم البرّة بالولد الصغير ومفزع العباد في الداهية النّاد. الإمام أمين الله في خلقه وحجّته على عباده وخليفته في بلاده والداعي إلى الله والذّاب عن حرم الله. الإمام المطهّر من الذنوب والمبرّأ عن العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم، نظام الدين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين ووبار الكافرين.

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولاله مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّ من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضّل الوهّاب، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات، ضلّت العقول وتاهت الحلوم وحارت الألباب وخسأت العيون وتضاغرت العظماء وتحيّرت الحكماء وتقاشرت الحلمااء وحصرت الخطباء وجهلت الألباء وكلّت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكّله أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه؟

لا، كيف، وأنى، وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟ أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله؟

كذبهم والله أنفسهم وممتّهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة وآراء مضلّة

فلم يزدادوا منه إلا بعداً، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ولقد راموا صعباً وقالوا إفاكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم، والقرآن يناديهـم: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الآية، وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلِّمُوا بِهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾، وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا أَمْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبِكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ أَمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ هُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

فكيف لهم باختيار الإمام والإمام عالم لا يجهل وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول ﷺ ونسل المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب في البيت من قريش والذروة من هاشم والعتره من الرسول ﷺ والرضا من الله عزّ وجلّ، شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي العلم كامل الحلم مضطلع بالإمامة عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله عزّ وجلّ ناصح لعباد الله حافظ لدين الله.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ عليهم السلام يوفقههم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتیه غيرهم فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وقوله في طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، وقال لنبيه عليه السلام: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته عليهم السلام: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

وإنَّ العبد إذا اختاره الله عزَّ وجلَّ لأُمُور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد آمن من الخطايا والزلل والعتار يخضه الله بذلك ليكون حجتَه على عباده وشاهده على خلقه و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾..

فهل يقدرُونَ على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه؟ تعدّوا وبيّنتِ الله الحقَّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه واتبَعوا أهواءهم فذمّهم الله ومقتّهم وأتّعسّمهم، فقال جلَّ وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هدى من الله إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وقال: ﴿فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ

وهذه الصفات الأربعة المشروطة في أيِّ إمام كان لا تتوفّر أبداً في يزيد! وكيف تتوفّر مثل هذه الصفات في قرد مجذور متولّد على فراش غير أبيه؟! في غابة القروذ التي ينزو بعضها على بعض من دون تمييز للمحارم وغيرهم..

الملاحظة الثالثة: ذكر الصفات للتعريف والتعليم

يبدو واضحاً من السياق - سيّما إذا لاحظنا تشكيك سيّد الشهداء عليه السلام بنواياهم وعزمهم ومواقفهم وتوافقها وتطابقها مع كتبهم ورسلمهم - أنّ سيّد الشهداء عليه السلام لا يعدّهم أنّه سيقوم بالخلال المذكورة للإمام، وإنّما هو يعرّفهم بها، فهو بيان وتعريف وإرشاد وتعليم للعباد أجمعين مهتدين وضالّين تائبين، وليس برنامج عمل يطرحه الإمام للقيام به فيهم إذا تمكّن، إذ أنّه يعلم أنّهم سيغدرون به ويعرضون عنه ويتعلّقون بأعواد الشجرة الملعونة، وليس الإمام - مع ما آتاه الله من علمه - بأقلّ من ابن عباس وابن عمر وغيرهم! ونستغفر الله من هذه المقارنة التي اضطرّتنا إليها ضرورة البحث، نعتذر من ذلك للمليكنة وإمامنا وإمام الكائنات.

الملاحظة الرابعة: إقامة الحجّة

لَمَّا كَانَ الْإِمَامُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ عليه السلام عالِماً بِمَالَ أَمْرِهِمْ وَزَحْفِهِمْ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَالنِّيرانِ، وَاتِّبَاعِهِمُ الْهَوَىٰ وَإِطَاعَتِهِمْ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَمَحَارِبَتِهِمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَسَعِيهِمْ فِي قَتْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَزَعْمُهُمْ أَنَّهُمْ يَتَدَيَّنُونَ اللَّهَ بِذَلِكَ طَاعَةَ لَوْلَاةِ الْأَمْرِ وَاتِّبَاعاً لِلْإِمَامِ، وَحِفْظاً لِلأُمَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ التَّسْوِيعَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَمُوَاجَهَتِهِمْ لِسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَحْتَ عُنْوَانِ الضَّلَالِ الَّذِي رَسَمَهُ لَهُمْ أَوْغَادُ بَنِي أُمَيَّةَ بِاعْتِبَارِهِ خَارِجِيّاً - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَإِنَّ الْإِمَامَ رَحِمَةً لِلْعَالَمِينَ وَالْمُبَلِّغَ عَنِ اللَّهِ قَدْ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ وَأَبَانَ لَهُمُ الْمَحْجَّةَ وَبَصَّرَهُمْ وَهَوِّقَسَمَ لَهُمْ: «لَعَمْرِي»، لَثَلَا يَعْتَذِرُ غَدَاً مِنْهُمْ مَعْتَذِرٌ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ وَاهِماً لَجَهْلِهِ بِصِفَاتِ الْإِمَامِ، فَظَنَّ أَنَّ يَزِيدَ الْخُمُورِ وَالْفُجُورِ إِمَامٌ يَجِبُ عَلَيْهِ طَاعَتُهُ!

النسخة الثانية: نسخة ابن أعثم

ابن أعثم: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى الْمَلَأِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَانِئَ بْنَ هَانِئٍ وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدَمَا عَلَيَّ بِكُتُبِكُمْ، فَكَانَا آخِرَ مَنْ قَدَّمَ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِكُمْ، وَقَدْ فَهَمْتُ الَّذِي قَدْ قَصَصْتُمْ وَذَكَرْتُمْ، وَلَسْتُ أَقْصِرُ عَمَّا أَحْبَبْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ أَخِي وَابْنَ عَمِّي وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَقَدْ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيَّ بِحَالِكُمْ، وَرَأْيِكُمْ، وَرَأْيَ ذَوِي

الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام، ولا قوّة إلّا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمّي وبايعوه، وانصروه ولا تحذلوه، فلعمري! ليس الإمام العادل بالكتاب، والعادل بالقسط، كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي، جمعنا الله وإيّاكم على الهدى، وألزمنا وإيّاكم كلمة التقوى، إنّه لطيف لما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: ثمّ طوى الكتاب وختمه، ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام، فدفع إليه الكتاب وقال له: إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتّى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها، فانزل عند أوثق أهلها، وادع [الناس] إلى [طاعتي] واخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجّل لي بالخبر، حتّى أعمل على حسب ذلك، إن شاء الله تعالى. ثمّ عانقه وودّعه وبكى جميعاً» (١).

الخوارزمي:

«ثمّ أمر بجواب كتب أهل الكوفة على هذا النحو: بسم الله

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٠، ١٩٣.

١٩٦، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٦٤، ١٦٧-١٧٢.

الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملائمة المؤمنين، سلام عليكم، أما بعد، فإن هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله قدما علي من رسلكم، وقد فهمت الذي اقتضتكم وذكرتم، ولست أقصر عما أحببتكم، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وخبركم ورأيكم ورأي ذوي الحجة والفضل منكم، وهو متوجه إليكم إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبإيعوه ولا تخذلوهم، فلعمري ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط، كالذي يحكم بغير الحق، ولا يهتدي سبيلاً، جمعنا الله وإياكم على الهدى، وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم طوى الكتاب وختمه» (١).

* * * * *

تتفق هذه النسخة الثانية للكتاب التي رواها ابن أعثم مع ما رواه الطبري، في مفاصل كثيرة، وتختلف عنه في بعض المفاصل، وقد تحدثنا عما ورد عند الطبري قبل قليل، وناقشنا المهم في نص الكتاب المروي عن ابن أعثم في بحث «ثأر أم سفير»، فلا نعيد.

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٥.

أين قرأ كتاب سيّد الشهداء عليه السلام؟

المصادر التي لم تذكر نزول المولى الغريب عليه السلام في بيت المختار لم تتعرّض إلى المكان الذي قرأ فيه كتاب سيّد الشهداء عليه السلام.

وذكر ابن خلدون قراءة الكتاب دون الإشارة إلى مكانه فقال:

«فدخل الكوفة أوّل ذي الحجة من سنة ستين، واختلف إليه

الشيعة، وقرأ عليهم كتاب الحسين»^(١).

أمّا المصادر التي ذكرت المكان، فهي المصادر التي أكّدت نزول

المولى الغريب عليه السلام في دار المختار، فصرّحت بقراءته ثمّة، وهم:

الدينوري، والطبري، وابن أعثم، والشيخ المفيد، والفتال،

والخوارزمي، وابن شهر آشوب، وابن الأثير، وسبط ابن الجوزي، وابن

طاووس، والنويري، والطريحي^(١)..

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ١٧٩، الكامل لابن الأثير: ٣ / ١٩٢، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٧...، اللهوف لابن طاووس: ٣٧، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٧، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣..

من الذي قرأ الكتاب؟

أفادت عباراتهم أنّ القوم كانوا يجتمعون عند المولى الغريب عليه السلام فيقرأ عليهم، أو أنّهم اجتمعوا عنده مرّة فقرأ عليهم، وأكثر العبارات على الأول.

ويجدر الالتفات هنا إلى عدّة نكات:

النكّة الأولى: مباشرة القراءة

إنّ المولى الغريب عليه السلام قد باشر بنفسه - كما في النصوص - قراءة الكتاب على القادمين، وفي ذلك شرف عظيم لا يناله إلاّ من شرفه الإمام عليه السلام سيّد الكائنات به، كما ينمّ عن مدى إخبارات المولى الغريب عليه السلام وخضوعه وتواضعه للمهمّة التي شرفه بها مولاه ومولى الثقلين.

ويفيد أيضاً أنَّ المولى الغريب عليه السلام يأبى أن يتحمَّل أيَّ رجل آخر المسؤولية المناطة به وهو يباشر مهامه بنفسه مباشرة من دون توسيط الآخرين أيّاً كانوا وفي أيِّ مورد كان حتّى لو كان بمستوى قراءة الكتاب.

النكته الثانية: الإعلان عن السفارة

من المعهود قديماً وحديثاً أن يحمل السفير وثيقة تخويله معه ويقراها على من أرسل إليه، فحينما يباشر المولى الغريب عليه السلام قراءة كتاب الإمام عليه السلام بنفسه، فهو يعلن عن سفارته وتمثيله لسيد الشهداء عليه السلام عند هؤلاء القوم المستمعين.

النكته الثالثة: التوجيه للإمام مباشرة

ربما أراد المولى الغريب عليه السلام من قراءة الكتاب ربط الناس بالإمام عليه السلام مباشرة وإسماعهم كلماته وخطابه من خلال الرسالة الموجهة لهم، فكلام الإمام عليه السلام له نور وأثر خاص، لا يكون في كلام أيّ من المخلوقات، وهو كلام مَنْ أمره الله أن يكلم الناس على قدر عقولهم، وهو من قوم فصحاء يفهم مَنْ يسمعهم.

النكته الرابعة: الدعوة للإمام عليه السلام

يؤكد المولى الغريب عليه السلام من خلال قراءة الكتاب، ودعوة الناس إلى البيعة على لسان الإمام عليه السلام أنَّ البيعة والدعوة إنّما هي للإمام سيد

الشهداء عليه السلام وليست له، وليس هو إلّا حاملاً للكتاب ومؤدياً للسفارة ومبلغاً لها، وفي ذلك إلغاء للوسائط مهما كانت، ولو كانت الواسطة هو المولى الغريب المعظم المكرّم الموثّق المعتمد عند سيّد الشهداء عليه السلام.

النكته الخامسة: القيام بالمهمّة وإقامة الحجّة

المفروض أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كتب هذا الكتاب جواباً على كتب القوم ورسلمهم وأرسله مع سفيره إليهم، فكان تسليم الكتاب وإبلاغه إلى القوم جزءاً من مهمّة المولى الغريب ثقة الحسين عليه السلام، وبقراءته عليهم كان يقوم بمهمّة التبليغ وإيصال الجواب لكلّ من كتب وجاء راجعاً في استماع ما أجابه به الإمام عليه السلام.

وهو في نفس الوقت قد أقام عليهم الحجّة واستشهد بعضهم على بعض من خلال احتشادهم واستماعهم إلى الجواب جماعات جماعات، فلا يعتذر معتذراً أنّه لم يسمع وقد شهد عليه الحاضرون معه. والكتاب تضمّن كلّ ما كلّفهم به سيّد الشهداء عليه السلام وطلب منهم، وهو إبراز ما عقدت عليه ضمائرهم وتوافق كتبهم وعزائمهم.

هل كان محلّ منزله سرّياً مخفياً؟!

أفادت بعض النصوص أنّ منزل المولى الغريب عليه السلام في الكوفة كان سرّياً ممّا اضطرّ ابن زياد لتوظيف «معقل» الجاسوس أو تتبّع أخبار المولى الغريب عليه السلام ليتعرّف على مكانه، أو أنّه علم مكانه بعد فترة.

وقد ناقشنا ذلك في أكثر من موضع في دراساتنا عن أيام المولى الغريب عليه السلام في الكوفة، ونقتصر هنا على ذكر بعض التنويهات التي تؤكّد أنّ منزل المولى عليه السلام لم يكن سرّياً، ولا يمكن أن يكون كذلك، وما التأكيد على السريّة من قبل المؤرّخ - تصرّحاً أو تلويحاً - إلاّ لتتميم قصّته المشوّهة وأحداثه المفتعلة الملفّقة، وإسناد قصّة أمثال معقل وما يتلوها من تشويهات يمكن أن تחדش صورة البطل الهاشمي أو تحاول إطفاء نوره والتشويش على قيام سيّد الشهداء عليه السلام والتشكيك به.

التنويه الأول: طبيعة المهمة

لقد عرفنا من خلال النصوص المتظافرة والدراسة المستفيضة في «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير» أن المهمة الأساسية التي بعث بها المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة إنما كانت استكشاف حال الناس ومدى توافقي عزائمهم ومواقفهم مع ما كتبوه لسيد الشهداء عليه السلام. وعرفنا أيضاً أن الأعداد التي كاتبت سيد الشهداء عليه السلام كانت كثيرة جداً، تعدّ بالآلاف.

واستكشاف حال هذه الأعداد الضخمة ودعوة الآخرين من غير المكاتبين لا يتأتى إلا من خلال الالتقاء بهم والاحتكاك بهم ومعالجتهم والتعامل الجدّي معهم واختبارهم.

فإذا التقى المولى الغريب عليه السلام بجميع هؤلاء المكاتبين وغيرهم ممّن التحق بهم في الكوفة، بل حتّى لو التقى بكثير منهم أو ببعضهم، لكانت حركتهم في تلك الأجواء الملتهبة المرصودة مثاراً للالتفات ولما بقي المكان سرّاً...

سيّما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الكوفة كانت مقسّمة يومها حسب سكن القبائل، وكان يلزم من التأكد من هؤلاء إمّا بانتقال المولى الغريب عليه السلام والتردّد إليهم في مناطقهم، وإمّا بتردّدهم عليه، والمعروف المتفق عليه تاريخياً الثاني، وكيف كان فإنّ حركة هذه الآلاف في أزقة

الكوفة وتوافدها على منزل واحد كافٍ في كشفه وتشديد المراقبة عليه.

التنويه الثاني: انحصار رؤوس الشيعة

إنّ المولى الغريب عليه السلام وصل الكوفة ونزل عند بعض أهلها، ومن البديهي أنّه إنّما ينزل على رأس من رؤوس الشيعة ويحطّ رحله عند جمجمة من جماجمهم، وعَلِمَ من أعلامهم، وكان الشيعة في الكوفة - على كثرتهم بالنسبة إلى بقيّة الأصقاع - قليل بالنسبة إلى عدد السكّان في الكوفة، وكانت شخصياتهم وأعلامهم معروفين في الغالب، ودورهم مرصودة، وأعدادهم محدودة.

وعلى هذا لا يحتاج انكشاف موقع المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام سوى تخمين جملة من البيوت التي يتوقّع نزوله عليها. فما الضرورة إلى السريّة والمنزل منكشف ومحصور عند الطاغى من أوّل الأمر، وما الضرورة إلى تمخّل جاسوس غبيّ مفضوح «يُدعى معقلاً» للتوصّل إلى احتمال يتردّد بين نفر قليل جداً؟

التنويه الثالث: مبايعة الأعداد الضخمة

أجمعت النصوص أنّ المولى الغريب عليه السلام كان يمارس نشاطه في منزله، إن كان في دار ابن عوسجة أو دار المختار أو في دارهاني.. كما

أكدت النصوص أنّ الناس كانوا يختلفون إليه ثمة^(١) وهو يقرأ عليهم الكتاب منذ الأيام الأولى التي تشرفت الكوفة بأقدامه عليه السلام.

قال الشيخ القرشي رحمته الله:

«ومضى مسلم إلى دار هاني الزعيم العربي الكبير، فاستقبله بحفاوة بالغة، ورحب به ترحيباً حاراً، وصارت داره مركزاً لنشاط مسلم السياسي، ومحلاً لاجتماع الشيعة عنده».

ثم قال رحمته الله:

«وعلى أيّ حال، فقد استقرّ في دار هاني واتخذها مقراً للثورة! وقد احتفّ به هاني ودعا القبائل لمبايعته، فبايعه في منزله!! ثمانية عشر ألفاً» (٢).

سيّما إذا عرفنا أنّ مسلماً عليه السلام إنّما اختار بيت هاني، لأنه كان كما

يقول الشيخ القرشي رحمته الله:

«سيدّ المصر، وزعيم مراد، وعنده من القوّة ما يضمن حماية الثورة، والتغلّب على الأحداث، فكان فيما يقول المؤرّخون إذا ركب يركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، وإذا

(١) انظر: الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٥، العوالم للبحراني: ١٧

/ ١٨٥، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨ وغيرها..

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي: ٢ / ٣٦٢.

أجابه أحلافه من كنده وغيرها كان في ثلاثين ألف
دارع (١) ..» (٢).

فهو إذن في حصن منيع، استقرّ به المقام، وأعلن عن مقرّ القيادة
حتى «صارت مركزاً لنشاط مسلم السياسي، ومحلاً لاجتماع الشيعة
عنده».

وقد دعيت القبائل على رؤوس الأشهاد ليباعوا مسلماً ﷺ في بيت
هاني حتى «بايعه في منزله! ثمانية عشر ألفاً».

فكيف يخفي مكان المولى الغريب ﷺ ومنزله مع تردّد هذه الأعداد
زرافات ووحداناً على نفس المكان في كلّ يوم؟! مع الأخذ بنظر الاعتبار
أنّ العدو كان قد وضع المراسد ومسح الأزقة والسكك وهو يتابع كلّ
حركة وسكنة في الكوفة.

التنويه الرابع: الوصيّة بالكتمان واللفظ

ربما استند البعض إلى ما ورد من توصية بالكتمان واللفظ واستفاد
منه الأمر بالسريّة في العمل مطلقاً، بيد أنّ هذا ما لا تساعد عليه
الشواهد ولا تدعمه النصوص، وقد ناقشنا معنى الكتمان واللفظ في

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٧.

(٢) حياة الإمام الحسين ﷺ للشيخ القرشي: ٢ / ٣٦١.

بحث «ثأر أم سفير»، فلا نعيد.

التنويه الخامس: أمانة المولى الغريب عليه السلام ودقته في التنفيذ

لو كانت السريّة مطلوبة من المولى الغريب عليه السلام سواء كان بأمر من الإمام سيّد الشهداء عليه السلام أو بمقتضيات العمل وضروراته لما قصر في ذلك المولى الغريب عليه السلام لأمانته ودقته في تنفيذ أوامر مولاه، وحذقه وحنكته وصواب قراراته في منعطفات الأحداث، ولما انكشف للناس انكشافاً حتّى «أقبلت الشيعة تختلف إليه»، «ففسا أمره بالكوفة»^(١) وهو يقرأ عليهم الكتاب على رؤوس الأشهاد فيبايعونه ويكثرون التردّد على منزله بآلافهم المؤلّفة!

ولعرف كيف يبقى العمل سريّاً حتّى لا يصل من نشاطه أي معلومة لراصد أو راوٍ، بل حتّى لم تكن أخباره تصل إلينا، أمّا وقد باشر العمل علانية بين الملائم أنّه لم يكن مأموراً بذلك، ولم تكن ضرورة آنية تدعوه لالتخاذ هذا الموقف.

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢-٢٣٣.

أصناف مَن اختلف إلى المولى الغريب عليه السلام

اختلفت التعابير عند المؤرخين في توظيف العناوين على الأشخاص الذين اختلفوا إلى المولى الغريب عليه السلام واستمعوا منه الكتاب وبايعوا للإمام عليه السلام، ويمكن تقسيم الأخبار إلى عنوانين:

العنوان الأول: اختلاف أهل الكوفة

نجد نماذج النصوص التي نذكرها هنا تختلف في التعبير بأشكال:

الشكل الأول: غير صريح وفيه دلالة

نجد ذلك في تعبير مثل اليعقوبي إذ أنه عبّر تعبيراً غير صريح بيد أنه يدلّ بوضوح على المراد، قال اليعقوبي:

«فلَمَّا قدم مسلم الكوفة، اجتمعوا إليه، فبايعوه، وعاهدوه،

وعاقدوه، وأعطوه المواثيق على النصر والمشايع والوفاء»^(١).

الشكل الثاني: التصريح

فقد صرح مثل الطبري، الشجري، المزي، ابن حجر، ابن بدران، ابن الجوزي، بذكر «أهل الكوفة»، قالوا:

«فلما تحدّث أهل الكوفة بمقدمه دبّوا إليه، فبايعوه»^(٢).

وقال الطبري، وابن عساکر:

«نزل دار المختار، وهي اليوم دار مسلم بن المسيّب، فبايعه المختار بن أبي عبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة»^(٣).

الشكل الثالث: الناس

عبّر مثل مسكويه، عنهم بلفظ «الناس»، فقال: «فسار مسلم إلى الكوفة.. فلما تحدّث الناس بمقدمه، دبّوا إليه»^(٤).

(١) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٥-٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٧-٣٤٨، الأماي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساکر: ٤ / ٣٣٥، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٥٦٩، تاريخ دمشق لابن عساکر: ٢٠ / ٢٢١.

(٤) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

* * * * *

كيف كان! فإنّ هذه النصوص جميعاً تتحدّث عن عنوان يمكن أن يجمع الخليط الذي هبّ يومها للمكاتبة أو البيعة، ويُعبّر عن أهل الكوفة أو عن الناس، وهم أعمّ من الشيعة بالمعنى الاعتقادي المعروف اليوم، إذ أنّ الذين كانوا يختلفون كانوا من جميع أصناف المجتمع وشرائحهم وليسوا من الشيعة فقط.

العنوان الثاني: اختلف الشيعة إليه!

اعتمد جماعة من المؤرّخين تعبير «الشيعة» كعنوان لمن أتى المولى الغريب عليه السلام وباع لسيد الشهداء عليه السلام كابن سعد والذهبي والبلاذري والدينوري والبلخي والشيخ المفيد والفتال وابن شهر آشوب وابن الأثير وغيرهم، وشرحوا ذلك بشتّى الألفاظ، فقالوا: فقدّم مسلم بن عقيل عليه السلام الكوفة.. «وأنته الشيعة، فأخذ بيعتهم»^(١).. «واختلفت إليه الشيعة»^(٢)... «فكانت الشيعة تختلف إليه»^(٣).. «واجتمع إليه

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٦٥، سير أعلام النبلاء

للذهبي: ٣ / ٢٠١، المختصر لابن عساكر: ٢٧ / ٥٨

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤، المناقب لابن شهر آشوب: ١٠

/ ١٧٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٣، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٩٢.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢-٢٣٣.

خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين»^(١).. «وأقبلت الشيعة تختلف إليه»^(٢)...

وربما كان هذا التعبير وأمثاله سبب ما اشتهر من أنّ الذين قتلوا سيّد الشهداء عليه السلام هم شيعة..

والحال أنّ الذين كاتبوا وبايعوا كان فيهم الخارجي والحروري والمنافق والوصوليّ من أمثال شعث بن ربيعة وحجّار بن أبجر وعزرة بن قيس وأمّثالهم ممّن عرف بالنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام سابقاً ولاحقاً.

وقد أثبتنا في غير موضع من دراساتنا عن المولى الغريب عليه السلام أنّ الأكثرية الكاثرة من أهل الكوفة كانوا من العوامّ، وكان الشيعة بالمعنى المصطلح اعتقادياً من أتباع أهل البيت عليهم السلام ومواليهم أقلية قليلة جداً رغم أنّهم كانوا أكثرية في الكوفة نسبة إلى غيرها من البلدان، فهم بالنسبة إلى الكوفة أقلية، وبالنسبة إلى انتشار الشيعة في بقية البلدان أكثرية.

(١) البدء والتاريخ للبلخي: ٢ / ٢٤٠.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٣، بحار الأنوار: ٤٤ /

٣٣٥، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٥، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، الكامل

لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧.

فلا يمكن التعبير عن كل من كاتب سيد الشهداء عليه السلام أو بايعه على يد السفير الثقة مسلم بن عقيل شيعياً بمعنى معتقداً بإمامة الإمام المعصوم المفترض الطاعة المنصوب من الله - تبارك وتعالى - المعلن عن إمامته يوم الغدير، إذ أننا نعلم أن أكثرهم ليس كذلك.

أجل! يمكن أن يراد من تعبيرهم، الشيعة بالمعنى اللغوي، فالشيعة: الأتباع والأعوان والأنصار مأخوذ من الشيع، وهو الخطب الصغار التي تشتعل بالنار وتعين الخطب الكبار على إيقاد النار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة^(١).

ويناسب هذا المعنى ما قاله اليعقوبي كما سمعنا قبل قليل، قال: «اجتمعوا إليه، فبايعوه، وعاهدوه، وعاقدوه، وأعطوه الموائيق على النصرة والمشايعة والوفاء»^(٢).

فيكون المقصود المشايعة لا التشيع!

(١) انظر: مجمع البحرين مادة «شيع».

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٥ - ٢١٦.

قراءة الكتاب على الناس وردود أفعالهم

يمكن تقسيم النصوص التي ذكرت قراءة الكتاب على الناس في بيان ردود أفعالهم، والإصحار عن مواقفهم وطريقة التعبير عن مشاعرهم وما يحيش في خلداهم إلى عدّة أقسام كلّ طائفة منها ترسم صورة خاصّة:

الصورة الأولى: لم تذكر قراءة الكتاب

اقتصرت جماعة من المؤرّخين على ذكر دخول المولى الغريب عليه السلام الكوفة واجتماع الناس حوله ومبايعته من دون الإشارة إلى قراءة الكتاب، قال ابن سعد والذهبي: «أنته الشيعة»^(١)، وعبر الآخرون

(١) ترجمة الإمام الحسين من الطبقات لابن سعد: ٦٥، سير أعلام النبلاء للذهبي:

كالبلاذري والطبري في إحدى رواياته والشجري وابن حجر وابن الجوزي وأبو الفرج^(١) بعبارات من هذا القبيل كقولهم: «واختلفت إليه الشيعة فبايعوه» وما شاكل..

فهذه المجموعة من النصوص خارجة عن محلّ بحثنا هنا، وتفيد بمقدار التعرّف على جماعة لم تذكر قراءة الكتاب من رأس.

الصورة الثانية: ذكرت القراءة ولم تذكر ردود الأفعال

ذكر الدينوري قراءة الكتاب من دون الإشارة إلى المواقف المترتبة على ذلك، فقال:

«فكانت الشيعة تختلف إليه، فيقرأ عليهم كتاب

الحسين»^(٢)..

وهو يفيد في التعرّف إلى أصل قراءة الكتاب لا أكثر، وبهذا يخرج أيضاً عن محلّ البحث.

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٧ في

إحدى رواياته، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ /

٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، الثقات

لابن حبان: ٢ / ٣٠٧، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

الصورة الثالثة: البكاء

ذكر الشيخ المفيد والفتال وغيرهما قراءة الكتاب وأضاف موقفاً عاماً كردّ فعل واستجابة، فقال:

«فكلّمّا اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون»^(١)..

فذكر بكاء من كان يستمع إلى الكتاب من دون تحديد هويّتهم، ولا سبب بكائهم، ولا إعلانهم النصر والقبول.

الصورة الرابعة: بكاء الجميع والوعد بالنصرة والقتال

اختصر ابن الأثير عبارة الطبري بشكل مريب، فقال:

«فكلّمّا اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين، فيبكون ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة».

وعبارة النويري وابن خلدون قريبة من عبارة ابن الأثير^(٢).

وكذا فعل سبط ابن الجوزي، فقال:

«فقرأ عليهم كتاب الحسين، فبكوا بأجمعهم، ثم قالوا: والله

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، اللهوف لابن طاووس: ٣٧، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٥..

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٧، تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

لنضربَ بين يديه بسيفنا حتى نموت جميعاً»^(١).

فهؤلاء يؤكّدون أنّ جميع من كان يستمع يبكي، ويعد النصر والقتال بين يديه - أي بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام - حتى الموت جميعاً.

وسيتضح لنا بعد قليل أنّ من وعد النصر والقتال حتى الموت ليس كلّ من حضروا باع واستمع الكتاب، وإنّما هم أفراد معدودون من نمط خاصّ المذكورون بالأسماء والصفة.

ولهذا قلنا: إنّ هؤلاء نقلوا النصوص بتصرّف وإدخال الأحداث بعضها في بعض لغرض بيعث في النفس شيئاً من الريبة والتوجّس، إذ أنّهم عمّموا الموقف على الجميع، وكأنّ الجميع من الشيعة بالمعنى الخاصّ، وبالتالي سيكون الشيعة هم الذين خذلوا وأسلموا إمامهم، بل وانقلبوا على حظّهم واعتقادهم فقاتلوه لصالح أولاد البغايا..

وهذا ما يكذبه الواقع والتاريخ، وقد أشرنا أكثر من مرّة أنّ الأكثرية التي كاتبته وبايعت سيّد الشهداء عليه السلام ليسوا من الشيعة بالمعنى الخاصّ، وإنّما هم شيعة بالمعنى اللغوي، فلا نعيد.

الصورة الخامسة: تداخل السرور

عبّر الطريحي عن البكاء بعبارة أخرى، فقال:

(١) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٧.

«فأقرأهم كتاب الحسين عليه السلام، فمنهم من تداخل السرور عليه، فاجتمعوا عليه» (١) ..

فهو لم ينصّ على أنهم كانوا ييكون، ولكن جمع عبارته مع ما سبق من عبارات المؤرخين يفيد أنّ بكاءهم كان سرور بالتوفيق للنصرة، أو الشوق لقدم سيّد الشهداء عليه السلام كما صرح بعضهم. ويبدو أنّ استخدامهم كلمة «فمنهم من تداخل السرور» يشير إلى أنّ هذا السرور لم يكن شاملاً عاماً، وإنّما كان في بعض الحاضرين من المخلصين.

الصورة السادسة: التفريق بين العام والخاصّ

ذكر الطبري موقفين: أحدهما عامّ والآخر خاصّ، فقال: «فلما اجتمع إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين! فأخذوا ييكون، فقام عابس بن أبي شبيب» (٢)، وكذا روى ابن أعثم (٣) والخوارزمي، وسيأتي الحديث عن ذلك بعد قليل.

موقف الناس!

لقد فصّلت الصورة السادسة ورسمت مشهدين، ربما كانت فيها

(١) المنتخب للطبري: ٢ / ٤٢٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، نفس المهموم للقمي: ٨٣.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦.

عموم وخصوص ، فهي تذكر البكاء كموقف ، كما تذكر بعض النماذج من الأقوال والتصريحات التي انبرى لها بعض رجالات الشيعة وجماعهم ورؤوسهم وسيوف سيّد الشهداء عليه السلام ، التي سنسمعها بعد قليل .

ولكن ثمة موقفاً اجتمع على تصويره من روى ردود الفعل على قراءة الكتاب ، وهو بكاء القوم ، ثم افترقوا في أفراد موقف خاص لبعض شيعة سيّد الشهداء عليه السلام فذكروهم بالاسم ، كعابس وحبیب والحني ، وهم جميعاً قد استشهدوا بين يدي إمامهم الحسين عليه السلام .

أمّا الموقف المنسوب للجميع ، وهو البكاء على أثر الاستماع ، فيمكن محاولة فهمه من خلال بعض التصويرات التالية:

التصوير الأول: تأثير الكتاب والقارئ

إنّ لكلمات النور الساطع والحقّ الواضح والكتاب الذي صدر عن حبیب الله وحبیب رسوله أثره البالغ على الكائنات عامّة وعلى النفوس البشرية خاصّة سيّما إذا كانت القلوب مستعدّة للاستماع ومتهيئة لاستقبال النور ، ومتوقّزة ومتحفّزة للتأثر به ..

إنّ ذلك لمن الواضحات ، وما أكثر الشواهد والأدلة عليه من كلام الله وحديث أهل البيت عليهم السلام ، وقد ورد أنّ النظر إلى المصحف الشريف له أجروفيه من الأثر ما شاء الله ، وأنّ قراءة الحديث يجلي القلوب ..

فكيف بكلام المليك المحبوب سيّد الشهداء (عليه السلام)؟!

ويضيف على حلاوة كلام الإمام وآثار نوره المقدّس، أن ينساب إلى مسامع الناس ويمضي إلى قلوبهم، ويلامس شغافها، ويدخل إلى نفوسهم بصوتٍ فيه نبرات سيّد الشهداء (عليه السلام)، ونبرات أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب.. بصوت الطهر الطاهر والأبي المخلص لسيّد الشهداء (عليه السلام) في المحبّة، مسلم بن عقيل (عليه السلام) ..

فلا شكّ أنّ لوقع رنة صوت المولى الغريب (عليه السلام) ونبرته وإيقاعه وأنغامه أثراً بليغاً لا يكاد يحرص سعة وعمقاً على النفوس والقلوب..
فرما كان البكاء تعبيراً عن التأثر البليغ بما مضى، فهو ربما يكون أثراً تكوينيّاً لا يمكن لأولئك القوم حتّى مقاومته!

التصوير الثاني: شوقاً للقُدوم

لقد نصّت بعض المصادر على تفسير البكاء الذي كان القوم يجّهشون به حين سماع الكتاب، من قبيل ما ذكره ابن أعثم من شوق القوم لقُدوم سيّد الشهداء (عليه السلام)، قال: «والقوم ييكون شوقاً منهم إلى قدوم الحسين»..

فكأنّ القوم استشعروا من كلام الإمام (عليه السلام) أنّه سيقدم عليهم وشيكاً، فاشتاقوا لرؤيته، أولنصرته والذبّ عنه والاطمئنان عليه.

التصوير الثالث: حزنًا عليه

ربما كان بكاءؤهم حزنًا على الإمام وما جرى عليه من بني أمية، «حتى تقاذفه الفضاء الأعظم»، ولم يكن له مأوى في هذه الأرض «وكانما المأوى عليه محرم»، ويبقى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة تطارده الذئاب والكلاب المسعورة «ويبيت ابن فاطمة مشرداً ويزيد في لذاته متنعم»..

التصوير الرابع: دموع الفرح بالتوفيق

ربما كانت دموع الفرح والسرور بالتوفيق، فهم قد غمرهم السرور بسبب توفيقهم لنصرة سيد الشهداء عليه السلام ومحاربة أولاد البغايا، وربما كشفوا عن هذه المسرة التي انتشت بها نفوسهم وانتعشت بها قلوبهم، وقد صدقوا النية وعقدوا العزم، على أن يقاتلوا دونه حتى الموت، بيد أن هذا الفرض لا يمكن أن يصح إلا في الثلة الطيبة القليلة التي أعلنت النصرة صراحة وثبتت على القول الثابت «حتى أدركت بالحسين عيدها الأكبر فغدت في منى الطفوف أضحى».

التصوير الخامس: فورة الناس

ربما يكون الشحن العاطفي ومماشة العقل الجمعي كفيلاً في تجييش العواطف واستحلاب الدموع وغليان الأعماق رغم ارتجاج

المواقف، فربما عبّر بعض عن كوامنهم الملتهبة بالبكاء، أو انساق آخرون في تيارات الفورة الاجتماعية والاستسلام للعقل الجمعي والانجراف من دون الانقياد العقائدي، فالعاطفة شعبة من العقل العملي، ولا بد أن تتحرّك العاطفة بدافع من الوعي والمعرفة مهما كان ضئيلاً، بيد أنه قد يكون وعياً غير كافٍ، ومعرفة غير ملزمة..

فهم قد عبّروا عن مقدار معرفتهم ووعيهم لما يقدمون عليه بهذا المقدار من العمل الذي ينسجم مع النفوس المهزوزة والإرادة المبعثرة المرتبكة المرتابة المخدوشة والانفعال الآني الذي تفجّر دموعاً مألحة.

ويمكن أن يكتفوا بهذا القدر من النصرة والانصياع للحق من دون العزم على مواصلة الطريق، لأن الأغراض والغايات لا تنسجم مع الموقف الجاد الذي قد يؤدي بديناهم، والأهداف لا تربو وتكبر حتى تبلغ حدّ المعرفة الكافية بالإمام والاعتقاد به كإمام منصوب من الله مفترض الطاعة تكون التضحية بالدنيا الهزيلة الذليلة بين يديه أهون ما تكون على المؤمن به.

فكان البكاء في الحقيقة هو غاية الموقف الذي يمكن أن يتّخذه مثل هؤلاء المنكوسين الذين تعبوا من الوقوف على أقدامهم كما أمرهم الله، فسرعان ما عادوا إلى انتكاسهم وتعاستهم وطريقتهم وديدينهم في استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، بل قد استبدلوا في هذه المرّة ما

لا يقاس في انحطاطه ودناءته وعفنه، إذ استبدلوا سليل الأنبياء
والوصي ابن سيد الأوصياء وخامس أصحاب الكساء وابن الطهر
البتولة الزهراء بأولاد من يتقرّز الجلد من ذكر صفات أمهاتهم، وتنفر من
سماع أخبارهنّ طباع البشر والحيوانات، وتستنكف الأنامل وتنكمش
القراطيس من بيان فضائحهم وتنتمهم ومجونهم وفجورهم وعفهم ...
هكذا كان أكثر من كاتب وبائع .. أكثرهم للحقّ كارهون .. بيد أن
ظروفاً خاصة ومطامع ومصالح منظورة مقصودة دفعتهم ليسيروا في ركب
السعداء لحظة من عمرهم على غير رواء، وتبليت مسبقاً لمتابعة
الأهواء، وتحقيق ما تصبو إليه النفوس الوغرة والقلوب الخاوية المشتتة
المنتشرة .. وقد أتينا على تفصيل ذلك في غير موضع من دراستنا عن
المولى الغريب عليه السلام، فلا نعيد ..

أمّا الشيعة المؤمنون السعداء، فقد رسم لنا التاريخ موقفهم من
خلال لوحة العز والصدق والإباء التي رسمها الأبطال، وهو ما سنسمعه
فيما يلي:

موقف الشيعة السعداء

سوف نقتصر على ذكر نصّ الطبري، إذ أنّ الخوارزمي ينقل عن ابن
أعثم، ونصّ ابن أعثم لا يختلف كثيراً عن نصّ الطبري إلاّ اختلافاً
يسيراً، ثمّ نتابع الحديث:

قال الطبري:

«ثُمَّ أَقْبَلَ مُسْلِمٌ حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، فَنَزَلَ دَارَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ - وَهِيَ الَّتِي تَدْعَى الْيَوْمَ دَارَ مُسْلِمِ بْنِ الْمُسَيَّبِ - وَأَقْبَلَتِ الشَّيْعَةُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، قَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ حُسَيْنٍ! فَأَخَذُوا يَبْكُونَ.

فَقَامَ عَابِسُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ الشَّكْرِيُّ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَخْبِرُكَ عَنِ النَّاسِ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمَا أَغْرَكَ مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لِأَحَدَثِكَ عَمَّا أَنَا مُوَطَّنُ نَفْسِي. عَلَيْهِ، وَاللَّهِ لِأَجِيبَتِكُمْ إِذَا دَعَوْتُمْ، وَلَأَقَاتِلَنَّ مَعَكُمْ عَدُوَّكُمْ، وَلَأُضْرِبَنَّ بِسَيْفِي دُونَكُمْ، حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، لَا أُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَامَ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرِ الْفَقْعَسِيِّ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ! قَدْ قُضِيَتْ مَا فِي نَفْسِكَ، بِوَأْجَزِ مِنْ قَوْلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا هَذَا عَلَيْهِ»^(١).

وقال الطبري:

«ثُمَّ قَالَ الْحَنْفِيُّ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ عَلِيٍّ: فَقُلْتُ لِمَحَمَّدِ بْنِ بَشَرٍ: فَهَلْ كَانَ مِنْكَ

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، نفس المهموم للقمي: ٨٣.

أنت قول؟ فقال: إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر،
وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب»^(١).
وقال ابن أعثم والخوارزمي:

«ثم قام حبيب بن مظاهر الأسدي الفقعي، قال: وأنا والله
الذي لا إله إلا هو على ما أنت عليه. وتبايعت الشيعة على
كلام هذين الرجلين، ثم بذلوا الأموال، فلم يقبل مسلم بن
عقيل منها شيئاً»^(٢).

* * * * *

يمكن أن نتناول ما ورد في النص المذكور ضمن عدة تلميحات:

التلميح الأول: أسماء الشيعة

لقد صرح النص بأسماء ثلاثة من الشيعة الأبرار، هم:

الأول: عابس بن أبي شبيب الشاكري.

الثاني: حبيب بن مظاهر الفقعي.

الثالث: الحنفي - ذكره الطبري -، والظاهر هو سعيد بن عبد الله

الحنفي.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، نفس المهموم للقمي: ٨٣، الفتوح لابن أعثم: ٥ /

٥٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧

التلميح الثاني: كلام العابس

لقد بكى الجميع حينما سمعوا الكتاب، بيد أنّ للشيعة الأوفياء موقفاً يختلف تماماً، فهم لا يكتفون هنا بالبكاء، وإنما تعاطوا مع الكتاب بسماتهم المميّزة لهم عن جميع الخلق، من صدق النية، وسلامة الطويّة، وثبات العزم، والجّد في النصرة، والإصهار عن الكوامن، لأنهم يعلمون أنّ إمامهم مطّلع على ما في القلوب بتسليط الله له على قلوب العباد..

وفي هذا الموقف الذي يرويه الطبري وابن أعثم إشادة بالنموذج والمثال الحيّ للشيعة المعتقد بإمامه، فإن كان يومئذٍ شيعي فهو من يقف موقف العابس ويقول بقوله تماماً كما فعل حبيب والحنفى..

قال:

«فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرّك منهم، والله لأحدّثنك عمّا أنا موطن نفسي- عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتكم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم، حتّى ألقى الله، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله».

ويمكن استكشاف ما في خطاب هذا الضيغم المشهود له بالاستبسال في الدفاع عن الإمام (عليه السلام) من خلال عدّة أضواء:

الضوء الأول: رعاية أدب الحديث

يعلم العابس أنه بين يدي المولى الغريب ؑ الحائز لمراتب الكمال والجلال والجمال، وقد زاد في مقامه عند هؤلاء الأبرار الأخيار أنه يقف يومئذٍ ممثلاً وسفيراً لسيد الشهداء ؑ، ويفرغ عن لسان خامس أصحاب الكساء ؑ، مما يدعوهم للتحرّج من مقاطعته أو اعتراضه أو المبادرة بأي شيء يخالف الأدب الرفيع السامي المعهود بين القمم السامقة، والشخصيات العظيمة..

فهم لم يعترضوا كلام المولى الغريب ؑ، ولم تبدر منهم أيّ بادرة لا تنسجم مع الخشوع والخضوع والتذلّل والاستسلام التامّ لكلام الإمام الجاري على لسان أخيه وسفيره ؑ..

وبعد أن تمّ كلام المولى الغريب ؑ، وسمعوا بإخبارات وإنصات وخشوع كتاب الإمام ؑ.. انبرى العابس!

فقام العابس! إذ أنّ الأدب الرفيع الذي امتاز به هؤلاء الأبرار السعداء، لا يسمح له أن يتكلّم بين يدي المولى الغريب ؑ قاعداً! وإن كان في شموخ هؤلاء ما يبيح لهم تناول الثريّا وهم قاعدون، بيد أنّ الذي يريد مخاطبته والإمام الذي يريد مبايعته على يدي سفيره أسمى من الثريّا سموّاً وارتفاعاً، ولا تكون الثريّا إلّا نثاراً من غبار وقع نعالهم على الأرض..

فهو بذلك قد عمل بالأدب المطلوب في مثل تلك المواقف، وعبر عن الجَد الذي يملأ كيانه في النصر، فلا يتكلم من يريد القيام بالواجب قاعداً..

وكيف يقعد من تتفجر جوانبه حميةٌ وغيرةٌ وحماساً ونشاطاً وتغلي دماؤه وتترقق في صفحة عنقه انتظاراً لليوم الموعود الذي يتمناه ويحسب له الآثات لينال بالقتل العزيز دفاعاً عن أعز ما خلق الله وأحب الكائنات لرسول الله ﷺ والفوز بنعيمه الذي يرجوه في الدنيا والآخرة.. القتل بين يدي سيّد الشهداء عليّاً!

وقد ابتدأ بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى، ولأنّك أن المؤرخ قد اختصر المقدمة، ولم يذكرها، وهذا ديدنهم، والحال أنّ في حمد مثل هؤلاء العارفين بالله، من المعاني والمعارف والتوحيد والتمجيد والتحميد والتعظيم لله - عزّ وجلّ - ما لا يُستغنى عنه، ويمكن أن يكون مدرسة عميقة عالية المراتب للبشرية جمعاً.

كما لا نشك أنّ العباس لا يقفز من حمد الله وثنائه ويدلف إلى صلب حديث ما لم يذكر النبي ﷺ وآله بما يجب من التعظيم والثناء والتبجيل..

الضوء الثاني: توظيف الضمائر

يلاحظ الدقة الفائقة في توظيف الضمائر في كلام هذا الطود

العظيم، فهو يتنقل في ضمير الخطاب مع المولى الغريب عليه السلام من ضمير الخطاب المفرد إلى ضمير الجمع..

فهو يخاطب المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام أولاً فيقول:

«فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرك

منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه».

نلاحظ الضمير في «لا أخبرك».. «ما أغرك».. «والله أحدثك»...

ثم يبدأ بالإصهار والكشف عما طوى عليه نيته، وشد عليه

عزيمته، فيعدل في الضمير من المفرد إلى الجمع.. وهذا يكشف أن

الخطاب - حينئذٍ - ليس موجهاً إلى المولى الغريب مسلم عليه السلام بشخصه

فقط، وإنما يوجهه إليه باعتباره ممثلاً ونائباً وفرداً حاكياً عمّن أرسله

وخوله وجعله أخاه، فيقول:

«والله لأجيبنكم إذا دعوتكم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن

بسيقي دونكم، حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله»..

نلاحظ الضمير في «لأجيبنكم».. «ولأقاتلن معكم».. «عدوكم»..

«دونكم»..

فالنصرة لسيت معدة للمولى الغريب عليه السلام بذاته وليس هو مكلفاً

بالقيام و«الثورة»، وإنما هو سفير يأخذ البيعة لمن ادّخروا النصر له

وأمرها بها، ولو كانت النصر مطلوبة للقيام مع شخص المولى

الغريب عليه السلام لما خفي الأمر على مثل العابس وإخوانه ولاستمر الخطاب بضمير المفرد..

أما أنه لم يخصص الخطاب بالغائب قاصداً سيّد الشهداء عليه السلام، فلا يغيب السّرّ في ذلك على اللبيب بعد أن يعرف المستوى الرفيع لأصحاب القامات الشامخة في التاريخ والمسلمين لإمامهم، والعارفين بأهل بيته عليه السلام.. الذين يسلّمون لكل ما يمتّ إلى المعصوم بصلة، فكيف إذا كان مسلم بن عقيل، والأدب في الخطاب من سمات هؤلاء العظماء الذين عاشوا في ظلال الأئمة وكنف المعصومين عليه السلام ^(١).

الضوء الثالث: فرز المواقف

قام العابس ليعلن عن موقفه وإخوته الذين وافقوه وقرّروا ما قال وارتضوه، فأخبر أن ثمة جماعة من الناس متواجدين، وهو لا يريد أن يجعل نفسه في صفّهم، ولا يريد أن يتحدّث عنهم، فهم وإن كانوا سيكون ويتوثّبون، بيد أنّ العابس يعرفهم، وقد خبرهم وعركهم ولفظهم بعد أن عجمهم، وميّز موقفه عنهم بعد أن سبرهم، فلا يريد أن يحمل شيئاً عنهم، أو أن يرضى بمشاطرتهم في المسؤولية، فربما لم يكن في

(١) ذكرنا ذلك في بحث «ثائر أم سفير»، وإنّما كررناه هنا لضرورة البحث ولتتميم

جمعهم من الثابتين الصابرين المؤمنين العارفين بأهل البيت الكثير..
وكيف كان! فهو لا يريد أن يكون حاكياً عن أحد، وإنما يريد أن
يعبر عن نفسه الواثق منها، وعن قلبه المفعم بالولاء والإيمان والصمود
والثبات واليقين بما هو عليه..

وكلامه ينم عن غاية الدقة في التعبير، إذ أنه لا علم له بما يحيش
في قلوب تلك الجموع التي كانت تغسل الأرض بدموعها، ولو علم فإنه
لا يثق بكوامنهم، وهو يريد أن يتكلم ويتحدث عن واقع أكيد، ويخبر
بالصدق الذي لا يشوبه الشك، واليقين الذي لا يدنسه الريب..

ولذا قال: «فإني».. بالتأكيد على شخصه النفيس، «لا أخبرك
عن الناس! ولا أعلم ما في أنفسهم».. فرمما كان فيهم من يعقد العزم
على النصر، وربما كان متذبذباً لا يركن إليه، أو خائناً يبيت الغدر..
«وما أغرك منهم!» فلا يعد عن أحد وهو غير واثق من التزامه بالوعد
المقطوع والعهد المعهود، ولا يريد أن يقول شيئاً قد يضطر للاعتذار عنه،
والتنصل منه، ولا يريد للمولى الغريب عليه السلام إلا أن يحسب على موقف
أكيد محسوب..

بعد أن ميّزين المواقف وحدد المورد الذي يريد أن يخبر عنه، أكدّه
بالقسم «والله» ميمناً براً لا يخاف فيه حشاً ولا إثمًا، لأنه العازم الواثق
المطمئن لما يقول، وهو يعرف نفسه تماماً.. وله أن يخبر عنها «أحدثك

عمّا أنا موطن نفسي عليه»..

الضوء الرابع: ما وطن عليه نفسه

يجدد القسم ويؤكد اليمين على ما وطن عليه نفسه.. «والله».. يقسم بلفظ الجلالة أنه سيلتزم بما يقول، ويبي بما يعد، ثم يؤكد ذلك كله بجميع وسائل التأكيد من استخدام اللام وتوظيف نون التوكيد الثقيلة، والتركيز على ضمير الخطاب، وجعل لقاء الله غاية ونهاية لكل ما يفعل..

وقد صرح بعدة مقاصد أقسم عليها وأكدها:

المقصد الأول: إجابة الدعوة

لأجيبنكم إذا دعوتم.. يستمر في استخدام وسائل التأكيد «اللام» «النون».. وكل ما يدل على الثبات الراسخ والعزم الجازم ويفيد الإقناع التام الحاسم..

ويستخدم صيغة المتكلم وضمير الجمع للخطاب.. يتكلم عن نفسه كلام الواثق من نفسه، العارف بدلالات ما يقول.. ويعلن بصراحة واضحة لا التواء فيها ولا خوف من لومة لائم.. إنه مستعد كامل الاستعداد.. متوقّر على كلّ ما يلزم.. منتظر بلهفة، ومتوّب بوعي.. متأهب أقصى التأهب.. متحفّز على علم لنصرة الداعي منهم إذا دعى.. من دون تحديد لنوع الدعوة أو فحواها أو أسبابها ودواعيها.. لا

قيود ولا حدود ولا شروط، ولا ملاحظات ظروف، ولا أيّ استفسار أو تساؤل، ولا تردّد، ولا استكشاف للنتائج والمعطيات.. تسليم مطلق واستجابة تامة.. لأنه يعلم بما لا يعتريه شك ولا ريب ولا ترديد أنّ دعوتهم الحقّ.. أنّ دعوتهم دعوة الله ورسوله وأولي الأمر الذين نصبهم الله وفرض طاعتهم على العباد..

المقصد الثاني: القتال والذب

ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم.. بنفس الحماس والتأكيد والعزم والثبات والإقدام يعلن عن استعدادة للقتال.. بيد أنّه هنا جعل ظرفاً لقتاله.. إذ قال «معكم» فهو يقاتل معهم.. يقاتل عدوّهم.. أيّاً كان العدو.. وحينئذٍ ميّز نفسه.. حدّد مكانه.. انضمّ تحت لواء الحقّ بعينه.. فهو معهم.. معهم على عدوّهم.. وبهذا امتاز عن الأعداء والمتخاذلين والغدر والفجرة وأصرح عن كوامنه والولاء المتوهّج في قلبه الذي يأبى له إلّا أن يكون مع الأبرار ويحارب المنافقين والكفار ويحاربهم ويقاتلهم مع ساداته الذين فرض الله طاعتهم وأوجب نصرهم..

وكما أبان عن موضعه وأثّه معهم يقاتل عدوّهم.. أبان أنّه يضرب بسيفه دونهم ويذبّ عنهم.. وبقوله هذا كشف عن استعدادة للقتال والشهادة واستئناسه بهما، وأثّه لا يرضى لنفسه أبداً أن يرى فيها عرق

ينبض أو عين تطرف وقد أصاب أحدهم أذى .. إذ أنه يضرب بسيفه دونهم .. مقاتلاً عدوهم .. وما دام سيفه بيده وهو قادر على الضرب به فلا يمكن أن يصل إليهم أحد .. فهو يضرب بسيفه لئلا يصل إليهم مكروه ..

يقاتل ويضرب بسيفه دفاعاً عنهم .. وقد جمع هنا هذا العالم العارف البطل الهمام والشجاع الضرغام كل التوحيد والدين وشريعة سيّد المرسلين أصولاً وفروعاً وأخلاقاً وقيماً في أشخاص أهل البيت عليهم السلام وفي وجود سيّد الشهداء عليه السلام .. فالدفاع عن الإمام المعصوم شخصاً دفاعاً عن كل مقدّس وربّاني .. وهو يرى يومئذٍ شخص الإمام مهتداً مطلوب الدم .. فيريد أن يدفع عنه .. يقاتل معه ويضرب بسيفه دونه !

المقصد الثالث: القتال حتّى الموت

«حتّى ألقى الله» .. بعد أن أعلن موقفه بوضوح وصراحة تامّة من دون التفاف ومواربة، ويبيّن أنّ بداية انطلاقته إذا «دعوا»، فبمجرّد أن يدعو سيّجيب بالتأكيد فور دعوتهم «لأجيبنكم إذا دعوتهم» .. وسيقاتل معهم ويمضي - يضرب بالسيف دونهم .. ولا يتلکأ ثمّ، ولا يكلّ ولا يملّ ويكرّ ولا يفرّ بين أيديهم، ولا تكون نهاية لقتاله وللذب عنهم والكون معهم، ولا يتنصّل عنهم إلّا إذا دهمه الحمام ودعاه داعي القضاء، وشاء الله أن يقبضه إليه فيلبي نداءه .. فلا نهاية لاستجابته إلّا لقاء الله

تعالى..

وهذا هو دأب أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام لم نسمع منهم كلمة تفيد الاعتذار والكلل والملل ونسبة ذلك إلى أنفسهم.. وإنما يعبرون عن الالتزام الأبدي فلا ينفكّون إلّا إذا اعترضهم قضاء الله وقدره، قال مسلم بن عوسجة ليلة العاشر مخاطباً سيّد الشهداء عليه السلام:

«نحن نخلّيك هكذا؟! وننصرف عنك؟ وقد أحاط بك هذا العدو، لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتّى أكسرفي صدورهم رحمي وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم به لقتلّتهم بالحجارة، ولم أفارقك أو أموت معك» (١)..

بيّن غاية الالتزام، وقال إنّه لا ينصرف «حتّى» يقاتل فيطعن برمحـه ويضرب بسيفه، ويخترق بسنانه القلوب الشريرة المظلمة المعتمـة المطبوع عليها، فإذا التحم مع الأعداء لا يعرف الكلل والملل، وهو يرى سيفه يفري، وفرسه يجري، وسنانه يمزّق الأحشاء، فهل للقتال غاية ونهاية؟

سَمَرَ في الأرض قدمه، أعارَ الله جمجمته، شرى نفسه لله، رمى

(١) انظر: اللهوف لابن طاوس: ٥٦، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، إعلام الوري للطبرسي: ١ / ٤٥٦، روضة الواعظين للفتال: ١٨٣، مثير الأحران لابن نما: ٣٩.

بطرفه أقصى القوم، عزم على ضربهم وطعنهم دون استخدام «مِن» التبعيض، قال: أظعن.. في صدورهم.. أضربهم.. أمسك مقبض سيفه وكعب رمح بقبضة لا ترتخي ولا ترتعش، لا يفلها شيء إلا الموت المحتوم..

ما ثبت قائمه في يده، فهو يقاتل وسيثبت قائمه في يده ما دامت العين تطرف، وما دام النفس يتردد، وما دام القلب ينبض، وما دام في جملة الأحياء، فإذا قضى نجه فقد أدى ما عليه..

وفي تعبيره جمال لا يقاوم من التصوير، فإنه لم ينسب الثبات له! وإنما نسبته للسيف، فهو لا يفل قبضته، ولا ترتعش يده، ولا يرخي أصابعه عن قائم السيف، وستبقى قبضته متماسكة على مقبض السيف حتى الشهادة، أما بعد الشهادة، فالخيار للسيف إن شاء ثبت في يده، وإن شاء تراخى وذبل حتى يسقط إلى الأرض.. ويؤكد أنه سوف لن ينصرف عن سيد الشهداء عليه السلام ولا يرخي قبضته عن السيف إلا إذا تركه السيف «ولم أفارقك» ^(١)..

(١) انظر للمزيد من التفصيل في شرح كلام مسلم بن عوسجة ودلالاته كتاب «مسلم بن عوسجة أول شهداء الله في معسكر الحسين عليه السلام»، للمؤلف: ١٤٠ وما بعدها.

المقصد الرابع: الغاية من النصرة

لا أريد بذلك إلا ما عند الله.. وما عند الله خير وأبقى.. لا يمين في عمله على أحد، ولا يريد من أحد شيئاً، إنما يفعل ذلك ويستمر به حتى يلقي الله وهو يبغي ما عنده، فلا يظنّ أحد أنّه إنما يفعل ذلك لشيء من حطام الدنيا، أو ابتغاء أَلْفُضُولِ الهشيم وبقايا العصف المأكول، فهو يؤدّي ما عليه ويطيع ربّه ويرضيه، ولم يحدّد ما عند الله، لأنّ ما عند الله لا يحدّ ولا يحصر..

التلميح الثالث: موقف حبيب

«فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي، فقال: رحمك الله! قد قضيت ما في نفسك، بواجز من قولك، ثمّ قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه»^(١).

بطل همام، وليث ضرغام، وشيخ مرفوع الهام في دنيا خضع فيها الناس للنكرات واللئام، تهافتوا على أدران ذيول القروذ الأمويّة يتسقطون منها القدر، وأبى حبيب بن مظاهر إلا أن ينال المجد والفخر والعزّة والنبيل والكرامة بالإشارة، ويسعى إلى التفيؤ بظلال عرش الله، وتنسّم عبق الولاء من أريج عطر الكساء المرحّل الذي ظلّل أصحاب

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، نفس المهموم للقمي: ٨٣.

الكساء الخمسة..

سعى بطمأنينة واجتهاد وثبات ورسوخ عميق في الاعتقاد إلى تصيّد أروع فرص العاقبة الحسنة والخواتيم التي لا تكتب إلا لمثل هؤلاء الأصفياء، فتربّع على أسمى القُلل، ونال أسمى المراتب، وتزيّا بأفخر وأجمل وأفخم الحلل، يوم تردّى برداء الشهادة المطرز بالدماء بين يدي سيّد الشهداء عليه السلام..

ويمكن استكشاف ما ورد عن موقفه هنا من خلال عدّة إشعاعات:

الإشعاع الأول: تكلم قائماً

فقام.. رغم كبر سنّه وشيخوخته، ورغم مقامه ومنزلته، ورغم وجاهته وجاهه، ورغم كلّ الاعتبارات والعناوين.. لم يتكلّم بين يدي سفير سيّد الشهداء عليه السلام وممثله قاعداً.. رعاية للأدب بين يدي أولياء الله والعترة الطيّبة والأصفياء، سيّما وأنّ الحديث سيكون - عاقبة - مع الإمام وخامس أصحاب الكساء عليه السلام وإن كان موجّهاً في الحال إلى المولى الغريب مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام..

وكذا هي همم الرجال الأبطال، وهمم سيوف الحسين عليه السلام التي تأبى أن تطرح على الأرض أو تكون في غمدها، فهي لابدّ أن تكون مشهورة مسلولة في مثل هذه المواقف تحتطف ببريقها أنظار الأعداء، وتقتحم

بوميضها ظلمات الأيام، وتحّد شفرتها برقاب الأوغاد والأدعياء، قام بقده كأنه سيف مهنّد ممشوق ليقف بين يدي المولى الغريب عليه السلام ويتكلّم، فتلك اللحظة لا تلتئم مع القعود والركون إلى الراحة والتحدّث بدعة واسترخاء.. والقيام يعبر عن الاستعداد الكامل والمجهوزيّة التامة للانطلاق حيث يوجّهه الإمام عليه السلام.

الإشعاع الثاني: الدعاء للعابس والإخبار عمّا في نفسه

تقدّم أولاً بالدعاء للعابس بالرحمة فقال: «رحمك الله»، وأيّ رحمة أعمّ وأشمل من رحمة الله الواسعة الحسين بن علي عليه السلام، وفي الدعاء تقرير وإمضاء لما قال.

ثمّ شهد حبيب على كوامن العابس ونيتته وعزمه، إذ قال: قد قضيت ما في نفسك، بواجز من قولك..

إنّ هذا العلم المرفوع والعلم المتدفّق المستقي من زلال علوم أمير المؤمنين عليه السلام الذي علّمه علم المنايا والبلايا، يقرّر للعابس أنّه قد قضى ما في نفسه، فهو على علم واطّلاع بما في نفس العابس لذا أخبره أنّه قد تكلم بتمام ما في نفسه حتّى قضاه وأوفاه.. وكان ما قاله كافياً وافياً معبراً..

الإشعاع الثالث: القدرة على التعبير

ثم شهد له بالقدرة على التعبير بواجز من القول..

يلاحظ أنّ الموقف في غاية الخطورة والحساسية، وهو يحتوي على تفاصيل تمتدّ على مساحة الدنيا وتستوعب التاريخ طويلاً والجغرافيا عرضاً، ولها تماس مباشر بحياة الأفراد والجماعات والأمم، وأقلّ ما تتضمّنه استجابة الدعوة خوض اللجج وسفك المهج واقتحام المنايا تحت ظلال السيوف والإقدام على الموت بعزيمة الثابتين وبصيرة العارفين الراسخين..

بيد أنّ النفس إذا كانت مطمئنة، وكان القلب متماسكاً مجموعاً واعياً عارفاً عالماً متيقناً، وكان المؤمن على بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين ومتبوعاً للنبيين ومرافقاً للسعداء والشهداء والصديقين، واثقاً من مواطئ أقدامه، مستجلباً لجميع خطواته، يتكلّم بسكينة المتوكّل على الله الراضي بقضائه وقدره، مسلماً لإمام يعتقد بعصمته وفرض طاعته.. يرى مستقبل أيامه في دنياه وآخرته رأي العين.. ويستشعر بكلّ كيانه النعيم الذي يرفل فيه بين يدي سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليه السلام ويعلم جازماً أنّه سيفوز فوزاً عظيماً، وهو لا يعيش في داخله أيّ ارتباك أو تزلزل أو اهتزاز ولا أيّ تداخل واشتباك ولا أيّ تزاحم وازدحام واختلاط في المشاعر وارتجاج في الأفكار والمعتقدات

والركائز والمتبنيات .. إذ أن كل معتقداته وأفكاره ومشاعره وخلجاته وكل ما يستجيشه معتمد على أساس متين وركن ركين ومنبثق من حق حقيق .. يستمدّها جميعاً من العين الصافية التي أمر الله العباد أن يتزودوا منها ويأخذوا عنها .. ويسلموها تسليماً .. معدن الإمامة والوصاية والعلم الإلهي والإرادة الربانية .. وها هي الدعوة تأتي للفوز في الدارين من سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام .

فإنه - والحال هذه - يفيض عن أعماقه ويسهل عليه التعبير عن مراداته، لأنّها واضحة جليّة مكشوفة لديه انكشافاً تاماً لا يشوبه شك ولا ترديد ولا خلط ولا تلبيس، ولا عمه ولا تغبيش ..

كيف وقد مكّنه الله من اللغة تمكيناً جعل المفردات طوع لسانه كأنّها خاتم يديره في بنائه .. فإذا كانت المقاصد بيّنة واللغة عليه هيّنة ليّنة انسابت الكلمات من قلبه على لسانه فاخترها ما يعبر عنها بأوجز عبارة لئلا يطيل وهو يتوّب للنصرة ويريد أن يعجل إلى النعيم وتحقيق الآمال في نصره الإمام الحسين عليه السلام .

الإشعاع الرابع: التأكيد على النية

ثمّ قال:

«وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه» ..

لقد أقسم العابس من قبل، بيد أن الحبيب أبي إلا أن يؤكّد نيّته

وعزّمه بقسم جديد غير القسم السابق مع تصريحه باتّفاق النوايا، فوظّف العالم العارف حبيب بن مظاهر أدوات التأكيد وحشد وسائله الواحدة تلو الأخرى حتّى لا يبقى ما يمكن الالتفاف عليه وتأويله والالتواء فيه..

«أنا».. كان بإمكانه أن يكتفي بتقرير ما قاله العابس وتأييده والإعلان عن الرضا به.. وفي ترجمه على العابس ومدحه له ولعبارته الموجزة المعبر عمّا في النفس ما يصحّر عن موقفه.. غير أنّه أراد أن يصرح تصريحاً واضحاً مكشوفاً يحكي نيّته الشخصية وعزمه وقراره الذاتي، ويسدّ كلّ فرجة يمكن أن يتسرّب منها الشكّ في ثنايا الحديث.. فأطلق ضمير المتكلّم البارز «أنا»، فدّل على معنى يدخل في الذات ويعبر عن النفس خاصّة بحيث لا ينصرف الكلام عنه شخصياً بأيّ صارف، ولا يقبل التأويل والتحوير، ولا يقبل الإفلات بتبرير المقاصد إلى مورد آخر..

ثمّ أكّد ذلك بواو القسم.. وتوسّل بالقسم بذكر لفظ الجلالة وأقسم ميمناً برة بالذات المقدّسة، ولم يكتف بذكر «الله» حتّى ذكر له صفة خاصّة به لا يمكن التعديّ بها إلى أيّ ذات مقدّسة أخرى، فحصر قسمه بالله الذي لا إله إلّا هو.. ولا يمين بعد هذا اليمين.. ولا مقدّس يمكن الالتجاء إليه في القسم بعد الله الذي لا إله إلّا هو.. فهو كما أكّد

على شخصه بـ«أنا» أكّد على الذات المقدّسة بصفة لا يشركه فيها أحد.. الوجدانيّة.. ما أعظمه من قسم!!

ثمّ أتى باسم الإشارة للقريب الحاضر «مثل ما هذا عليه».. فهو يشير إلى شيء مشهود معروف مشخّص محدّد مضبوط معهود موجود بين يديه.. كلمات لا زالت طريّة نابضة بالحياة تتلألأ نوراً وتتوهّج حماسة، وتتدفّق منها الشجاعة والثبات.. كلمات حاضرة في المجلس ترسم المواقف وتشيّد المشاهد، وتنطق بالمستقبل الحتمي الذي عقدوا عليه النية وشدّوا عليه العزيمة.. فهو لا يتحدّث عن شيء بعيد المنال، غائب غابر يحتاج إلى تذكير أو استحضار.. «ما هذا عليه».. هذا.. إشارة إلى شيء موجود حاضر حيّ محسوس بين الأيدي وتحت نظر المولى الغريب عليه السلام وأصحابه الميامين والحاضرين أجمعين..

تأكيد بعد تأكيد.. من أوّل العبارة الموجزة إلى آخرها.. بالقسم والحروف والضمائر وأسماء الإشارة وتركيب الجملة الإسميّة.. كلّها للدلالة على أمر بعينه.. لا يبغي عنه حولاً أبداً..

«وأنا والله الذي لا إله إلّا هو على مثل ما هذا عليه»..

الإشعاع الخامس: اتّحاد النوايا

إنّه يخبر ويقسم ويؤكّد القسم بجميع المؤكّدات المتاحة.. فهو على علم جازم ويقين حاسم ومعرفة تامّة لا يشوبها غموض، وانكشاف لا

يستتر منه شيء.. أنهما على نية واحدة.. علم بما في قلب صاحبه تماماً
كما علم بما في نفسه وحكى كل منهما ما في كوامن الآخرواثقاً تمام الثقة
بما يخبر..

بالفعل لقد اتحدت نيّاتهم وشدّت عزائمهم بعضها بعضاً ونفذت
بصائرهم وكانوا ممّن قال وفعل، ووعدوا وعاهدوا فوافوا ووفوا..

اللهم اشهد أننا أحببناهم، ورضينا نيّاتهم وعزائمهم، وهوانا على
هواهم، ونودّ أن نكون على مثل ما هم عليه، وقد أحببنا فعالهم وفخرنا
بها وتمنّينا أن لو لم تؤخّرنا الدهور ولم يعقنا عن نصرهم المقدور، فيا ليتنا
كنّا معهم فنفوز فوزاً عظيماً.

التلييح الرابع: موقف الحنفي

قال الطبري:

«ثمّ قال الحنفي مثل ذلك».

يبدو من إطلاق «الحنفي» تلو العابس والحبيب المستشهدين بين
يدي سيّد الشهداء عليه السلام أنه قرينهم الذي استشهد معهم، وقد اعتمد
على الشهرة والانصراف فلم يحدّد الاسم، فيكون هو سعيد بن عبد الله
الحنفي..

وما ذكرناه في إشعارات موقف حبيب بن مظاهريّأتي هنا حرفاً
بحرف، فلا نعيد.

التلميح الخامس: موقف محمد بن بشر

«فقال الحجاج بن علي: فقلت لمحمد بن بشر: فهل كان منك أنت قول؟ فقال: إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب»^(١).

* * * * *

لم نقف على ترجمة وافية لمحمد هذا فيما توفر لدينا من المصادر، وهذا الخبر تفرد به - حسب فحصنا - الطبري، ومن جاء بعده إنما نقل عنه، ويمكن نظم ما اصطدناه من هنا وهناك ضمن المعلومات التالية:

المعلومة الأولى: نقله أحداث حرب الناكثين

لقد روى محمد هذا أخبار معركة الجمل عن الحرث بن سريع بمعنى أنه يرويها بواسطة ولا يرويها رواية شاهد حاضر^(٢)، فيما يروي أخبار

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، نفس المهموم للقمي: ٨٣، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧.

(٢) الجمل للمفيد: ٢١٧: قال: «وروى نصر بن عمر بن سعد عن أبي خالد عن عبد الله بن عاصم عن محمد بن بشير الهمداني عن الحرث بن سريع قال: لما ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة وقسم ما حواه العسكر قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وقال:

أيها الناس، إن الله عز وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لأهل طاعته وقضى
←

الكوفة في تلك الأيام مباشرة وبدون واسطة^(١)، وربما يستفاد من ذلك أنه كان قد تخلف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فإذا ثبت ذلك لا يكون تخلفه عن سيّد الشهداء عليه السلام بجديد عليه،

أنّ نعمته وعقابه على أهل معصيته. يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة ويا جند المرأة وأتباع البهيمة، رغا فرجفتم، وعقر فانهزمتم، أحلامكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وأنتم فسقة مراق، أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء، خفت عقولكم، وسفّحت أحلامكم، شهرتم سيوفكم علينا، وسفّكت دماءكم، وخالفتم إمامكم، فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر، والنار لكم مدّخر، والعار لكم مفخر، يا أهل البصرة، نكثتم بيعتي، وظهرتم عليّ ذوي عداوتي، فما ظنكم يا أهل البصرة الآن؟

فقام إليه رجل منهم فقال: نظنّ خيراً يا أمير المؤمنين ونرى أنك ظفرت وقدرت فإن عاقبت فقد أجرمنا وإن عفوت فالعفو أحبّ إلى ربّ العالمين.

فقال عليه السلام: قد عفوت عنكم فإياكم والفتنة، فإنكم أول من نكث البيعة وشقّ عصا الأئمة، فارجعوا عن الحوبة، وأخلصوا فيما بينكم وبين الله بالتوبة.

ولما فرغ عليه السلام من الخطبة وكلامه لأهل البصرة ركب بغلته واجتمع إليه جماعة من شرطة الخميس وطوايف.

(١) الكافّة للمفيد: ٢٧ «قال: عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن عبد الله بن

عاصم عن محمد بن بشر الهمداني قال: ورد كتاب أمير المؤمنين عليه السلام مع عمرو بن سلمة الأرحبي إلى أهل الكوفة، فكبر الناس تكبيرة سمعها عامّة الناس، واجتمعوا لها في المسجد ونودي: الصلاة جمعا، فلم يتخلف أحد وقرئ الكتاب فكان فيه» ...

ويكون إثبات تشييعه كما يزعم المؤرخ في غاية الصعوبة، إلا أن يكون «الشيعه» بالمعنى اللغوي، لا بالمعنى الاعتقادي والاصطلاحي المعهود.

المعلومة الثانية: موقفه أيام الإمام المجتبي عليه السلام

روى البلاذري في أنساب الأشراف بعد أن ذكر مواقف الناس بعد الصلح واعتراضهم على إمام الحق الذي ﴿لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، قال:

«وشخص محمد بن بشر الهمداني وسفيان بن ليلى (١)

الهمداني إلى الحسن وعنده الشيعة الذين قدموا عليه أولاً، فقال له سفيان - كما قال له بالعراق -: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له: اجلس لله أبوك! والله لو سرنّا إلى معاوية بالجبال والشجر ما كان إلا الذي قضى.

ثم أتيا الحسين فقال: ليكن كلّ امرئ منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الرجل حيّاً، فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخيّر الله لنا ويؤتينا رشدنا ولا يكلنا إلى أنفسنا، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (٢).

(١) كذا.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ١٥٠.

يفيد هذا الخبر أنَّ المشار إليه لم يك من المسلّمين للإمام عليه السلام، بل كان ممّن يعمل بما يراه ويحكم هواه، ويرى لنفسه رأياً يؤهّله لمراجعة الإمام المعصوم فيما أمر به.. بحيث يتحرّك مع من تحرّك ليقنع الإمام! بالرجوع عن الصلح.

ومن تراه في زمن الصلح ثائراً خلافاً لما أمر الله به، فإنّه من الطبيعي جدّاً أن تراه في زمن القيام نومة مجحوراً وخاذلاً مغموراً، إذ أنّ الميزان عنده نفسه وهواه لا الطاعة لربه.

فيكون - والحال هذه - من مصاديق قول الصادقين عليهم السلام:

«روي عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير هذه الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ مع الحسن ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ... فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ مع الحسين ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى خروج القائم عليه السلام فإنّ معه النصر والظفر، قال الله: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الآية» (١).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «والله، الذي صنعه الحسن بن علي عليه السلام كان خيراً لهذه الأمة ممّا طلعت عليه الشمس، والله لفيه نزلت هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴿١﴾ إِنَّمَا هِيَ طَاعَةُ الْإِمَامِ فَطَلَبُوا الْقِتَالَ، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ ﴿مَعَ الْحُسَيْنِ﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقوله ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِيبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ أرادوا تأخير ذلك إلى القاءم» (١).

ربما أمكن الاستفادة من مجمل جوهذه الأحاديث، ومن انتظارهم القاءم المنتقم عليه السلام، وطلبهم تأجيل القتال معه أنهم كانوا يزعمون الاعتقاد بالإمامة.

بناءً على هذا الفهم، تكون هذه الأحاديث قد تضمنت إشارة صريحة إلى نمط خاص من المتحلين للتشيع والمنتسبين له، فهم بزعمهم راضون وعلى التشيع محسوبون، وغاب عنهم أنهم قد امتازوا عن الشيعة، لأنهم لم يكونوا للإمام عليه السلام في مثل هذا الموقف سامعين مطيعين.

وقد ميّزتهم الدعوة الحسينية - التي بلغتهم - عن الشيعة حينما تخاذلوا وأعرضوا عنها، وأخرجتهم من دائرة التشيع لما تركوا نصره ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من دون عذريذكر، فلا يصنفون في الشيعة بعد يوم الحسين عليه السلام، وإن أطلق عليهم الاسم باعتبار عرقية وخارجية،

(١) تفسير العياشي: ١ / ٢٥٨ ح ١٩٦، الكافي للكليني: ٨ / ٣٣٠ ح ٥٠٦.

وبنفس الدواعي التي تسمح بتسمية الأمة التي حرّفت دين النبي ﷺ وأعرضت عن كتابه وتركته وراء ظهورها وعدّت على عترته فقتلتهم وشردّتهم بـ«أمة النبي ﷺ»، فهم يحسبون أنفسهم على النبي ﷺ رغباً عنه وعتوّاً وطغياناً عليه، وهم ممّن تأثروا بفعل بالتخذيل وركن إلى الحياة الدنيا طلباً للدعة والاسترخاء في ظلال الشجرة الملعونة الزائلة (١) ..

رواية الدينوري:

قال الدينوري في الأخبار الطوال:

«وروي عن علي بن محمّد بن بشير الهمداني، قال: خرجت أنا وسفيان بن ليلى حتّى قدما على الحسن المدينة، فدخلنا عليه، وعنده المسيّب بن نجبة وعبد الله بن الوداك التميمي، وسراج بن مالك الخثعمي، فقلت: السلام عليك يا مدلّ المؤمنين!!! قال: وعليك السلام، اجلس، لسْتُ مدلّ المؤمنين، ولكني معرّضهم، ما أردت بمصالحتي معاوية إلّا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطي أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بدّ من إفضاء هذا الأمر إليه.

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل - معركة القصر»، للمؤلف: ٢٨٣.

قال: ثم خرجنا من عنده، ودخلنا على الحسين، فأخبرناه بما ردّ علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كلّ رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام هذا الإنسان حيّاً»^(١).

والبلاذري والدينوري متعاصران إذ أنّ الفاصل بين وفاة الأول والثاني ثلاث سنوات^(٢)، وربما قوي احتمال التصحيف في «بشر» عند البلاذري بـ«بشير» عند الدينوري، بيد أنّ إضافة «علي بن» الواردة عند الدينوري يصعب حملها على التصحيف، فهي إمّا زيادة، أو خطأ وسهوَ، أو أنّ القصة تكرّرت وقد خرج الأب والإبن كلّ منهما مع سفيان، معاً أو في مرّتين، أو أنّهما دخلا معاً على الإمام مع سفيان أو أنّ سفيان دخل على الإمام مرّتين وكان في كلّ مرّة واحدٌ منهما معه، ويحتمل احتمالاً مستبعداً أن يكون محمد بن بشير الهمداني الذي نسب إليه «علي» في خبر الدينوري غير محمد بن بشر الهمداني المذكور في خبر البلاذري، والله العالم.

المعلومة الثالثة: نقله أحداث الكوفة أيام المولى الغريب عليه السلام

روى الطبري أحداث حبس غريب الكوفة هاني بن عروة وضربه،

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٢٠.

(٢) وفاة البلاذري «٢٧٩ هـ» ووفاة الدينوري «٢٨٢ هـ».

وخوف ابن زياد من وثبة الناس به وخروجه محاطاً بالحرس والشرطة والحشم ومن يسمّونهم أشراف الناس وخطبته في المسجد^(١)..

وربما كانت أخبار أخرى رواها عن تلك الأيام، لم نجتهد في البحث عنها واكتفينا بهذا النموذج، لنعرف أنه كان متواجداً في الكوفة ولم يخرج منها، وأنه لم يكن له ذكر في موقف مشرف - حسب فحصنا - مع المولى الغريب عليه السلام.

المعلومة الرابعة: نقله مقتل سيّد الشهداء عليه السلام

كان من رواة أبي مخنف في مقتل سيّد الشهداء عليه السلام، إذ يروي أبو مخنف عنه وقد صرح ابن سعد أنّ من طرقه في أخبار قيام سيّد الشهداء عليه السلام وما جرى في كربلاء ما يرويه عن لوط بن يحيى الغامدي،

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٧٥: قال أبو مخنف: «حدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشير الهمداني قال: لما ضرب عبيد الله هائناً وحبسه خشي أن يثب الناس به فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتحفوا وتحرموا، إنّ أخاك من صدّك وقد أعذر من أنذر قال: ثم ذهب لينزل فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق أبوابه»..

عن محمد بن بشير الهمداني، وغيره^(١)، وفي ذلك شهادة على وجوده تلك الأيام العصيبة في الكوفة أو في كربلاء، فإمّا أن يكون حاضراً في صفّ الأعداء، وقد سمع واعية الحسين عليه السلام ولم ينصره، فعليه لعائن الله وأكبّه الله على منخره في نار جهنّم بشهادة سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليه السلام، أو يكون قد خرج إلى سيّد الشهداء عليه السلام ثمّ خذله وتخلّى عنه وولّى هارباً، فهو ملعون أيضاً، أو يكون قد بقي في الكوفة يتسقط الأخبار ثمّ رواها. وظاهر الرواية عنه المباشرة في النقل دون وسائط، ممّا يؤكّد الحضور، كما يؤكّد خروجه عن دائرة التشييع والانتساب للشيعة، والله العالم.

المعلومة الخامسة: روايته عن محمد بن الحنفية

وقع في طريق الصدوق في التوحيد باب معنى الحجة^(٢)، عن أبي الجارود، عنه، عن محمد بن الحنفية، عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٣)، وكذا روى عنه الشيخ الطوسي في الغيبة عن أبي الجارود عن ابن الحنفية^(٤)،

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٥٣، البداية والنهاية لابن

كثير: ٨ / ١٧٤.

(٢) التوحيد للصدوق: ١٦٥.

(٣) المستدركات للنمازي: ٦ / ٤٨٠.

(٤) الغيبة للطوسي: ٤٢٧.

والدارقطني في العلل^(١).

لَفَتَات

اللفتة الأولى: إقامة الحجّة عليه

لقد حضرا اجتماع الناس عند كتابة الكتب لسيد الشهداء عليه السلام كما حضريين يدي المولى الغريب عليه السلام وحَدَّث عنه كأنه أحد أعضاء الاجتماع الفعّالين النشطين وكأنه كان يباشر الأمور كواحد من الشخصيات الأصلية، فيقول: اجتمعنا وكتبنا، وما شابه ذلك من تعبيراته بضمير المتكلم التي تحكي أحداث الاجتماع وما تلاه..

وبالتالي فهو قد رأى طلعة المولى الغريب عليه السلام الغراء وحضر المشهد وشاهد مجريات الأحداث بنفسه، وسمع كتاب سيد الشهداء عليه السلام ودعوته وقامت عليه الحجّة بالغة تامّة كاملة لا محيص عنها ولا مجال للاعتذار..

اللفتة الثانية: النفاق وتصنّع التدين

لقد حدّثنا التاريخ بالكثير من قصص الجبّارين وغيرهم من عامّة الناس، حينما يرتكبون الكبائر ويمارسون العظائم ويتوبّون إلى المحارم

(١) العلل للدارقطني: ٤ / ١٢٦.

ويتقحمون المآثم، ثم يتوقفون عند جزئية صغيرة فيتظاهرون بالورع والنسك والزهد ويلبسون المسوح وكأثمهم ما عرفوا الحرام ساعة من زمان!

ومحمد هذا، يتحدث لراويهِ وكأنه القمّة في الورع إذ يخاف أن يكون كاذباً، ويخشى من اقتراف الكذب، فسكت ولم يبادر كما بادر العباس وحبيب والحنفي، فيقول ولا يفعل ويعد ولا يفي!

وربما فعل ذلك ليحرف الأذهان عن جريمته الكبرى وجريته العظمى في خذلان ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسفيره، في محاولة منه للإيحاء إلى المتلقي أنه أراد أن يكون صادقاً في موقفه، بعيداً عن النفاق والغدر.. ونسي أن الموقف لا يحتمل ذلك إن كان من شيعة الإمام الحسين عليه السلام كما يزعم.. فليس له خيار.. وليس له أن يكون مع الخوالف ويقصّر في إجابة الدعوة إلى الجنة، إذ لا طريق بعد التلکؤ عن دعوة الإمام الحسين عليه السلام إلا أن يجوز إلى النار! فخاذل الإمام المعصوم جهاراً نهاراً من دون عذر سوى حبه للدنية ورضاه بالذلّ والصغار وعلى مرأى ومسمع من التاريخ لا يمكن أن يكون شيعياً ولا من الفائزين! نسأل الله حسن العاقبة.

اللفتة الثالثة: خاذل الإمام

إنما نذكر هنا هذه النتيجة وفق ما ورد في تاريخ الطبري فهي على

ذمة الطبري وراويه وبالمقدار الذي توفر لدينا من نصوص تحدّثت عن شأن هذا الرجل إلى حين تسويد هذه الأوراق.

وقد تبين لنا - حسب فحصنا ما لم نقف على شيء يخالفه عن أهل البيت (عليه السلام) أو نصوص تاريخية أخرى في المستقبل - أنه كان خاذلاً للإمام، وقد اعترف وأقرّ بلسانه أنه لا يحب أن يقتل!! قتله الله، وقد خسر خسراً مبيناً، ولا يقبل منه زعمه أنه كان من الشيعة وداخلاً في عدادهم، وإذا ثبت من خلال القرائن والشواهد التي أشرنا إلى بعضها فيما مضى أنه حضر كربلاء وروى ما شاهد ممّا جرى على سيد الشهداء (عليه السلام) فسمع واعيته ولم ينصره، فهو من الملعونين المنكوسين قد استوجب النار وبئس مصير الجبناء الذين أخلدوا إلى الأرض وأعرضوا عن النعيم ونصرة سيد شباب أهل الجنة أجمعين.

اللفتة الرابعة: على فرض كونه شيعياً كما يزعم

لورضيّا زعمه وزعم المؤرّخ وفرضناه كما يقول، فهو نموذج للشيعي المتخاذل بزعمهم، وحينئذٍ يتبجّح الخصوم بزعمهم أن الشيعة هم الذين وعدوا الحسين (عليه السلام) النصر ثمّ أسلموه..

فيقال لهم: إنّ هذا نموذج الشيعي الخاذل.. بيد أنه لم يكذب على إمامه أمام الناس منذ اللحظة الأولى، ولم يعده النصر وهو يبيّت الغدرة، فهو صريح واضح يعلن على رؤوس الأشهاد ويسمع التاريخ

والأزمان أنه لا يحب أن يقتل فتقاعس وتقاعد وخذل.. فارضوا به نموذجاً للشيعة، وليقيسوا غيره من أمثاله عليه، ليعرف أن الشيعة - حسب هذا الفرض - لم يكذب إمامه ولم يكن الغدر والنكول والكذب من شيمه..

أما الذين وعدوا وملأوا الدنيا صراخاً وضجيجاً وعجيجاً وأبرقوا وأرعدوا ولم يمتطروا، ووعدوا ووثقوا بيعتهم بالأيمن المغلظة ثم انقلبوا على أعقابهم وأفلتوا حبل الله المتين وعروته الوثقى وتمسكوا بالحبال المفتولة من شعور ذبول القروء الأموية القذرة وتعلقوا بعيدان الشجرة الملعونة في القرآن المتدلّية في سقر والنيران.. إن أمثال هؤلاء الهمج الأوغاد لم يكونوا يوماً ما من الشيعة، وإنما هم من الذين أخلدوا إلى ظلال السقيفة واتبعوا سامريها وسجدوا لعجلها..

رواية ابن أعثم: تبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين!

قال ابن أعثم والخوارزمي:

«ثم قام حبيب بن مظاهر الأسدي الفقعسي، قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على ما أنت عليه. وتبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين، ثم بذلوا الأموال، فلم يقبل مسلم بن

عقيل منها شيئاً»^(١).

* * * * *

في المقطع الأول من رواية ابن أعثم ما نقله من كلام حبيب بن مظاهر، يشابه تماماً ما نقله الطبري سوى العبارة بعد القسم، ففي عبارة الطبري «على مثل ما هذا عليه»، وفي عبارة ابن أعثم «على ما أنت عليه»، ودلالة العبارة الأخيرة أقوى في التأکید.

والمقطع الأخير من الكلام: «ثم بذلوا الأموال فلم يقبل مسلم بن عقيل منها شيئاً» قد تناولناه في بحوث سابقة.

وما له علاقة ببحثنا هنا إنما هو قوله:

«وتبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين»..

فإن كلامه يحتمل عدّة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن يكون الحضور شيعة فقط

إن كان يقصد بالشيعة الذين تبايعوا على كلام هذين الرجلين هم كلّ من حضر المجلس يوم ذاك، بحيث يكون المجلس مجلساً خاصاً ضمّ رجال الشيعة فقط، فهو بعيد جداً، وذلك:

لقلة عددهم إذ ذاك من جهة، ولما ورد في تعبير ابن أعثم وغيره من

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧

المؤرخين من أن الداخلين على المولى الغريب عليه السلام لاستماع رسالة الإمام الحسين عليه السلام والبيعة أو تأكيدها وتجديدها، كانوا ممن كاتب من قبل، وغيرهم من الهاجحين المانحين المترشحين المتطاعين على الأمواج، المتقلبين كأنهم أفواج الجراد الذي يشكل بمجموعه حالات وصوراً عديدة في الجو حينما يطير في مجموعات لا تحصر عدداً.. ولو كان ثمة اجتماع خاص برجال الشيعة لما أغفله التاريخ وكان ذا أثر عظيم وصيت مشهور مشهود.

الاحتمال الثاني: الشيعة بالمعنى اللغوي

إننا اعتدنا على المؤرخ وأدمنّا تعبيراته ومصطلحاته، فهو يطلق لفظ الشيعي على كل من أعلن استعدادَه لنصرة سيّد الشهداء عليه السلام سواء وفي أم نكص ونكل وغدر.

فإن كان استعماله هنا استعمالاً لغوياً فلا بأس، ولا يبعد من عبء الدنيا الغدر والختل والخيانة والكذب ما دام فيه دنياهم العفنة الآسنة. فهم قد تباعوا على كلام هذين الرجلين، ثم انقلبوا وارتدوا على أعقابهم.. بيد أن في التعبير إيهاماً خطيراً يدعوا للريب والتوجس والتشكيك في نسج العبارة لغرض مقصود وهدف منشود، أقل ما يفيدُه أن المتلقي يقرأ الكلمة فيشقّ عليه التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فترشح المواقف البائسة على الأبرار الأخيار فتلوّث

صورهم وتؤكد ما دأب عليه الأمويون من قذف الشيعة بأقذغ الافتراءات وأنهم هم الذين دعوا إمامهم ثمَّ عدوا عليه فقتلوه! والحال أن أكثر من كاتب وبائع وأكد البيعة على يدي المولى الغريب سفير سيّد الشهداء عليه السلام لم يكونوا من الشيعة المعتقدين بإمامة الإمام الحسين عليه السلام، وقد أثينا على إثبات ذلك وبيانه بشواهد وأدلته في أكثر من موضع من دراساتنا عن المولى الغريب عليه السلام، فلا نعيد.

الاحتمال الثالث: الشيعة ضمن الحضور

ربما قصد من قوله أن الذين تبائعوا على كلام هذين الرجلين العَلَمَين الصادقين، هم خصوص الشيعة الذين حضروا المجلس دون غيرهم من الناس، فقام الحنفي وبائع على هذا الكلام، وقام غيره من الشيعة فبائع، أما غيرهم ممَّن حضر كلُّ بايع على كلام خاص به، أو على كلام بعضهم بعضاً، من دون اعتماد كلام العابس وحبيب رضوان الله وتحياته الزاكيات عليهما.

موقف البشير بن النعمان

ترجمة إجمالية

النُّعمان - بضمّ النون - ابن بشير بن سعد بن نصر بن ثعلبة الحزرجي الأنصاري، أمّه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة الأنصاري الذي قتل في غزوة مؤتة مع جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

قالوا: إنّ النعمان بن بشير أول مولود ولد من الأنصار بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة بأربعة عشر شهراً وقيل: بعشرين شهراً^(١).

وأبوه بشير بن سعد أول من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبي بكر، فبايعه^(٢)، ثم توالى الأنصار، فبايعته، وقتل بشير يوم عين التمر

(١) من العجيب أن تعقم نساء الأنصار وتحفّ أصلاب رجالهم خلال هذه الفترة الطويلة!!

(٢) انظر: الكافي للكليني: ٨ / ٣٤٣ ح ٥٤١، الاحتجاج للطبرسي: ١ / ١٠٦، بحار

مع خالد بن الوليد.

وكان عمر النعمان يوم شهادة النبي صلى الله عليه وآله على أقصى التقادير ثمان سنين وأشهرًا، قال ابن عبد البر:

«ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بثمان سنين، وقيل: بست سنين»^(١).

ومن العجيب عدّه في الصحابة، وإثباته في المسانيد، وهو طفل صغير لا يعقل ولا يعي، ولا يدرك شيئاً، ولم يسدّد بدعاء ولم تذكر له خصوصيّة تؤهّله لهذه الصّحة والرواية.

وربما كان حشره مع الصحابة وإضفاء هذا الغطاء عليه بإرادة أمويّة، صنعها معاوية منذ أن باشر النعمان الاجتهاد في خدمتهم، إذ كانوا يؤكّدون على صحبته، فقد روى ابن الجوزي كلام معاوية يصف النعمان، قال: «النعمان بن بشير بالكوفة، وهو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

الأنوار: ٢٨ / ٣٢٦، الاستيعاب لابن عبد البر: ١ / ١٧٢، الأغاني لأبي الفرج:

١٦ / ٢٨٨، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢ / ٥٣، إكمال الكمال لابن ماکولا:

١ / ٢٨١، تاريخ يعقوبي: ٢ / ١٢٤ ...

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٤٩٦.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٠٤.

وقال الذهبي:

«النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، الأمير العالم!! صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد، الأنصاري الخزرجي، ابن أخت عبد الله بن رواحة، مسنده مائة وأربعة عشر حديثاً، اتفقوا له على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة.. وولد النعمان سنة اثنتين، وسمع من النبي ﷺ وعدّ من الصحابة الصبيان باتفاق» (١).

وقد جاء في تاريخ ابن معين قال:

«أهل المدينة يقولون: لم يسمع النعمان بن بشير من النبي ﷺ وإنما يروى أحاديث النعمان عن النبي ﷺ الكوفيون والشاميون» (٢).

وقال في موضع آخر:

«ليس يروي النعمان بن بشير عن النبي ﷺ حديثاً فيه سمعت النبي ﷺ إلا في حديث الشعبي فإنه يقول فيه: سمعت النبي ﷺ: إن في الجسد مضغة.. والباقي من حديث النعمان

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤١١ - ٤١٢.

(٢) تاريخ ابن معين الدوري: ١ / ١٧٠.

إِنَّمَا هُوَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ فِيهِ سَمْعٌ» (١).

وكان كَذَاباً وقد كذب على أمير المؤمنين عليه السلام بوقاحة: روي:

«مِنْ طَرِيقِ النِّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ عَلِيِّ عليه السلام: ﴿وَنَزَعَنَا مَا فِي

صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾، قال: ذاك عثمان وطلحة والزبير وأنا.

هكذا يحرفون الكلم عن مواضعه» (٢).

وكان منذ صباه غداراً يخون الأمانة من أجل بطنه، وقد أقرّ هو

بنفسه بذلك وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَمِينَ سَمَاءَ غَدْرًا، فروى:

«أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ عِنْقُوداً مِنْ عِنَبٍ أَهْدَى لَهُ مِنَ الطَّائِفِ

لِيَبْلُغَهُ أُمُّهُ، فَأَكَلَهُ، وَلَمْ يَبْلُغْهَا، فَلَمَّا سَأَلَهُ عَنْهُ: مَا فَعَلَ الْعِنْقُودُ

قال: أَكَلْتَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا غَدْرُ! (٣)

وكان النعمان شاعراً من المعروفين في الشعر سلفاً وخلفاً، جدّه

شاعر، وأبوه شاعر، وعمّه شاعر، وهو شاعر، وأولاده وأولادهم شعراء (٤)،

وله ديوان.

وكان مولعاً بالغناء، وله قصّة مع مغنّية المدينة المعروفة «عزّة

(١) تاريخ ابن معين الدوري: ١ / ١١٢.

(٢) الغدير للشيخ الأميني: ١٠ / ١٣٦.

(٣) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٤٩٨.

(٤) انظر: الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢٩٧.

الميلاء»^(١)، ودخل يوماً مجلساً فيه رجل يغتيم بقصيدة ابن الحطيم التي يذكر فيها أم النعمان ويتشَبَّب بها، فلَمَّا دخل النعمان سَكَّتوه، فقال النعمان: دعوه! فَإِنَّه لم يقل بأساً إِنَّمَا قال:

وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك أردانها^(٢)

وكان عثمانياً^(٣)، له هوى ونية في قتال أمير المؤمنين عليه السلام ومَن معه^(٤)، مجاهراً يبغض علي عليه السلام، سيئ القول فيه^(٥)، وشهد مع معاوية صفين، ولم يكن معه من الأنصار غيره، وكان كريماً عليه، ربيعاً كبيراً مكيناً عنده وعند يزيد ابنه بعده^(٦)، وكان يبغض من له رأي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٧).

وكان محباً ليزيد حباً شديداً حَتَّى قال يخاطبه:

(١) انظر: الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٦ / ٢٩٠.

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٩٤، الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢٨٨، المغني لابن قدامة: ١٢ / ٤٥.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦ / ٥٣، الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢٨٩.

(٤) انظر: الغارات للثقفى: ٢ / ٤٤٩، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢ / ٣٠٣، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦ / ٥٣.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ١٥٨.

(٦) الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢٨٨.

(٧) انظر: الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢٨٩.

أبوك خليلي واصطفيتك بعده على الناس ما كانوا معاً وتصدّعوا^(١)
وقد قام بدور خبيث في تأجيج الحرب ضدّ أمير المؤمنين علي عليه السلام
بعد مقتل عثمان، يوم دفعت إليه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان - زوج
النبي صلّى الله عليه وآله - قميص عثمان وأصابع نائلة زوجته فحملها إلى معاوية
مسرّعاً^(٢)..

قال مسكويه في تجارب الأمم:

«وكان أهل الشام قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص
عثمان الذي قتل فيه مَخْضَباً بدمه، وبأصابع زوجته "نائلة"،
مقطوعة البراجم: إصبعان منها مع شيء من الكفّ، وإصبعان
مقطوعتان من أصولهما، ونصف الإبهام، فكان معاوية يضع
القميص على المنبر، ويعلّق منه الأصابع، ويشنّع به، ويكاتب
الأجناد.

فثاب إليه الناس وبكوا سنة والقميص بتلك الحال، وإلى
رجال من أهل الشام ألاّ يأتوا النساء، ولا يمسّهم الماء للغسل
إلاّ من الاحتلام، ولا يناموا على الفرش، حتّى يقتلوا قتلة

(١) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ١٦١.

(٢) انظر: مروج الذهب للمسعودي: ٢ / ٣٥٣، أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ /

عثمان، ومَن عرض دونهم بشيء، أو تفنى أرواحهم» (١).

وكان النعمان في خدمة آل أبي سفيان، مدافعاً عنهم، متوثباً لنجدتهم وإعانتهم وحمائهم من قبل ذلك، فقد روى الطبرسي في الاحتجاج في مناشدة طويلة:

«وأنشدكم بالله أعلمون أن أبا سفيان أخذ بيد الحسين عليه السلام

حين بويع عثمان وقال: يا بن أخي، اخرج معي إلى بقيع

الغرق، فخرج حتى إذا توسّط القبور اجتّره فصاح بأعلى

صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلوننا عليه صار بأيدينا

وأنتم رميم.

فقال الحسين بن علي عليه السلام: قبّح الله شيبتك، وقبّح وجهك،

ثم نتريده وتركه، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده وردّه إلى

المدينة لهلك. فهذا لك يا معاوية فهل تستطيع أن تردّ علينا

شيئاً» (٢).

أمير المؤمنين عليه السلام يطرده ويكره مجاورته

توغّل هذا الوغد الهابط في عثمانيتّه وانحدر إلى حضيض القاع

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ١ / ٥١١.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١ / ٤٠٩.

النتن، وانحسر عن أي خير، ولصق بثقل الشهوات اللزج حتى استحَقَّ أن يطرده أمير المؤمنين ؑ ورحمة الله للعالمين ويعامله معاملة الكلب العقور المجذوم المجذور الأجرب المسعور، ويبعده عنه ويأبى أن يجاوره أبداً، ومَن حرم رحمة الله فهو إلى سخطه ونقمته وانتقامه وغضبه.. وقد خرج هذا الخبيث المرتكس في العفن إلى معاوية! بعد أن بايع الناس أمير المؤمنين ؑ.

روى أبو الفرج في الأغاني قال:

«لما بويع لعلِّي بن أبي طالب ؑ، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير - وكانوا عثمانيّة - أنهم يقدّمون بني أميّة على بني هاشم، ويقولون: الشام خير من المدينة، واتّصل بهم أنّ ذلك قد بلغه، فدخلوا عليه، فقال له كعب بن مالك: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن عثمان: أقتل ظالماً، فنقول بقولك؟ أم قتل مظلوماً، فنقول بقولنا، ونكلك إلى الشبهة فيه، فالعجب من تيقّنا وشكّك، وقد زعمت العرب أنّ عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه! ثمّ قال: كفّ يديه ثمّ أغلق بابه وأيقن أنّ الله ليس بغافل وقال لمن في داره: لا تقاتلوا عفا الله عن كلّ امرئ لم يقاتل فكيف رأيت الله صبّ عليهم العداوة والبغضاء بعد التواصل وكيف رأيت

الخير أدبر عنهم وولى كإدبار النعام الجوافل.

فقال لهم علي عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثرة، وجزعتهم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة.

فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذرنا به.

فقال علي عليه السلام: أتردون عليّ بين ظهرائي المسلمين، بلا بينة صادقة، ولا حجة واضحة؟ اخرجوا عني، ولا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً.

فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية والكفاية، فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب ابن مالك ألف دينار، وولى النعمان بن بشير حمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد» (١).

محاربته وعداوته لأmir المؤمنين عليه السلام

لقد عرف هذا الخبيث الماجن ببغضه لأmir المؤمنين عليه السلام وأوليائه، فكان مسارعاً في كل ما يحقق له مصالحه ويسكن عنه نار أحقاده ويحمد في أعماقه أتون الجمر المتقد على الحق وأهله، فكان كالرجل

يغلي بأزيز هادر بحثاً عن منفذ يفرغ منه جيّاشات العداوة والضلال،
حتى قال في أمير المؤمنين ﷺ - بتر الله لسانه ولعنه لعناً وبيلاً وعذبته
عذاباً أليماً لا يفتربداً -

لقد طلب الخلافة من بعيد وسارع في الضلال أبو تراب
معاوية الإمام وأنت منها على وتح^(١) بمنقطع السراب^(٢)

فيوم كان جميع «الصحابة من المهاجرين والأنصار مع الإمام ﷺ
ضدّ معاوية وأصحاب الجمل والنهروان إلا شذاذاً، كان النعمان مع
معاوية، وكان انتهازياً مرتزقاً، يبيع دينه وضميره لأيّ شيطان يدفع
الثلث، وكان من المقرّبين عند عثمان، ولما قتل عثمان أخذ النعمان
قيصه وأصاب زوجته نائلة، وباعهما إلى معاوية»^(٣)..

وقد استخدمه معاوية وابنه يزيد كثيراً في تحقيق مآربهم^(٤)، من
خلال توظيف عنوانه كأنصاري، أو أحقاده كعدوّ لآل رسول الله ﷺ،

(١) التوح: القليل الذي لا خير فيه (انظر: لسان العرب).

(٢) العثمانية للجاحظ: ٣٠٠، شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٣ / ٢٤١.

(٣) انظر: في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية: / ٢٤٧.

(٤) قال السيّد علي البروجردي في طرائف المقال: ٢ / ١٤٧ رقم ٨١٩٣: «في شرح
ابن أبي الحديد: كان النعمان بن بشير الأنصاري منحرفاً عنه يعني: علياً ﷺ
وعدوّاً له ﷺ وخاض الدماء مع معاوية خوفاً، وكان من شعراء يزيد ابنه
حتى قتل وهو على حاله»..

في الحرب والسلم، فإنه كان يتحَيَّن الفرص ليشفي غليله بقتال مَنْ ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويقول لمعاوية:

«ابعثني فَإِنَّ لي في قتالهم نيّة وهوى»..

روى الثَّقَفي في الغارات والبلاذري في الأنساب وغيرهما قالوا:

«بعث معاوية النعمانَ بن بشير الأنصاري، وأبا هريرة الدوسي بعد أبي مسلم الخولاني إلى عليّ يدعوانه إلى أن يسلمَ (لمعاوية) قتلة عثمان بن عفان ليقتلوا به فيصلح أمر الناس ويكفّ الحرب، وكان معاوية عالماً بأنّ علياً لا يفعل ذلك، ولكنّه أحبّ أن يشهد عليه عند أهل الشام بامتناعه من إسلام أولئك، والتبرّي منهم فيشرع له أن يقول: إنّه قتله فيزداد أهل الشام غيظاً عليه وحنقاً وبصيرة في محاربته وعداوته، فلمّا صاروا إليه فأبلغاه ما سأله معاوية امتنع من إجابتهما إلى شيء ممّا قدما له، فانصرف أبو هريرة إلى الشام فأمره معاوية بأن يعلم الناس ما كان (بينه و) بين علي، وأقام النعمان بعد أبي هريرة شهراً وهو يظهر لعلّي أنّه معه ^(١)، ثمّ خرج فارّاً من علي عليه السلام حتّى إذا مرّ بعين التمر أخذَه مالك بن كعب الأرحبي وكان عامل علي عليه السلام عليها فأراد حبسه وقال

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٤٤٥ - ٤٤٩.

له: ما مَرَّبَكَ هاهنا؟ قال: إنما أنا رسول بلغت رسالة صاحبي
ثم انصرفت، فحبسه، ثم قال: كما أنت حتى أكتب إلى
علي عليه السلام فيك، فناشده وعظم عليه أن يكتب إلى علي عليه السلام
فيه، وقد كان قال لعلي عليه السلام: إنما جئت لأقيم.

فأرسل النعمان إلى قرظة بن كعب الأنصاري وهو بجانب عين
التمر يجبي خراجها لعلي عليه السلام، فجاء مسرعاً حتى [وصل إلى]
مالك بن كعب فقال له: خلّ سبيل هذا الرجل - يرحمك
الله -، فقال له: يا قرظة اتق الله ولا تتكلم في هذا فإنّ هذا لو
كان من عبّاد الأنصار ونسّاكهم ما هرب من أمير المؤمنين إلى
أمير المنافقين، فلم يزل يقسم عليه حتى خلى سبيله، فقال له:
يا هذا لك الأمان اليوم والليلة وغداً ثم قال: والله لئن أدركتك
بعدها لأضربنّ عنقك، فخرج مسرعاً لا يلوي على شيء
وذهبت به راحلته فلم يدر أين يتسكّع من الأرض، وأصبح
ثلاثاً لا يدري أين هو؟!

قال النعمان: والله ما علمت أين أنا حتى سمعت قائلة تقول
وهي تطحن:

شربت مع الجوزاء كأساً رويّةً وأخرى مع الشعري إذا ما استقلّت
معتقة كانت قريش تصونها فلما استحلوا قتل عثمان حلّت

فعلمت أئني عند حيٍّ من أصحاب معاوية، وإذا الماء لبني القين، فعلمت عند ذلك أئني قد انتهيت إلى مأمني»^(١).

فأتى معاوية، فأخبره ومن قبله بمثل ما أخبرهم به أبو هريرة، وهذا في أول الأمر^(٢).

ثم لم يزل مع معاوية مناصحاً مجالداً علي ويتتبع قتلة عثمان حتى غزا الضحّاك بن قيس أرض العراق، ثم انصرف إلى معاوية وقد كان معاوية قال قبل ذلك بشهرين أو ثلاثة: أما من رجل أبعث معه بجريدة خيل حتى يغير على شاطئ الفرات فإن الله يرعب بها أهل العراق؟ فقال له النعمان: ابعثني فإن لي في قتالهم نيّة وهوى، وكان النعمان عثمانياً.

قال: فانتدب على اسم الله، فانتدب، وندب معه ألفي رجل، وأوصاه أن يتجنّب المدن والجماعات، وأن لا يغير إلا على مسلحة، وأن يعجل بالرجوع.

فأقبل النعمان بن بشير حتى دنا من عين التمر، وكان بها مالك بن كعب الأرحبي الذي جرى له معه ما ذكرناه، وكان معه بها ألف رجل وقد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة، فلم يك بقي معه إلا مائة أو نحوها.

(١) انظر: الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي: ٢ / ٤٤٥ - ٤٥٩.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٤٤٦.

فكتب مالك إلى علي عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ النعمان بن بشير قد نزل بي في جمع كثيف فما أنت ترى، سدّدك الله تعالى وثبتك، والسلام.

وكان مخنف بن سليم على الصدقة لعلي عليه السلام فكان على أرض الفرات إلى أرض بكر بن وائل وما يليهم، وكان قد بعث مالك بن كعب الأرحبي على العين، فأقبل النعمان بن بشير في ألف رجل حتّى أغار على العين، فاستعان مالك بن كعب بمخنف بن سليم وكان معه ناس كثير كانوا متفرّقين.

قال عبد الله بن مخنف: فندب معي أبي مخنف خمسين رجلاً، ولم يوافه يومئذٍ غيرهم، فبعثني عليهم فأنتهيت إلى مالك بن كعب وهو في مائة والنعمان وأصحابه قاهرون لمالك، فأنتهينا إليه مع الماء، فلمّا رأوني ظنّوا أنّ ورائي جيشاً فأنحازوا، فالتقيناهم فقاتلناهم وحجز الليل بيننا وبينهم وهم يظنّون أنّ لنا مدداً فانصرفوا، فقتل من أصحاب مالك بن كعب عبد الرحمن بن حرم الغامدي، وضرب مسلم بن عمرو الأزدي على قمّته فكسر، وانصرف النعمان.

فبلغ الخبر عليّاً عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أهل الكوفة المنسر من مناسر أهل الشام إذا أظّل عليكم أغلقتم أبوابكم وانجحرتم في بيوتكم انجحار الضبّة في جحرها والضبع في وجارها، الذليل والله من نصرتموه، ومن رمى بكم رمى بأفوق ناصل، أفّ لكم

لقد لقيت منكم ترحاً، ويحكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم، فلا أجاب عند النداء، ولا إخوان صدق عند اللقاء، أنا والله منيئ بكم، صم لا تسمعون، بكم لا تنطقون، عمي لا تبصرون، فالحمد لله رب العالمين، ويحكم اخرجوا إلى أخيك مالک بن كعب فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهمضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الظالمين طرفاً، ثم نزل.

فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير، فلم يصنعوا شيئاً، فقام عدي بن حاتم فتكلم ...
فلما دخل علي عليه السلام منزله قام عدي بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان القبيح، هذا والله الخذلان غير الجميل، ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين!

ثم دخل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إن معي ألف رجل من طيء لا يعصوني، فإن شئت أن أسير بهم سرت؟ قال: ما كنت لأعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس ولكن اخرج إلى النخيلة فعسكر بهم، فخرج فعسكر، وفرض علي عليه السلام سبعمائة لكل رجل [فاجتمع إليه ألف فارس عدا طيئاً أصحاب عدي ابن حاتم] فسار بهم على شاطئ الفرات فأغار في أداني الشام، ثم أقبل.

وعن عبد الله بن حوزة الأزدي قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان بن بشير وهو في ألفين، وما نحن إلا مائة، فقال لنا: قاتلوهم في القرية واجعلوا الجدر في ظهوركم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واعلموا أن الله تعالى ينصر العشرة على المائة، والمائة على الألف، والقليل على الكثير مما يفعل الله ذلك.

ثم قال: إن أقرب من هاهنا إلينا من شيعة علي عليه السلام وأنصاره وعماله قرظة بن كعب ومخنف بن سليم فاركض إليهما وأعلمهما حالنا وقل لهما: فلينصرانا بما استطاعا.

فأقبلت أركض وقد تركته وأصحابه وإثمهم ليرامون بالنبل، فررت بقرظة بن كعب فاستغثته فقال: إنما أنا صاحب خراج وما معي أحد أغيثه به، ففضيت حتى أتيت مخنف بن سليم فأخبرته الخبر، فسرّح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً، وقاتلهم مالك بن كعب وأصحابه إلى العصر فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم واستسلموا للموت، فلو أبطأنا عنهم هلكوا، فما هو إلا أن رأنا أهل الشام قد أقبلنا عليهم أخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون، ورأنا مالك وأصحابه فشدوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية [واستعرضناهم] فصرعنا منهم رجالاً ثلاثة وارتفع القوم عنا، وظنوا أن وراءنا مدداً، ولو ظنوا أنه ليس غيرنا لأقبلوا علينا وأهلكونا، وحال بيننا وبينهم الليل [فانصرفوا إلى

أرضهم].

وكتب مالك بن كعب إلى علي عليه السلام: أما بعد فقد نزل بنا النعمان ابن بشير في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، وكان عظم أصحابي متفرقين، وكنا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجالاً مصلتين، فقاتلناهم حتى المساء واستصرخنا مخنف بن سليم فبعث إلينا رجالاً من شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام وولده عند المساء، فنعم الفتى ونعم الأئصار كانوا، فحملنا على عدونا وشددنا عليهم، فأنزل الله علينا نصره وهزم عدوه وأعز جنده، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فلما ورد الكتاب على علي عليه السلام قرأه على أهل الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم نظر إلى جلسائه فقال: الحمد لله، وندم أكثرهم ^(١).

موقفه في صفين

لقد مارس هذا الوغد المنافق الخبيث المرواغ كل وسائل العداء مع أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها التحريض عليه والتخذيل عنه، فقد سجّل لنا التاريخ له موقفاً في صفين نقله جملة من المؤرخين، فقد دعا معاوية النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد بعد أن فشى القتل في جنده فقال: يا

(١) انظر: الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي: ٢ / ٤٤٥ - ٤٥٩.

هذان ما لقيت من الأوس والخزرج؟ صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى والله جبنوا أصحابي الشجاع منهم والجبان حتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا قتلته الأنصار^(١).

فخرج النعمان حتى وقف بين الصفين فقال: يا قيس، أنا النعمان ابن بشير، فقال قيس: هيه يا ابن بشير فما حاجتك؟

فقال النعمان: يا قيس، إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضى لنفسه، أستم معشر الأنصار، تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، وقتلتم أنصاره يوم الجمل وأقحمتكم خيولكم على أهل الشام بصفين، فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم علياً لكانت واحدة بواحدة، ولكنكم خذلتم حقاً ونصرتم باطلاً، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب ودعوتهم إلى البراز، ثم لم ينزل بعلي أمرقظ إلا هؤنتم عليه المصيبة، ووعدموه الظفر، وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم، فأتقوا الله في البقية.

فضحك قيس ثم قال: ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة، إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه، وأنت والله الغاش الضالّ المضلّ.

أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها مني، واحدة
 قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك.
 وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث.
 وأما معاوية فوالله أن لو اجتمعت عليه العرب [قاطبة] لقاتلته
 الأنصار.

وأما قولك: إنا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع
 رسول الله ﷺ، نتقى السيوف بوجوهنا، والرماح بنحورنا، حتى جاء
 الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر - يا نعمان - هل ترى مع
 معاوية إلا طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور؟ انظر أين المهاجرون
 والأنصار والتابعون بإحسان، الذين رضي الله عنهم، ثم انظر هل ترى
 مع معاوية غيرك وصويحبك، ولستما والله ببدرين [ولا عقبين] ولا
 أحدين، ولا كما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن.

ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك.

وقال قيس في ذلك:

والراقصات بكل أشعث أغبر خوص العيون تحمها الركبان
 ما ابن المخلد ناسياً أسيافاً في من نحاربه ولا النعمان

تركا البيان وفي العيان كفاية لو كان ينفع صاحبيه عيان (١)

في صفين أيضاً

روي إن معاوية دعا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد فقال: يا هذان ما لقيت من الأوس والخزرج؟ صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتى والله جبنوا أصحابي الشجاع منهم والجلبان حتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قالوا قتلته الأنصار، أما والله لأعبين لكل فارس منهم فارساً ينشب في حلقه ثم لألقيهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل (٢) يقولون: نحن الأنصار قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم.

(١) انظر: وقعة صفين للمنقري: ٤٤٨، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ٣٧.

(٢) الطفيشل، بوزن سميدع، كما في القاموس، ويقال له أيضاً «طفشيل». ولفظه فارسي معرب، وهو بالفارسية «تفشله» أو «تفشيله» وقد فسره استينجاس في ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والحزر والعسل، وفسر في القاموس بأنه نوع من المرق، وجعله البغدادي في كتاب الطببخ ضرباً من التنويرات، أي الأطعمة التي تنضج في التنور، وفي منهاج الدكان ٢٢٠: طفشيل كل طعام يعمل من القطاني، أعنى الحبوب كالعدس والجلبان وما أشبه ذلك (انظر: هامش وقعة صفين للمنقري: ٤٤٦).

فغضب النعمان وقال: يا معاوية، لا تلومنّ الأنصار بسرعتهم في الحرب فإنهم كذلك كانوا في الجاهليّة، وأمّا دعاؤهم إلى النزال فقد رأيتهم مع رسول الله ﷺ. وأمّا لقاءك إياهم في أعدادهم من قريش فإن لها وفاء به. وأمّا التمر والطفيشل، فإنّ التمر كان لنا فلمّا أن ذقتموه شاركتمونا فيه. وأمّا الطفيشل فكان لليهود فلمّا أكلناهم غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة^(١) (٢) ..

سمعنا قبل قليل كيف عيّر النعمان قومه الأنصار وهجم عليهم وتجاوز كلّ الحدود معهم، بيد أنّه هنا يدفع عنهم بين يدي معاوية، وهو ربّه الذي يعبده ما درّ عليه معاشه ..

وهذا النمط من التعامل نجده كثيراً في التاريخ، وقد سجّلت لبعض الشخصيّات مواقف ربما فهم منها البعض انتصارهم للحقّ ودفاعهم عن أهله، والحال أنّ مواقف هؤلاء في أحسن التقادير وضمن دائرة حسن الظنّ - ولو على نحو فرض المحال - إن هو إلّا ترجمة للمقولة المشهور «أنا وأخي على ابن عمّي، وأنا وابن عمّي على الغريب»، لا

(١) السخينة: طعام يتّخذ من دقيق وسمن، وقيل: من دقيق وتمر، أغلظ من الحساء وأرقّ من العصيدة، وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سمّوا سخينة.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢ / ٥١٥ - ٥١٦.

أكثر من ذلك، فلا يفهم منها سوى روح التعصّب الأعمى والإحساس بالانتماء بالمعنى السلبي، فهو إنما يستشعر امتهان كرامته الشخصية، ويدافع عن الأثنية المقيمة، أو يريد أن يسجل لنفسه موقفاً يحمده عليه في العاجل والآجل عند القريب والبعيد، أو لأي مصلحة شخصية أخرى..

وكيف كان! فإنّ هذه المواقف لا تنمّ عن فهم وإدراك وصبغة محمودة، وإنما هي تفنّن في اغتنام الفرص وتحقيق المآرب والأغراض والمصالح، وتحكي عن الأمراض القلبية والخبرة في النفاق تماماً كما فعل النعمان وابن العاص عند مقتل الشهيد الفاضل بين الحقّ والباطل عمّار «ففرح بقتله أهل الشام، وقال معاوية: قتلنا عبد الله بن بديل وهاشم بن عتبة وعمّار بن ياسر، فاسترجع النعمان بن بشير وقال: والله إنّنا كنّا نعبد اللات والعزّى، وعمّار يعبد الله ولقد عذّبته المشركون بالرمضاء وغيرها من ألوان العذاب، فكان يوحد الله ويصبر على ذلك، وقال رسول الله ﷺ: صبراً آل ياسر! موعدكم الجنة». وقال له: إنّ عمّاراً يدعو الناس إلى الجنة ويدعوهم إلى النار^(١).

وقال ابن جوني من أهل الشام: أنا قتلت عمّاراً، فقال له عمرو بن العاص: ماذا قال حين ضربته؟ قال: قال:

(١) المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه

فقال عمرو: صدقت أنت صاحبه والله ما ظفرت يدك ولقد أسخطت ربك.

واحتجّ رجلان بصقّين في سلب عمّار وفي قتله، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص يتحاكمان إليه، فقال: ويحكمما اخرجنا عني فإن رسول الله ﷺ قال: أولعت قريش بعمّار وعمّار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار^(١).

أو كان ابن النابغة يعرف الحق ويصدع به في قوله هذا؟! إلا أن يقال: إن الله يجري الحق على لسانه ليدحض به الباطل..

ومنه ما رواه البرقي في الجوهرة قال:

«وأتي يزيد برأس الحسين عليه السلام، فلما وضع بين يديه جعل ينكت أسنانه بقضيب كان في يده ويقول: كان أبو عبد الله صبيحاً، فقال له النعمان بن بشير: ارفع يدك يا يزيد عن فم طالما رأيت رسول الله ﷺ يقبله، قال: فاستحيا يزيد!! وأمر برفع الرأس»^(٢).

كلام أشبه بالهراء منه بكلام الآدميين، أيستحي يزيد؟

(١) المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

(٢) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبرقي: ٤٦.

من أين تحجل أوجه أموية سكبت بلذات الفجور حياءها

وهو قاتل سيد الشهداء ؑ والشامت بسيد الأنبياء والسابي

لعيال سيد الأوصياء؟! يزيد.. وهو من قد عرفتم وعرفه التاريخ!

ثم إنَّ النعمان الأضلَّ من الأنعام يتخذ هذا الموقف؟! لو لم يكن

فيه له أولسيده يزيد ما يفيد، وإن كان صادقاً حقاً فيما يقول، فما

يفعل في مثل تلك الظروف بين يدي ابن الأعرابية الفاعلة الباذلة

نفسها لكل طارق بالمجان؟!

يرفض أن يعطي الكوفيّين زيادتهم في العطاء لهواهم مع أمير

المؤمنين علي ؑ

لقد بلغ النعمان الغاية في الخسة والدناءة ولؤم الغلبة إذ جرى في

أهل الكوفة لمجرد هوى كان لهم مع أمير المؤمنين علي ؑ أن منعهم ما

وظفه لهم عدوه وعدو أمير المؤمنين ؑ، فبخل عليهم بالزيادة التي

رسمها لهم القرد الأموي المترهل.

روى أبو الفرج في الأغاني عن الشعبي قال:

«أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في أعطيتهم،

وعامله يومئذٍ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير، وكان

عثمانيّاً، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم في علي ؑ، فأبى

النعمان أن ينفذها لهم، فكلّموه وسألوه بالله، فأبى أن يفعل.

وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن! وكان يقول: لا ترون على منبركم هذا أحداً بعدي يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ، فصعد المنبر يوماً فقال: يا أهل الكوفة، فصاحوا: ننشدك الله والزيادة، فقال: اسكتوا.

فلما أكثروا قال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ قالوا: لا، قال: مثل الضبع والضبّ والثعلب: فإنّ الضبع والثعلب أتيا الضبّ في وجاره، فنادياه: أبا الحسل، فقال: سميعا دعوتما، قال: أتيناك لتحكم بيننا، قال: في بيته يؤتي الحكم، قالت الضبع: إنّي حللت عييتي، قال: فعل الحرّة فعلت، قالت: فلقطت ثمرة، قال: طيباً لقطت. قالت: فأكلها الثعلب. قال: لنفسه نظر. قالت: فلطمته. قال: بجرمه. قالت: فلطمني. قال: حرّ انتصر. قالت: فاقض بيننا. قال: قد فعلت. قال: حدث امرأة حديثين، فإن أبت فعشرة.

فقال عبد الله بن همام السلولي:

زيادتنا نعمان لا تحبسّها خف الله فينا والكتاب الذي تتلو
فإنّك قد حمّلت منّا أمانةً بما عجزت عنه الصلاخمة البزل
فلايك باب الشرّ تحسن فتحه وباب الندى والخيرات له قفل
وقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن لغيرك جمّات الندى ولك البخل

وأنت امرؤ حلوا اللسان بليغه فما باله عند الزيادة لا يحلو؟
وقبلك قد كانوا علينا أئمة يهّمهم تقويمنا وهم عصل
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكنّ حسن القول خالفه الفعل
يذمّون دنياهم وهم يرضعونها أفأويق حتّى ما يدرّهم ثعل
فيا معشر الأنصار إني أخوكم وإني لمعروف أتى منكم أهل
ومن أجل إيواء النبيّ ونصره يحبّكم قلبي وغيركم الأصل
فقال النعمان بن بشير: لا عليه ألاّ يتقرّب، فوالله لا أجيزها
ولا أنفذها أبداً» (١).

مبعوث يزيد إلى ابن الزبير

يبدو أنّ النعمان كان يمتاز بخبرة فائقة في النفاق والمراوغة والتلون، ومستوى عالٍ من التركيز في الخبث، وله فنّ ومهارة في الحوار بحكم كونه شاعراً متمرساً في الكلام، وينتمي إلى قوم لهم عنوان وقداسة في الإسلام، وهم الأنصار، ولذا كان الأمويّون يوظّفونه في المواقف الصعبة، والظروف المحرجة، والمواضع الملتهبة ليمتصّ النعمة، ويرتق الفتق ويرأب الصدع.

وقد وظّفه القرد الأمويّ المجدور في فتنة ابن الزبير فوجّه يزيد بعشرة نفر من أشرف! أهل الشام، فيهم النعمان بن بشير، وعبد الله بن

عضاة الأشعري - وكان له صلاح! -، ومسلم بن عقبة - لعنه الله - فقال لهم:

«انطلقوا، فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة وأعلموه، أن أحب الأمور إلي ما فيه السلامة.

فساروا حتى وافوا مكة، ودخلوا على ابن الزبير في المسجد، فدعوه إلى الطاعة وسألوه البيعة»^(١).

مبعوث يزيد إلى أهل المدينة

«بعث يزيد إلى النعمان بن بشير فقال له: إن عدد الناس بالمدينة الأنصار وهم قومك، فأتهم فافأثمهم عما يريدون، فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه ودعا الناس إليه عامة وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنة وقال لهم: إنه لا طاقة لكم بأهل الشام، ورغبهم في بيعة يزيد.

فقال له عبد الله بن مطيع العدوي: يا نعمان، قد جئنا بأمر تريد به تفريق جماعتنا وإفساد ما قد أصلح الله من أمرنا.

فقال النعمان: كأني بك على بغلتك تضرب جنبها ثم تلحق بمكة، وتترك هؤلاء المساكين من الأنصار يقتلون في سلكهم

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٦٣.

ومساجدهم، فلم يلتفت إلى قوله.

وكان مع النعمان كتاب من يزيد نسخته: من عبد الله يزيد أمير المؤمنين! إلى أهل المدينة، أما بعد، فقد أنظرتكم حتى لا نظرة، ورفقت بكم حتى عجزت عنكم، وحملتكم على رأسي ثم على عيني ثم على نحري، وأيم الله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أجعلكم بها أحاديث تؤثر مع أحاديث عاد وثمود، وتمثل بهذين البيتين:

أظنّ الحلم دلّ عليّ قومي وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فعبوج عليّ ومستقيم^(١)

انتدابه لحمل السبايا إلى المدينة

قال الشيخ المفيد وغيره:

«ثم ندب يزيد النعمان بن بشير وقال له: تجهّز لتخرج بهؤلاء النسوان إلى المدينة. ولما أراد أن يجّهّزهم ... وأنفذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدّم إليه أن يسير بهم في الليل، ويكونوا أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٣٢١، تاريخ الطبري: ٤ / ٣٦٩.

حيث إذا أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم.

فسار معهم في جملة النعمان، ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم، كما وصّاه يزيد، ويرعونهم حتى دخلوا المدينة»^(١).
يفيد هذا النصّ أنّ النعمان بن بشير كان قد صحب أهل البيت عليه السلام في طريق عودتهم من الشام إلى المدينة بعد السبي.
فيما يفيد نصّ الطبري وغيره أنّ يزيد أمر النعمان أن يجهّزهم ويرسل معهم رسولاً من أهل الشام، قال:

«ثمّ قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير، جهّزهم بما يصلحهم وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً وابعث معه خيلاً وأعواناً فيسير بهم إلى المدينة»^(٢)...
وأوصى بهم ذلك الرسول.

فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم

(١) انظر: الإرشاد للمفيد: ٢ / ١٢٢، روضة الواعظين للفتّال: ١٩٢، إعلام الوري للطبرسي: ١ / ٤٧٥.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٦٩ / ١٧٧.

يحتشم، فلم يزل ينازلهم في الطريق هكذا ويسألهم عن حوائجهم ويلطفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب:

«فقلت لي فاطمة بنت علي: قلت لأختي زينب: يا أختي، لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا فهل لك أن نصله؟
فقلت: والله ما معنا شيء نصله به إلا حليتنا، قالت لها:
فنعطيه حليتنا، قالت: فأخذت سوارى ودملجى، وأخذت
أختى سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه واعتذرنا إليه، وقلنا
له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل.

قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكن
ما يرضيني ودونه، ولكن والله ما فعلته إلا لله ولقربانكم من
رسول الله ﷺ» (١)!!!

فهو قد أمر النعمان أن يجهزهم رجالاً من أهل الشام، وأوصى ذلك
الرسول، ثم إن بنات أمير المؤمنين عليه السلام - حسب نقل الطبري - عرّفن
الرجل ووصفنه بالشامي، ولو كان النعمان لعرفنه، ولعرفه الإمام زين
العابدين عليه السلام إذ أنه في عداد الأنصار، وللأنصار خصوصياتهم، سيما
إنه من شذاذهم الذين أوغلوا في عدواة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربتة،

وعُرفوا بالتشبُّث بذيول القروء الأمويّة.

وعلى فرض أنّه كان النعمان وقد خرج بنفسه معهم يسايرهم، فليس في ذلك أيّ دلالة على بقيّة من شرف تترقرق حَبّات العرق بسببه في جبين هذا النكد الشؤوم..

فهو إنّما خرج بأمر يزيد، وعمل كما أوصاه وأطاع أمره فيهم، وفق ما صرّح به الشيخ ومن تبعه.

أضف إلى ذلك ما ذكرناه قبل قليل، من أنّ النعمان كان وبراً وشعراً فيه نعومة تلتحفه القروء الأمويّة في المواضع الملتهبة والمواقف الحرجة التي تحتاج إلى شيء مركّز من النفاق والخبث والليونة المتلونة.

ما وليه النعمان

ولي النعمان صدقات سعد هذيم وهم: بليّ، وسلامان وعذرة، وضبة بن الحارث، ووائل: بنوزيد^(١).. ولآه عليها عثمان.

وكان من أمراء معاوية^(٢) فقد ولّاه حضرموت، فكتب إلى يزيد بن

معاوية:

أبا خالد لا تتركني ببلدة الـ قروء ونيران الحوادث تلمع

(١) انظر: الأغاني لأبي الفرج: ٢٤ / ٢٩٤.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤١١.

أبوك خليلي واصطفيئك بعده على الناس ما كانوا معاً وتصدّعوا
 فكلّم معاوية في إعفائه، وولّاه الكوفة بعد ابن أمّ الحكم^(١)..
 فكان والياً على الكوفة لكبير القردة الأمويّة المترهل^(٢).
 وولي قضاء دمشق بعد فضالة^(٣).
 وولي على حمص^(٤) ولّاه عليها معاوية مرّة ونغله يزيد مرّة^(٥).
 وولي حمص لابن الزبير^(٦).

ولاية الكوفة وسببها

أفادت عبارات بعض المؤرّخين بصراحة أنّ القرد العجوز معاوية
 ولّاه الكوفة وهو الذي عزله عنها.
 قال ابن سعد:

«وكان ولي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان وأقام بها وكان

(١) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ١٦١.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦ / ٥٣، أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ١٤١، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٣٣.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤١١، الإصابة لابن حجر: ٦ / ٣٤٦.

(٤) انظر: فتوح مصر وأخبارها للقشري المصري: ٢٦٠، الأغاني لأبي الفرج: ١٩ / ١٣٠، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤١١.

(٥) انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٥ / ٢٢.

(٦) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٥٠٠.

عثمانياً ثمّ عزله معاوية بن أبي سفيان فصار إلى الشام»^(١).

وقال ابن الأثير:

«استعمله معاوية على حمص ثمّ على الكوفة واستعمله عليها

بعده ابنه يزيد بن معاوية»..

وقال في موضع آخر:

«... لما عزل معاوية النعمان بن بشير عن الكوفة وولّاه

حمص»^(٢)..

وقال ابن عبد البر:

«وكان النعمان أميراً على الكوفة لمعاوية سبعة أشهر، ثمّ أميراً

على حمص لمعاوية، ثمّ ليزيد»^(٣)..

وقال الذهبي:

«وكان من أمراء معاوية، فولّاه الكوفة مدّة، ثمّ ولي قضاء

دمشق بعد فضالة، ثمّ ولي إمرة حمص»^(٤).

وقال ابن حجر:

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦ / ٥٣.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير: ٥ / ٢٢ - ٢٤.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٤٩٦.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤١١.

«قال سَمَّاك بن حرب: استعمله معاوية على الكوفة، وكان من أخطب من سمعت.

وقال الهيثم: نقله معاوية من إمرة الكوفة إلى إمرة حمص، وضمَّ الكوفة إلى عبيد الله بن زياد، وكان بالشام لما مات يزيد بن معاوية»^(١).

والعبارة الأخيرة صريحة في أنَّ معاوية هو الذي عزل النعمان عن الكوفة وولَّى مكانه ابن زياد.

وهذا يعارض تماماً ما هو المشهور من ولاية النعمان الكوفة يوم شَرَفها المولى الغريب عليه السلام سفيراً.

ويمكن معالجة ذلك من خلال المعالجات التالية:

المعالجة الأولى: تعيينه مرّتين

يمكن افتراض أنَّ معاوية قد عَيَّنه مرّتين على الكوفة ومرّتين على حمص، بيد أنَّ هذا الفرض لا يساعد عليه النصّ التاريخي، ولا النصوص المذكورة آنفاً فيما يخصّ الموضوع.

المعالجة الثانية: عزل يزيد نُسب إلى معاوية

أن يكون عزل يزيد له عن الكوفة نسب إلى معاوية باعتباره كان

(١) الإصابة لابن حجر: ٦ / ٣٤٦.

قد عزم على ذلك، وكتب صكّ تعيينه قبل هلاكه، فنسب العزل إلى معاوية.

روى البلاذري قال:

«بلغ يزيد بن معاوية أنّ الحسين عليه السلام يريد الخروج إلى الكوفة فغمّه ذلك وساءه، فأرسل إلى سرجون مولاهم، وكان كاتبه وأنيسه، فاستشاره فيمن يولّيه الكوفة، فأشار بعبيد الله بن زياد، فقال: إنّه لا خير عنده، قال: أرايت لو كان معاوية حيّاً فأشار عليك به أكنت تولّيه؟ قال: نعم، قال: فهذا عهد معاوية إليه بخاتمه وقد كان ولّاه، فلم يمنعني أن أعلمك ذلك إلّا معرفتي ببغضك له، فأنفذه اليه، وعزل النعمان بن بشير، وكتب اليه: أمّا بعد، فإنّ الممدوح مسبوب يوماً، وإنّ المسبوب ممدوح يوماً، وقد سمي بك يوماً إلى غاية أنت فيها كما قال الأول:

رفعت فجاوزت السحاب وفوقه فما لك إلّا مرقب الشمس مقعد ^(١)

المعالجة الثالثة: عزله معاوية ونفذ يزيد

أن يكون قد عزل بالفعل من قبل معاوية، ولكنّه كان بعد لا زال

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٣٧٩.

مقيماً في الكوفة منتظراً دخول ابن الأمة الفاجرة ليسلمه اللقمة يدّاً بيد ثم يخرج إلى عمله الجديد، فلما تجددت الأحداث - وهو بها - جدد القرد المجدور يزيد عزله ونصب جروه ابن زياد مكانه كتأكيد وتسريع في إخراجة عن الكوفة وتسليمها إلى الناب والمخلب الأمويّ ابن زياد..

المعالجة الرابعة: الخطأ والتصحيح

يحتمل أن يكون ثمة خطأ أو سهو أو تصحيف أو أيّ تقدير آخر يؤدي إلى استقامة تعيين معاوية وعزل يزيد له، وقع ذلك في عبارة ابن سعد مثلاً واتبعه عليه الآخرون، بيد أنّ تكرّر هذا الخطأ عند عدد من المؤرخين مع اختلاف عباراتهم للتعبير عن نفس الحدث ربما أبعد هذا الاحتمال.

المعالجة الخامسة: النعمان نائب لابن زياد

ربما احتمل أن لا يكون النعمان والياً على الكوفة أيام تشرفها بدخول المولى الغريب عليه السلام، وإنّما كانت الكوفة إدارياً لاحقة بالبصرة وخاضعة لحكم ابن زياد وقد ألحق له معاوية الكوفة بالبصرة، وكان النعمان مستمراً في الكوفة كممثل لابن زياد ونائب عنه.

فلما تجددت الأحداث بدخول المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة، أمر القرد المجدور ابن زياد بالتوجّه إلى الكوفة شخصياً ومباشرته الحكم

هناك ..

المعالجة السادسة: عدم وجود النعمان في الكوفة

ربما كان النعمان قد عزل من قبل معاوية ولم يكن هو المباشر للحكم في الكوفة، وإنما كانت الكوفة قد جمعت مع البصرة لابن زياد منذ زمان، بيد أنّ هذا الاحتمال يصعب الإشارة إليه، والأصعب من ذلك إثباته مع وعورة طريق الردّ على من يخالفه لاستناده إلى نصوص متظافرة تفيد وجود النعمان في الكوفة ومباشرته الحكم ثمة، فلا بدّ من التريث في النظر في مثل هذا الفرض حتّى يتبيّن الأمر فيه تماماً، ويبقى بمستوى مجرّد التخرّص الذي لا دليل عليه، حتّى تجتمع المعطيات والإشارات والشواهد والقرائن التاريخية التي ترفعه من مستوى التخرّص والفرض المحض إلى مستوى الاحتمال ...

سبعة أشهر في الكوفة

ذكر البخاري مسنداً وغيره أنّ معاوية قد سلّط النعمان هذا على الكوفة، فكان فيها حاكماً سبعة أشهر^(١)، فبناءً على المعهود المشهور

(١) التاريخ الكبير للبخاري: ٨ / ٧٥ رقم ٢٢٢٣: «قال عبد الرحمن بن مبارك عن

خالد بن عبد الله عن مغيرة عن الشعبي قال: كان معاوية بن أبي سفيان

بعث النعمان بن بشير أميراً على الكوفة فكان عليها سبعة أشهر. وذكر ذلك

من تولّيه الكوفة مرّة واحدة فقط، وهي الفترة التي سبقت تشرف الكوفة بالمولى الغريب عليه السلام، فيكون النعمان جديد عهد فيها يوم دخلها المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

وكان سبب عزل معاوية الوالي الذي كان قبل النعمان، وهو عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي، ابن أمّ الحكم:

«أنّه قيل لمعاوية: إنّ ابن أختك خطب في يوم جمعة قاعداً، وإنّ كعب بن عجرة رآه فقال: ألا ترون هذا الأحمق وما فعل، والله يقول: ﴿انْفِضُوا إِلَيْهَا وَتَرْكُوكَ قَائِمًا﴾ وإنّه اشتدّ في أمر الخراج حتّى قتل ابن صلوبا، وكان صاحب شراب يشرب مع سعد بن هبار من ولد أسد بن عبد العزّى بن قصي، فقال حارثة بن بدر الغداني فيه:

نهاره في قضايا غير عادلة وليله في هوى سعد بن هبار
لا يسمع الناس أصواتاً لهم خفيت إلّا دويّاً دويّاً التحل في الغار
فيصبح القوم أطلاحاً أضربهم سير المطي وما كانوا بسفّار
لا يرقدون ولا تغضي عيونهم ليل التمام وليل المدلج الساري
فبلغ الشعر خاله معاوية، وقدم أبو بردة بن أبي موسى الأشعري على معاوية فقال له: أيشرب عبد الرحمن؟ قال: لا، قال:

أفيسمع الغناء؟ قال: لا، قال: فما تنقمون عليه؟ قال: إنكاره
بيعة يزيد ابن أمير المؤمنين!! وظنّه أنّ النّبيّ له وأنه أحقّ به،
قال معاوية: فما نضع بأبيات ابن همام؟ قال: كذب عليه،
قال: أنشدني إياها إن كنت ترويه، فأنشده فقال معاوية:
شربها - والله - الخبيث، وعزله وولّى النعمان بن بشير
الأنصاري الكوفة»^(١).

فكان عزله إيّاه على أثر شكاية الناس بعد ظلمه وتجاهره بشرب
الخمر، وفعله الأفاعيل، فكان في الكوفة ثمة نقمة واهتزاز في الوضع،
فأرسل النعمان، كالعادة في توظيفه وانتدابه للمواضع المحتقنة،
لتخفيف الالتهاب.

بيعته لأبن الزبير

اتّفقت المصادر أنّ النعمان كان على حمص حين هلاك القرد
المجدور يزيد، وأنه قد بايع لأبن الزبير في حمص ودعا إلى بيعته^(٢)

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ١٣٧.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٠٩، ٤١٦، الاستيعاب لأبن عبد البر: ٤ / ١٤٩٦،
تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٥٦، أنساب الأشراف للبلاذري: ٦ / ٢٨٣، الطبقات
الكبرى لأبن سعد: ٦ / ٥٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤١١، الإصابة
لأبن حجر: ١٦ / ٣٤٦، الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢٩٥ ...

وصار زبيرياً^(١).

وربما كشف هذا التقلب من حضيض إلى حضيض ومن كنيف إلى كنيف مستوى ضحالة هذا النفعيّ الاتهازي الوصولي اللاهث وراء سراب الدنيا، المرتكس في وحل الشهوات الهابطة، المنغمس في مستنقع النزعات التافهة، المتوثّب لاغتنام الفرص الرخيصة، المتبدّل في أحضان الرذيلة.. إذ أنّه كان بالأمس القريب سفيراً ليزيد إلى ابن الزبير يدعوه إلى العودة إلى حضيرة القروء، والتمسّك بأعواد الشجرة الملعونة في غابة الأمويين، بيد أنّه لما رأى الشجرة بدأت تتقلّع من جذورها وتترنّج بعد هلاك القرد المجدور المتوحّش ونزو القرد الناعم معاوية ابنه على أعواد المنبر، فلمّا وجد كفة الدنيا تميل لصالح ابن الزبير صار يدعو إلى بيعته، وما علم أنّه يسعى إلى حتفه البائس، ويسارع إلى مهاوي جهنّم ووهادها..

مقتله

وقعة مرج راهط^(٢).. انتهت فكانت نهاية النعمان بعدها..
قال المسعودي: «كان النعمان بن بشير والياً على حمص قد خطب

(١) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٤٩٦.

(٢) انظر: أسد الغابة لابن الأثير: ٥ / ٢٢، الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٤٩٦ -

لابن الزبير ممالئاً للضحّاك بن قيس، فلمّا بلغه وقعة راهط وهزيمة الزبيرية، وقتل الضحّاك خرج عن حمص هارباً، فسار ليلة متحيراً لا يدرى أين يأخذ، فاتّبعه خالد بن عديّ الكلابي فيمن خفّ معه من أهل حمص، فلحقه وقتله، وبعث برأسه إلى مروان»^(١).

وقال الطبري:

«وخرج الناس منهزمين من المرج إلى أجنادهم فانتهى أهل حمص إلى حمص والنعمان بن بشير عليها، فلمّا بلغ النعمان الخبر خرج هارباً ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عمارة الكلبيّة ومعه ثقله وولده، فتحرّ ليلته كلّها، وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذي طلبه رجل من الكلاعيّين يقال له: «عمرو بن الخلي» فقتله، وأقبل برأس النعمان بن بشير ونائلة امرأته وولدها، فألقى الرأس في حجر أمّ أبان ابنة النعمان التي كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد.

قال: فقالت نائلة: ألقوا الرأس إليّ فأنا أحقّ به منها، فألقى الرأس في حجرها، ثمّ أقبلوا بهم وبالرأس حتّى انتهوا بهم إلى حمص فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٥٠٠.

..ولدها»^(١)..

قتله عمرو بن الخلي، قال ابن الأثير:

«وفي حمير ميثم بن سعد بطن من ذي الكلاع رهط كعب

الأخبار ومنهم عمرو بن الخلي قاتل النعمان بن بشير»^(٢).

وقتل النعمان بقرية من قرى حمص يقال لها: بيران^(٣)، فيما بين

«سلمية» و«حمص»^(٤)، وقبره في طريق سلمية إلى حمص^(٥).

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٤١٦ - ٤١٧.

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير: ٣ / ٢٨٠.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٥٠٠.

(٤) المعارف لابن قتيبة: ٢٩٤.

(٥) في معجم البلدان للحموي: ٣ / ٢٤٠: «سلمية: بفتح أوله وثانيه، وسكون

الميم، وياء مثناة من تحت خفيفة، كذا جاء به المتنبي في قوله: تراها في سلمية

مسبطاً، قيل: سلمية قرب المؤتفكة، فيقال: إنه لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل

من العذاب رحم الله منهم مائة نفس فنجاهم فانتزحوا إلى سلمية فعمروها

وسكنوها فسميت سلم مائة، ثم حرف الناس اسمها فقالوا: سلمية.

ثم إن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس اتخذها منزلاً وبني هو وولده فيها

الأبنية ونزلوها، وبها المحارب السبعة يقال: تحتها قبور التابعين، وفي طريقها

إلى حمص قبر النعمان بن بشير: وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة

بينهما مسيرة يومين، وكانت تعدّ من أعمال حمص، ولا يعرفها أهل الشام إلا

بسلمية»..

قتل في آخر سنة أربع وستين وقيل: خمس وستين، ويمكن الجمع بينهما أنه كان آخر الأول وأول الثاني (١).

بنت النعمان

خلف النعمان أولاداً ذكوراً وإناثاً، وكانوا شعراء مجيدين، ونحن لا نريد هنا الاستقصاء، وإنما نكتفي بالإشارة إلى واحدة من بناته كانت زوجة المختار الثقفي رضي الله عنه، وسنقتصر على بعض ما ذكر عنها، وإن كانت المصادر التي ذكرتها ليست بالقليلة.

قال المازندراني في شجرة طوبى:

«في سنة سبع وستين من الهجرة.. أتى (مصعب بن الزبير) بحرم المختار فدعاهن إلى البراءة منه، والدخول في طاعة أخيه عبد الله بن الزبير ففعلن إلا حُرمتين له:

إحدهما: بنت سمرة بن جندب الفزازي.

والثانية: ابنة النعمان بن بشير الأنصاري.

(١) انظر: المعارف لابن قتيبة: ٢٩٤، الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦ / ٥٣، أنساب الأشراف للبلاذري: ٦ / ٢٨٣، تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٥٦، تاريخ الطبري: ٤ / ٤١٦، الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٤٩٦، أسد الغابة لابن الأثير: ٥ / ٢٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٤١١، الإصابة لابن حجر: ١٦ / ٣٤٦، تقريب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٢٤٨، الأغاني لأبي الفرج: ١٦ / ٢٩٥، وغيرها كثير.

وقالتا: كيف نتبرأ من رجل يقول: ربّي الله كان صائماً نهاره وقائماً ليله قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله وأهله وشيعته فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس؟!

فكتب مصعب إلى عبد الله يخبره بخبرهما، فكتب إليه: إن رجعتا عما إليه وتبرّرتا منه فخلّ سبيلهما، وإلا فاقتلتهما.

فعرضهما مصعب على السيف، فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرّأت منه، وقالت: لو دعوتني إلى الكفر مع السيف لكفرت، أشهد أنّ المختار كافر!

وأبّت ابنة النعمان بن بشير وقالت: شهادة أَرْزَقَهَا لم أتركها، كَلَّا أَتَمَّهَا مَوْتُهُ ثُمَّ الْجَنَّةُ وَالْقُدُومُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَاللَّهُ لَا يَكُونُ آتِيَّ مَعَ ابْنِ هَنْدٍ فَاتَّبَعَهُ وَأَتَرَكَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ أَنِّي مَتَّبِعَةٌ لِنَبِيِّكَ وَابْنِ بَنْتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَشِيعَتِهِ. ثُمَّ قَدَمَهَا مَصْعَبٌ فَقَتَلَتْ صَبْرًا، فِي ذَاكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

إِنَّمَا أَعْجَبُ الْأَعْجِيبَ عِنْدِي قَتَلَ بِيضَاءَ حَرَّةٍ عَطْبُولُ (١)
قَتَلُوهَا ظُلْمًا عَلَى غَيْرِ جَرَمٍ إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ

(١) «جاريةٌ عَطْبُولٌ وَعُطْبُولٌ وَعَيْطَبُولٌ: جميلةٌ فَتِيَّةٌ ممتلئةٌ طويلة العُنُق ممتدة القامة الملساء». (انظر: لسان العرب والنهاية).

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جرّ الذبول (١)

وفي تاريخ الطبري:

«وأما عمرة فقالت: رحمة الله عليه، إن كان عبداً من عباد الله الصالحين! فرفعها مصعب إلى السجن، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير: أنها تزعم أنه نبي! فكتب إليه: أن أخرجها فاقتلها. فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة، فضربها مطر ثلاث ضربات بالسيف، ومطرتابع لآل قفل من بني تيم الله ابن ثعلبة كان يكون مع الشرط. فقالت: يا أبتاه! يا أهلاه! يا عشيرته! فسمع بها بعض الأنصار، وهو أبان بن النعمان بن بشير، فأتاه فطمه وقال له: يا ابن الزانية، قطعت نفسها قطع الله يمينك، فلزمه حتى رفعه إلى مصعب، فقال: إن أُمِّي مسلمة وادّعى شهادة بني قفل، فلم يشهد له أحد، فقال مصعب: خلّوا سبيل الفتى فإنّه رأى أمراً فظيعاً» (٢).

وقال اليعقوبي:

«قالت: أقول إنّّه كان تقيّاً، نقيّاً، صوّماً، قال: يا عدوّ الله أنت ممّن يزكّيه! فأمر بها فضرب عنقها، وكانت أوّل امرأة ضرب

(١) انظر: شجرة طوبى للحائري: ١ / ١٢١، الأخبار الطوال للدينوري: ٣٠٩.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٥٧٣.

عنقها صبراً»^(١).

الخلاصة:

تبين من خلال هذا الاستعراض العجول أنّ النعمان لم يكن فيه شيء من نبل الأنصار، ولا شرف الإنسان السويّ، وكان منذ بدايات النكبة التي دعت الإسلام والمسلمين مباشراً حاطباً فيها يخدم الأمويين ويحارب أمير المؤمنين عليه السلام، تحمله النخوة الجوفاء، وتحركه الحميّة العمياء، ينعق مع الناعق ما درّت معايشه، لبس الدين لبس الفرو مقلوباً، وحاك قميص قيمه من وبر القروذ الأمويّة، يبحث عن «الأنا» الهابطة الكامنة في أعماق كيانه في كلّ حقير وخطير، عاش سارحاً في غابة أبي سفيان، متقلّباً بين أقدام وحوشها، مشدوداً إلى الشجرة الملعونة في القرآن.. فلمّا وجد الغابة تكاد تعصف بها رياح خريف مروان بايع لابن الزبير، فكان فيها حتفه..

فلا يظنّ أحد خيراً في هذا الوجود العفن بعد أن دنس صفحات التاريخ بسيرته الذاتية النتنة، لموقف لا يمكن تفسيره بحسن الظنّ، مع وجود عوامل ودوافع ومسوّغات تنبع من مستنقعه الآسن، فتكشف عوار موقفه المدفوع بالغريزة البهيمة أو حبّ الذات والأناية والظهور بمظهر الحمل الوديع لأسباب وأغراض واضحة فيه تسفر عنها حقيقته الملوّثة.

مواقف النعمان في الكوفة

بعد أن استمعنا إلى خلاصة عجلى عن السيرة الذاتية للوغد المتلون النعمان بن بشير سنحاول التعرف إلى مواقفه في الكوفة يوم تشرّفت بأقدام البطل الهاشمي سفير سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء عليه السلام.

الموقف الأوّل: هواه مع سيّد الشهداء عليه السلام

قال ابن قتيبة:

«وكان على الكوفة النعمان بن بشير، فقال النعمان: لأبن بنت

رسول الله صلى الله عليه وآله، أحبّ إلينا من ابن بحدل»^(١).

وقال ابن عبد ربّه، الباعوني:

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤.

«وكان على الكوفة حين مات معاوية [يعني النعمان]، فقال:
يا أهل الكوفة، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أحب إلينا من ابن
بنت مجدل»^(١).

وقال القاضي النعمان:

«وكان على الكوفة يومئذ النعمان بن بشير، وانتهى ذلك إليه.
فقال: إن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أحب إلينا من ابن بنت
مجدل^(٢)، يعني يزيد بن معاوية لعنهما الله، أمه منسوبة بنت
مجدل الكلبي»^(٣).

وقال البيهقي:

«وكان على الكوفة حين مات معاوية، النعمان بن بشير بن
سعد الأنصاري. فلما بلغه خبر الحسين عليه السلام، قال: لأبن بنت
رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إلينا من ابن بنت مجدل»^(٤).

وقال النويري:

-
- (١) العقد الفريد لابن عبد ربه: ٤ / ٣٧٧، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥.
(٢) قال الشيخ القمي في نفس المهموم: ٨٦: «قلت: وابن بنت مجدل هو يزيد بن
معاوية، فإن أمه ميسون بنت مجدل الكلبيّة - بالحاء والبدال المهملتين -
(وأقول:) ويظهر من هذا أنّ (مجدل) بالمعجمة متى ما ورد تصحيف».
(٣) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧.
(٤) المحاسن والمساوي للبيهقي: ٥٠.

«وقيل: إنه لم يقل ذلك، وإنما قال: يا أهل الكوفة، إن ابن بنت رسول الله ﷺ أحب إلي من ابن بنت بحدل»^(١).

* * * * *

أفاد ابن قتيبة وآخرون ممن ذكرناهم أن النعمان قال:
«إن ابن بنت رسول الله أحب إلينا من ابن بنت بحدل»..
ويمكن أن نتناول ما أفادوا من خلال الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: وقت التصريح

إن عباراتهم اختلفت في وقت صدور هذا التصريح من النعمان،
فنها ما لم يحدّد له موضعاً معيناً كعبارة ابن قتيبة، ومنها ما صرح أنه إنما
قال ذلك حينما انتهى إليه الخبر، ومنها ما نصّ أنه حينما «بلغه خبر
الحسين عليه السلام»..

ومن الواضح أن المقصود من «بلغه خبر الحسين عليه السلام» يعني
قدومه عليه السلام ودخول سفيره المولى الغريب عليه السلام، إذ أن العبارات جاءت
في هذا السياق.

الملاحظة الثانية: المخاطب

جاءت عبارات ابن قتيبة وغيره، عامة فيما جاءت عند ابن عبد ربّه

(١) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٧.

والباعوني فيها لفظ الخطاب «يا أهل الكوفة»، ففي العبارة الأولى كأنه قال شيئاً أو تتم بكلمات حينما بلغه الخبر، فسمعها المخبر أو الراوي، ولو كان في خلوة، ولم يكن يخاطب فيها الناس ويكلّم الرعيّة.. والفرق بين المحالين كبير وشاسع واسع.. فهو في عبارة ابن قتيبة - وهو الأقدم - لم يكن ناصحاً لأحد، ولم يكن مرجحاً لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على غيره أمام الناس وداعياً له، ربما سيّضح الفرق أكثر فيما يلي من الملاحظات.

الملاحظة الثالثة: تسجيل موقف!

لما كان قدوم المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة بعد أيام قلائل من هلاك الطاغية معاوية، الحاكم المتسلّط المنافق المتمرّس في النفاق والتظاهر والدهاء والسياسة، والنعمان وغيره يعرف يزيد الخمر والفجور والمجون والتفسّخ الأخلاقي، وبالتالي يمكن أن يحتمل هبوب رياح التغيير بعد القسر والظلم والجور الذي مارسه معاوية أيام حكمه، وضعف القرد المتّبع يزيد عن مواجهة الاضطرابات والغليان والتملّمل الذي سيواجهه، سيّما في الكوفة المتمردة التي يمكن أن يكون فيها هوى لسيد الشهداء عليه السلام.. وقد رأيناه في حمص الأمويّة يبايع لابن الزبير بعد هلاك يزيد.

فقال ما قال ليسجّل موقفاً ربما سينفعه غداً إذا دارت الدائرة على

الأمويين، سيّما إذا كان خطابه للناس!

الملاحظة الرابعة: جحدوا بها..

ربما كان تعبيراً عمّا يقربه في أعماقه، وينطق به ضميره ووجدانه وفطرته التي غطّها وغشّيا بشهواته ونزعاته وخبثه وتنكره للحقّ، فنطق بها على غرار ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾، سيّما إذا كان الكلام ليس مع الناس وإنّما كلام قاله حين بلغه الخبر ولو كان في خلوة، كما أشرنا قبل قليل.

الملاحظة الخامسة: تسخيره لقول الحقّ

ربما يكون من باب إجراء الحقّ على لسان الباطل، فكثيراً ما يجري الله الحقّ على لسان أهل الباطل لإقامة الحجّة وإتمامها. هذا كلّه على فرض صدور هذه العبارة منه، وترجيحه لابن بنت رسول الله ﷺ على ابن بنت بجدل، ونحن نشكّ في ذلك، ونحتمل وجود ثمة تلاعب بالنصّ أو زيادة أو نقص..

ولو كان عنده في أعماقه أدنى تفضيل لسيد شباب أهل الجنة ﷺ على سليل القرود المولود في دنان الخمر، لعبّر عن ذلك في موقف آخر ولما خذله ولما انحاز إلى ابن بنت بجدل وسارع إلى ولاية حمص وابن بنت رسول الله ﷺ يقتل!

الموقف الثاني: المسالمة

المتون:

البلاذري:

«والنعمان بن بشير الأنصاري يومئذٍ عامل يزيد بن معاوية على الكوفة، وكان رجلاً حليماً يحبّ العافية، فلَمَّا بلغه خبر قدوم مسلم، خطب الناس، فدعاهم إلى التمسك بالطاعة والاستقامة، ونهاهم عن الفرقة والفتنة، وقال: إني والله لا أقاتل إلا من قاتلني، ولا آخذ أحداً بظنّة، وقرف وإحنة»^(١).

الدينوري:

«وكان يحبّ العافية، ويغتنم السلامة»^(٢).

الطبري، النويري:

«وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية»^(٣).

سبط ابن الجوزي:

«وبلغ النعمان بن بشير الخبر، فخطب، وقال: احذروا الفتن،

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٤.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٧.

وسفك الدماء. وكان النعمان يحبّ العافية»^(١).

ابن خلدون:

«وعلم مكانه النعمان بن بشير أمير الكوفة وكان حليماً، يمنح إلى المسالمة، فخطب، وحذّر الناس الفتنة»^(٢).

ابن شهر آشوب:

«فرغ ذلك إلى النعمان بن بشير وهو والي الكوفة، فجمع الناس، وخطب فيهم ونصحهم»^(٣).

السماوي:

«وكان ابن زياد في البصرة والنعمان بن بشير الأنصاري في الكوفة عاملين عليها ليزيد، فتتبع الشيعة عند ورود مسلم الكوفة بالنعمان، فلم يحبّ الشدة وتحرّج»^(٤).

* * * * *

يمكن ملاحظة ما أفادت هذه النصوص ضمن النقاط التالية:

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١.

(٤) إِبصار العين للسماوي: ٦.

النقطة الأولى: حبّ العافية!

لا شكَّ أنَّ النعمان لا يحبّ العافية لأهل الكوفة، ولم يكن رفيقاً بهم ولا تهمّه دماؤهم وأعراضهم وأمنهم واستقرارهم، وقد رأيناه يحرّض عليهم فيطير بقميص عثمان وبراجم نائلة إلى معاوية، وسمعناه يقول لمعاوية: أنَّ له هوى في قتال أهل الكوفة، ويمنعهم الزيادة التي فرضها لهم معاوية، وغيرها من مواقف التي مرّت علينا في ترجمته..

أجل! إنّه يحبّ العافية بمعنى أنّه يحبّ الحياة تماماً كاليهود، ولا يحبّ أن يموت، وهو يرى الكوفة هائجة مائجة تتقاذفها الأمواج، وتجتاحتها التيارات والصرخات والزعقات، والأوضاع مرتبكة لا تتميز، وهو يخشى أن تدور عليه الدائرة، فكان يترثّ ويدعو إلى السلم - على فرض قبول ذلك - لتتكشّف له الأمور، ويجد لنفسه مفرّاً من هذه المخصصة، وطريقاً يفلت منه إلى مأمنه، من دون أن تسجّل له نكتة سوداء في صحيفته مع الأمويين أسياده، ولا تجعله مجرمّاً يستحقّ القتل والتنكيل إذا جرت الرياح لصالح ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله.

إنّ موقفه حينئذٍ أشبه ما يكون بموقف الانتهازيين الآخرين من قبيل شيبث بن ربعي وحجار بن أبحر وعزرة بن قيس وأمثالهم، وقد أتينا على بيان كتابهم لسيد الشهداء عليه السلام في أكثر من موضع من دراساتنا عن المولى الغريب وصاحب ميمنة الحسين زهير بن القين، ومسلم بن

عوسجة عليه السلام .

فهؤلاء الانتهازيون كانوا يتكلمون مع سيّد الشهداء عليه السلام بلغة لا تدخل السرور عليه ولا تزعج أعداءه، انتظاراً للمشهد أن يسفرو وينجلي، وهم سالمون على كلّ تقدير، يقتطفون الثمار اليانعة ويستقون من الآبار الطامية، ويرتعون في الجنّات المعشوشبة المخضرة، ويتأمرون على الجند المجنّدة، ولا فرق عندهم بعد ذلك مع من يكونون، وتبقى غابة الأمويين أحبّ إليهم دائماً.

النقطة الثانية: معالجته للموقف

ربما يلاحظ في النعمان أنّه كان خبيراً في الحوار وإدارة الأزمات الحادة والبؤر الملتبهة، فحاول استيعاب الموجة بالملينة وامتصاص النقمة كما فعل مع ابن الزبير وأهل المدينة، وقد عيّن بالكوفة من قبل معاوية لنفس الغرض، لكن لما كان الموقف الجديد يحتاج إلى القوة والرعونة والبطش استبدل وولّى على حمص، وعيّن مكانه ابن زياد..

النقطة الثالثة: اتباع نهج معاوية!

قد يقال: إنّ النعمان كان يمثّل الخطّ الأموي المعتدل، الذي يمارس الدهاء والمخاتلة والمراوغة كما كان يفعل معاوية من قبل، في مقابل الخطّ الأموي الأرعن الذي يمارس الفتك والبطش والتسلّط بالقوّة

والقهر..

بيد أن هذا الفرض ربما يتضائل إذا اقتنعنا أن هذا التقسيم أساساً ليس تقسيماً سليماً، إذ أن الأمويين هم الأمويون، وليس ثمة خطوط فيهم، وإنما هم يتعاملون مع الوقائع الحادثة وفق متطلّباتها، فمرة يعالجونها بالدواء وأخرى بالكِي، ولطالما حارب القرد المترهل معاوية، ولكثر ما داهن وسالم، وما أعظم الدماء التي أراقها في الحرام وتحمل وزرها، وواجه الناس بكل وقاحة و صلف، كما لا يهتم بالسياسة والظرف.

بل إنّ تسليط ابن الأمة الفاجرة على الكوفة إنّما كان بفعل معاوية، وقد كان أعدّ مرسوم تولّيه هناك قبل أن يهلك، لعلمه بما سيجري على مملكته من خلال ما سمعه من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ومن مخبري أهل الكتاب وقصاصيهم، ومن خلال مجريات الأحداث التي كان يباشر مزاولتها أيام حكمه وسلطنته.

فيكون الاختلاف في السياسات، إن كان ثمة اختلاف، كما أفادته بعض مواقف الولاة، على فرض صحّة ما نقل عنهم، باعتبار التشخيص لا باعتبار وجود خطّ متروّ عاقل منطقي يتعامل مع الأمور بروح فيها شيء من عقل ودين، وإنما هي السياسة والدهاء التي لا تخلو من الشحنة والعدواة والبغضاء والأحقاد الدفينة وما يلزم التسلّط

والتحكّم في الناس من خيلاء وكبرياء وحبّ للمصلحة والاحتفاظ بالموقع بأيّ ثمن..

فهم يخالون من خلال خبرتهم في التعامل مع الأزمات أيام الحكم أنّ هذا المورد بالخصوص يمكن معالجته باللين والمزاولة والمراوغة والدهاء والالتفاف والاستيعاب.. فلو أقنعهم مَنْ هو أكثر خبرة منهم أنّ الموقف يحتاج إلى صرامة وحزم والخوض العشوائي في الدماء لما تردّدوا لحظة واحدة..

وعلى فرض أنّهم صاروا يتجنّبون بعض الدماء، فليس ذلك لحرمتها أو الخوف من الله فيها، أو الخوف من التمرّد الاجتماعي وما شاكل، وإنّما هو الخوف على الموقع والمصالح والمنافع وخسارة ما هم فيه من السلطة والطغيان.

النقطة الرابعة: العامل الغيبي

بغضّ النظر عن أيّ تحليل يفسّر لنا مجريات الأحداث في الخارج كما وقعت، أو كما رواها لنا التاريخ، وبغضّ النظر عن موقف النعمان سواء كان بدافع شخصي، أو بدافع تيّار وخطّ كان يمثّله وينتمي إليه في غابة القروء، فإنّ المفروغ عنه الذي لا يدنّسه الشكّ والريب والترديد والتردد، أنّ المقدّر منذ يوم ﴿ألست﴾ وقبله أنّ الذي سيياشّر قتل سيّد الشهداء عليه السلام إنّما هو ابن الأمة الفاجرة، فلا بدّ من دروان الفلك، وتقلّب

الأيام، وتهافت القلوب، وتداخل المواقف، بحيث تتوفر المسوّغات الكافية ضمن حركة الأحداث لخروج النعمان من الكوفة، من دون التورّط فيما قد يخاله فاقد النظر الثاقب تحكيماً للجبر وسلب الإرادة والاختيارات.

الموقف الثالث: مع كلاب الأمويين

المتون:

الطبري، الشجري، المزي، ابن حجر، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر، ابن الجوزي: «قال: فقام رجل ممّن يهوى يزيد بن معاوية إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنّك ضعيف أو متضعّف، قد فسد البلاد! فقال له النعمان: أن أكون ضعيفاً، وأنا في طاعة الله، أحبّ إليّ من أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله»^(١).

الطبري:

«قال: فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ /

٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٥، المنتظم لابن

الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

بني أمية، فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين.
فقال: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله. ثم نزل»^(١).

ابن أعثم:

«فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي، فقال: أيها الأمير أصلحك الله، إن هذا الذي أنت عليه من رأيك إنما هو رأي المستضعفين، فقال له النعمان بن بشير: يا هذا! والله لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إلي من أن أكون من المغلوبين^(٢) في معصية الله.

قال: ثم نزل عن المنبر، ودخل قصر الإمارة»^(٣).

المفيد:

«فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي حليف بني أمية، فقال له: إنه لا يصلح ما ترى أيها الأمير إلا الغشم، وإن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥.

(٢) كذا.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٧.

المستضعفين، فقال له النعمان: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله، ثمّ نزل» (١).

مسكويه:

«فقام عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى النعمان بن بشير، فقال له: إنك ضعيف، أو متضعّف، قد فسد البلاد، وليس يصلح ما ترى إلّا الغشم. فقال النعمان: لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله، أحب إلي من أن أكون قوياً، وأنا في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله» (٢).

الخوازمي، ابن أبي طالب:

«فقام إليه مسلم بن سعيد الحضرمي، فقال: أيها الأمير! أصلحك الله، إنّ هذا الذي أنت عليه من رأيك إنّما هورأي المستضعفين. فقال له النعمان: يا هذا! لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله تعالى أحب إلي من أن أكون من الغاوين في معصية الله. ثمّ نزل عن المنبر ودخل قصر

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

الإمارة» (١).

ابن الأثير:

«فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية، فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين. فقال: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إلي من أن أكون من الأعززين في معصية الله. ونزل» (٢).

سبط ابن الجوزي:

«فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية، فدخل على النعمان ابن بشير، وكان والياً على الكوفة، فقال له: إنك ضعيف مستضعف، قد فسدت البلاد. وأخبره بقصة مسلم، فقال له النعمان: والله لأن أكون ضعيفاً في طاعة الله، أحب إلي من أكون قوياً في معصية الله، والله لا هتكت سترأ، ستر الله.

وبلغ النعمان بن بشير الخبر، فخطب، وقال: احذروا الفتن، وسفك الدماء. وكان النعمان يحب العافية، فناده عبد الله بن

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسليمة المجالس لابن أبي طالب: ٢

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧.

مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية: والله أنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، وإن رأيك رأي المستضعفين. فقال: لأن أكون ضعيفاً في طاعة الله خير من أن أكون قوياً في معصية الله» (١).

النويري:

«فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية، فقال: إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين. فقال: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إلي من أن أكون من الأعزّين في معصية الله. ثم نزل» (٢).

الذهبي:

«فقام عبيد الله بن مسلم، فقال للنعمان: إنك لضعيف! قال: لأن أكون ضعيفاً، أحب إلي من أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك سترأ ستره الله» (٣).

ابن كثير:

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٢) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٧.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦.

«فقام إليه رجل، يقال له عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي، فقال له: إنَّ هذا الأمر لا يصلح إلا بالغشمة، وإنَّ الذي سلكته أتيها الأمير مسلك المستضعفين. فقال له النعمان: لأن أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إليَّ من أن أكون من الأقوياء الأعزَّين في معصية الله. ثم نزل» (١).

المحلِّي:

«فقام رجل ممَّن يهوى يزيد إلى النعمان، فقال له: إنَّك لضعيف أو متضعف قد فسدت البلاد، فقال النعمان: أكون ضعيفاً في طاعة الله عزَّ وجلَّ أحب إليَّ أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله عزَّ وجلَّ. فكتب بقوله إلى يزيد بن معاوية لعنهما الله» (٢).

ابن خلدون:

«فقال له بعض حلفاء بني أمية: لا يصلح ما ترى إلا الغشم، وهذا الذي أنت عليه مع عدوك رأي المستضعفين. فقال: أكون من المستضعفين في طاعة الله، أحب إليَّ من أن أكون

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٢) الحقائق الوردية للمحلِّي: ١ / ١١٥.

من الأعزّين في معصية الله. ثم تركه»^(١).

* * * * *

قضية في غاية الأهمية

قبل الدخول في صلب المادّة التاريخية الواردة في هذا الباب، نودّ التنويه إلى قضية في غاية الأهميّة، لا يسع هذا المختصر بيانها بالتفصيل، بيد أننا سنشير إليها إشارة مضغوطة سريعة كقبسة العجلان:

كان دأب الطغاة ولازال، يقوم بتقديم موادّ التفكير والمعادلات الأساسيّة التي يبتني عليها الاستنتاج في الحدث قبل الإقدام على تحرّك ما، أو المبادرة إلى فعل، سيّما إذا كان ذلك الإقدام خطيراً مؤثّراً في حركة التاريخ واستقرار وضعه الراهن والمستقبل، فيقوم بتغذية الأذهان وتدعيم الأفكار بمواقف أو قواعد وممّهّدات، تكون فيما بعد بديهيّات يقاس إليها الحدث ويدرس ويقيّم ويحلّل من خلالها..

ويمكن لمن تمعّن في التاريخ وراقب سلوك الأمويّين ومن سلّطهم على رقاب الناس وتأمّل فيها أن يكتشف ذلك بوضوح في كثير من المواطن والأحداث.

(١) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

وبهذا يواجه المؤرخ والمتلقي جملة من الضوابط التي تسرّبت إلى ذهنه وفكره من خلال المواقف والأحداث والتصريحات التي صدرت كسابقة لهذا الحدث، لتكون مستنداً يرجع إليه ويفهم الأحداث المقبلة على أساسه..

تماماً كما فعلوا مع زهير بن القين صاحب ميمنة الحسين عليه السلام فسرّبوا ما أرادوا تسريبه من خلال كلمات قالها عزرة بن قيس في ذلك الموقف المشهود.. وكما فعل الأولون مع أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه، وسيّد الشهداء عليه السلام وأنصاره، وبالشيعة إلى يوم الناس هذا بالافتراء عليهم ورميهم بشقّ العصي والرفض وغيرها من التهم الباطلة التي تصدق على أعدائهم لا عليهم، بيد أنهم مهّدوا لها تمهيداً مدروساً مضبوطاً جعل الشيعي نفسه تتراءى له بعض تلكم الأفكار وكأنّها لا تجرحه، وجعل يبرزها ويوجّها توجيهاً يتلائم مع معتقداته وحيثياته وتوجّهاته..

وهذا ما فعله أتباع يزيد وجراء الأمويين في الكوفة مع النعمان بعد أن أنجز خطبته وفرغ منها، فخاطبوه وعاتبوه ولاموه، وهو على المنبر على مرأى ومسمع من الناس، وزعموا له على رؤوس الأشهاد أنّ موقفه هذا موقف المستضعفين، وأنّ رأيه رأي الغشم والمتخاذلين، فحكموا على موقف النعمان بالضعف أمام الملاء، فانساح موقفهم وكلامهم هذا على كلّ صفحات التاريخ، وتسرّب إلى العقول إلى يوم الناس هذا،

فانتهجوا نفس النهج، وحكموا عليه بما حكم عليه هؤلاء الأوغاد، واستمرت القصة أن موقف النعمان موصوف بما وصفوه من ضعف واستضعاف وغبابة وغشم ولين وميوعة زائدة في التعامل مع العدو! بيد أن عبارة الشيخ الطريحي كانت فيها دقة ملحوظة، إذ قال: «ثم إن رجلاً من القوم يقال له: عبد الله الحضرمي، استضعف رأي النعمان»^(١).

وبعد هذه المقدمة السريعة، نتناول ما ورد في هذا المقطع التاريخي من خلال الإفادات التالية:

الإفادة الأولى: المعارضون على النعمان

أبهمت بعض النصوص المعارض فلم تصرّح باسمه واكتفت بوصفه: «فقام رجل ممن يهوى يزيد بن معاوية»^(٢)، أو «فقال له بعض حلفاء بني أمية»^(٣).

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٥، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

وضبطت مصادر أخرى اسمه «عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية»^(١) واصفة له كحليف لبني أمية، أو ممن يهوى يزيد، أو بدون وصف.

واتفقت المصادر الأخرى مع الطائفة الثانية في الاسم كله غير أنها اختلفت في اسم الجد فقط «عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي»^(٢)، أو «عبد الله بن مسلم بن شعبة الحضرمي»^(٣)، وربما تجاهل بعضهم ذكر اسم الجد كالذهبي «عبيد الله بن مسلم»^(٤)، أو مسكويه «عبد الله بن مسلم الحضرمي»^(٥).

وكيف كان! فإنه يمكن حمل الاختلاف في اسم الجد كما ورد عند الشيخ المفيد وابن كثير على التصحيف وما شاكلة، ومن تجاهل ذكره فأمره هين، والذين ذكروه بالصفة لا يختلفون مع من صرحوا باسمه

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٧، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٧.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦.

(٥) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

لإمكان الجمع، فيكون الشخص المعترض على النعمان بعد خطابه إنما هو فرد واحد لا أكثر.

لكنّ اعتراضه كان في موقف خاصّ تكتنفه ظروف خاصّة جعلت منه كلاماً خطيراً مهماً يجتذب انتباه الراوي والمؤرّخ والمتلقّي عامّة، وسيطر على الأذهان ويتسرّب إلى الأفكار، وينتج ما أراد له أن ينتج.

الإفادة الثانية: مؤدّيات الاعتراض

لو تأملنا في اعتراض عبد الله بن مسلم الحضرمي وردّ النعمان عليه، لعرفنا بوضوح أنّ فيه دلالة كافية وافية على توافر العدة والعدد يومها في الكوفة لصالح الأمويّين، بحيث كان بإمكان النعمان وفق تصوّر الحضرمي أن يسيطر على الموقف، ويكبح الغليان، ويهجم على من سّمّاهم الأعداء، بشهادة:

الشهادة الأولى: نسبة الضعف لشخص النعمان

إنّهُ نسب الضعف أو التضعّف أو الاستضعاف إلى شخص النعمان، واتّهمه في رأيه الشخصي، واعترض على موقفه بالذات.

الشهادة الثانية: لو كان ضعف في غيره لعذره

لو كان ثمة ضعف وتخلخل في القوّة عدّة أو عدداً لعذره الحضرمي ولم يتّهمه في شخصه ورأيه.

الشهادة الثالثة: لو كان ضعف في القوآت لذكر في التقرير

لو كان ثمة ضعف في الجند والعدّة والعدد لشكى الحضرمي ذلك إلى القرد المجذور حينما كتب له، والحال أنّه لم يشكّ له سوى ضعف النعمان، ولم يقترح عليه سوى استبداله إن كان له في الكوفة حاجة، كما سنسمع بعد قليل.

الشهادة الرابعة: لو كان ضعف في العسكر لاعتذر به النعمان

لو كان ثمة ضعف في العسكر الذي تحت إمرة النعمان لاعتذر النعمان بذلك للحضرمي.

هذا بالإضافة إلى الأدلة والشواهد الكافية التي ذكرناها في غير موضع من دراستنا عن المولى الغريب عليه السلام سيّما في «معركة القصر» و«بين المسجد الأعظم ودار طوعة» و«الحرب الأخيرة»، فليراجع مَنْ أحبّ.

الإفادة الثالثة: جواب النعمان

ورد جواب النعمان في المصادر ردّاً على الذنب الأمويّ متشابهاً متقارب الألفاظ، فجاء في جملة من المصادر بهذا اللفظ: «لأنّ أكون ضعيفاً، وأنا في طاعة الله، أحبّ إليّ من أن أكون

قويّاً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله ^(١)». وفي أخرى:

«أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأعزّين ^(٢) في معصية الله. ثمّ نزل ^(٣)». وفي ثالثة:

«فقال له النعمان: يا هذا! لئن أكوننّ من المستضعفين في طاعة الله تعالى أحبّ إليّ من أن أكون من الغاوين ^(٤) في معصية الله ^(٥)».

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٥، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(٢) في البداية والنهاية: «من الأقوياء الأعزّين».

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٨، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الأرب للتويزي: ٢٠ / ٣٨٧، تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٤) في الفتوح: «المغلوبين».

(٥) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٧، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٧.

ونقل سبط ابن الجوزي صورتان إحداهما تفيد دخول العليّ الجليّ على النعمان فلامه ثم أخبره بقصة مسلم بن الحجاج فأجابه بما روي في الطائفة الأولى، والصورة الثانية أفادت أنّ النعمان خرج فخطب فاعترضه العليّ الجليّ فقال:

«لأنّ أكون ضعيفاً في طاعة الله خير من أن أكون قوياً في معصية الله» (١).

ومؤدّها جميعاً يكاد يكون واحداً، وهو أنّه يفضل أن يكون ضعيفاً مستضعفاً في طاعة الله، على أن يكون قوياً عزيزاً في معصية الله! وأنّه لا يهتك ستره الله!

ولا يبدو كثير انسجام بين المورد الذي اعترض عليه العليّ الجليّ وبين جواب النعمان، فالعليّ يخشى فساد البلد وانفلات الأمور وخروج الوضع عن السيطرة وضعف النعمان في التعامل مع مجريات الأحداث التي تهدّد السلطان وتنذر بسقوط الكوفة وخروجها عن سلطان الأمويين، ويطالب بشيء من الحزم والقوّة والحرص والشعور بالتهديد المجارف الذي يواجهه كحاكم وصاحب ولاية..

والنعمان يتحدّث عن ضعفه واستضعافه في طاعة الله، وأنّ موقفه فيه رضى لله وابتعاد عن المعصية، وإن كان فيها عزّه!! وأنّه لا يهتك

(١) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

سترًا ستره الله! أيّ ستر يتحدث عنه؟ وأيّ طاعة لله؟

إن كان يريد طاعة الله، فهل هي في دواوين القيان، وأروقة قصر الخبال الذي كانت تشيع منه الفاحشة في كل أرجاء الكوفة، وهل في غابة القروء الأموية محلاً يطاع فيه الله تبارك وتعالى؟!

فهو منذ طفولته في معصية الله، ولا زال عليها مثابراً مجداً في معاداة الحق وأهله، وقد خذل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الذي زعم أنه خير له من ابن بنت مجدل..

وإن كان يقصد إراقة الدماء والخوض في الفتنة، فلا فتنة أعظم منه ومن أسياده الذين سلطوه على الناس، وهوليس ممن يتوقّف عند شبهة، وقد تولّع وافتتن وخاض في دماء الكوفيّين، وكان له هوى في قتلهم، وقتالهم كما صرّح هو بنفسه؟!

وأيّ ستر ستره الله فكان يخاف هتكه؟ هل يعني سرّيّة عمل المولى الغريب عليه السلام، فهو ليس سراً بعد أن شاع وذاع وتحدّثت به المخدرات والسافرات في كلّ ناد، وطارت الركبان بنخبه حتّى بلغ النعمان وهو في جُحره..

أو ستر وحدة عصا المجتمع، والمجتمع - كما يزعم العلج الأمويّ - قد تمزّق، وتعرّض للفتنة كما يزعم النعمان نفسه في خطابه..

فجوابه لا يعدّ ذا بال ولا ذا قيمة، إلّا إذا قيل: إنّه كان جواباً

إسكاتياً، أراد النعمان أن يلقم العليّ حجراً يحجزه عن التمادي في الاعتراض، ريثما تتم له الخطة ويتمكن من الأوضاع لينجو بنفسه، أو لأيّ غرض من الأغراض التي سمعناها قبل قليل في المواقف السابقة.

الموقف الرابع: التغافل

قال السهمودي:

«وتغافل عنهم أميرها النعمان بن بشير، فبلغ يزيد»^(١)..

فهو إن كان يقصد أنّ النعمان تغافل عن مجريات الأحداث وكأَنَّها لم تبلغه ولم يسمع بها، ولم يبد أيّ ردّ فعل أو يتلبّس بأيّ موقف، فهو مخالفة واضحة للمشهور والمتفق عليه في المتون التاريخية طرّاً. وإن كان يقصد تصوير ما نقله الرواة والمؤرخون بعبارة موجزة مختصرة، فصوّر موقف النعمان وردّة فعله بهذه الصورة، وعبر عنه بالتغافل، وهو الظاهر، فهو تعبير فيه كثير من التسامح والتلبّيس، بيد أنّه يدخل ضمن باقي نصوص المؤرخين وقد مرّ الحديث عنها.

الموقف الخامس: خطبة النعمان

المتون:

قال الطبري:

(١) جواهر العقدين للسهمودي: ٤٠٧.

«قال أبو مخنف: حدّثني نمير بن وعلة، عن أبي الوداك، قال: خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فاتّقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيهما يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال.

وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية، قال: إنّي لم أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب عليّ، ولا أشاتمكم، ولا أحرش بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنكم إن أديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيّفي ما ثبت قائمة في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أمّا إنّي أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممّن يرديه الباطل» ^(١).

وقال ابن أعثم:

«قال: وبلغ ذلك النعمان بن بشير قدوم مسلم بن عقيل الكوفة واجتماع الشيعة عليه، والنعمان يومئذ أمير الكوفة، فخرج من قصر الإمارة مغضباً، حتّى دخل المسجد الأعظم، فنادى في الناس، فاجتمعوا إليه، فصعد المنبر، فحمد الله

وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، يا أهل الكوفة، فاتّقوا الله ربّكم، ولا تسارعوا إلى
الفتنة والفرقة، فإنّ فيها سفك الدماء، وذهاب الرجال
والأموال، واعلموا أنّي لست أقاتل إلّا من قاتلني، ولا أثب إلّا
على من وثب عليّ، غير أنّكم قد أبدّيتكم صفحتكم، ونقضتم
بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فإن رأيتم أنّكم رجعتُم عن ذلك،
وإلّا فوالله الذي لا إله إلّا هو لأضربنكم بسيّفي، ما ثبت قائمة
في يدي ولو لم يكن [لي منكم] ناصر، مع أنّي أرجو أنّ من
يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يريد الباطل» (١).

وقال المفيد:

«فبلغ النعمان بن بشير ذلك، وكان والياً على الكوفة من قبل
معاوية، فأقرّه يزيد عليها فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه،
ثم قال:

أما بعد، فاتّقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة،
فإنّ فيها تهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال، إنّني
لا أقاتل من لا يقاثلني، ولا آتي على من لم يأت عليّ، ولا أنبه
نائمكم، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرف، ولا لظنّة، ولا التهمة،

ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكتتم بيعتكم، وخالفتم
إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيوفي ما ثبت
قائم في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن
يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل» (١).

* * * * *

نكتفي هنا بذكر هذه النماذج الثلاثة من النصوص الواردة في خطبة
النعمان باعتبار تقارب الألفاظ في المصادر الباقية من جهة، وتقدم هذه
المصادر على غيرها، ويمكن ملاحظة ما ورد في خطبة النعمان من
خلال المضامين التالية:

المضمون الأول: إقحام المؤرخ تعليقه!

يلاحظ أن المؤرخ يقحم عبارة له كتعليق بين مطاوي الخطبة،
فينقل شيئاً من الخطبة، ثم يقول: «وكان حليماً ناسكاً يحب العافية»
كما فعل الطبري وابن الأثير، أو يقول: «كان حليماً يجنح إلى المسألة»
كما فعل ابن خلدون، ولا ندري ما هو المسوغ لهذه التعليقة وما ضرورة
إقحامها هنا بالذات بعد أن حذر النعمان من نتاجات الفتنة وقبل أن
يبدأ تهديده؟!

وقد اختار موضعاً خاصاً من الخطبة، إذ أنّ النعمان أشار إلى أنه لم يوقظ النائم، ولم يتحرّش باليقظان، فحاول المؤرّخ أن يضيف صورة وديعة للنعمان، ليخفّف من مدى تأثير تهديده بالقتل، والقتال ولو كان وحيداً لا ناصر له!

وكأنّ ما قاله النعمان ليس هو الأساس في أيّ حاكم، وإنّما المفروض أن يكون سلوكه تماماً كسلوك الجرو الأمويّ ابن الأمة الفاجرة وغيره من القروء من سياسة الأخذ بالثمة والظنّة وأخذ السليم بالسقيم كما هو المعهود من سياسة ابن آكلة الأكباد الفاجرة، وابن سمّية الفاحشة الرخيصة..

وهل يوصف بالنسك نديم القيان وصاحب «عزّة الميلاء» مغنيّة المدينة المعروفة، وصديق يزيد الخمر والفجور وكلب معاوية؟!

المضمون الثاني: تشخيص النعمان

إضافة إلى ما مرّ قبل قليل من تشخيص النعمان للموقف باعتباره صاحب خبرة في الحوار وتذليل العقد المستعصية وتخفيف الالتهابات الاجتماعية، فإنّ هذا الموقف بالخصوص له سماته المميّزة له لمن له أدنى معرفة بالحركة الاجتماعية والمهام التي يكلف بها السفراء، وقد علم النعمان من مجريات الأحداث - كما هو واضح لكلّ ذي عينين - أنّ المولى الغريب عليه السلام قدم إلى الكوفة سفيراً لا ثائراً، وقد انهمك في أداء

مهمته المحولة إليه من قبل سيّد الشهداء عليه السلام، ولم يتعرّض للسلطان بأيّ شكل من الأشكال، ولم يبدُ على حركته أنّه قد نوى الاستيلاء على الحكم ومركز السلطة، ولا التحرش بالعساكر، ولا أيّ نشاط آخر يفيد تهديداً موجّهاً للنعمان كحاكم ووالٍ من قبل القروذ النازية على منبر الرسول صلّى الله عليه وآله (١) ..

فهو لا يشعر بأيّ تهديد أو خطر يحتاج إلى اتّخاذ موقف حاسم وتجشّم القتال ما دام التحرك محصوراً في دائرة تفحص نوايا المكاتبين وتجديد البيعة أو أخذها من الناس لخامس أصحاب الكساء عليهم السلام.
أمّا إذا جدّ الجدّ وتعرّض شخصه أو مركزه إلى الخطر، فإنّه قد أعلنها صريحة أنّه سيقا تل ولو كان وحده.

المضمون الثالث: التحذير من الفتنة..

تضمّن المقطع الأوّل المرويّ لخطبة النعمان الأمر بالتقوى، والتحذير من المسارعة إلى الفتنة والفرقة، وبيان لنتائجها، فإنّ فيها تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الأموال!

إنّ النعمان نتاج السقيفة، إذ كان أبوه أوّل من بايع ثمّ تلتته الأنصار، كما سمعنا في ترجمته، فهو يفرغ عن لسانها وقد نما فيها ونمي إليها في

(١) انظر للمزيد: «مسلم بن عقيل - ثائر أم سفير».

سلوكه طيلة عمره، وها هو ذا يضرب نفس الوترو ويكرّر نفس الترهات والزخارف، ويعزف على وتر قلب الموازين، ويلبس الناس الإسلام لبس الفرو مقلوباً، تماماً كما فعل ابن الأمة الفاجرة ابن زياد وغيره ممّن ثار لحرب سيّد شباب أهل الجنّة ﷺ، فيسمّي البيعة لسيّد الشهداء ﷺ والتمسك بالعروة الوثقى فتنة وفرقة وشقّ لعصا المسلمين، وأنّ في نصرّة سيّد شباب أهل الجنّة ﷺ مخالفة لتقوى الله وهلاك الرجال وسفك للدماء وغضب للأموال؟! إنّه كلام أسياده وأتباعهم من أمثال الجرو ابن زياد! فلا تميز إلى هنا بين موقفه وموقف الآخرين من مواليد دور البغاء! وإنّ التهديد الذي يحتويه لا يستهان به، بل يعدّ من التهديدات الخطيرة التي يفهمها الكوفيّون يوم ذاك..

المضمون الرابع: أنتم في أمان ما دمت في أمان

طرح النعمان في المقطع الثاني من خطابه عبارات فهم منها المؤرّخ والعليّج الأمويّ المودعة والحلم واللين، إذ أعلن أنّه لا يقاتل من لا يقاتله، ولا يأتي على من لم يأت عليه، ولا ينبّه النائم، ولا يتحرّش بهم، ولا يأخذ بالقرف ولا الظنّة ولا التهمة..

ولهذا الفهم علّق المؤرّخ على الخطبة قبل أو بعد هذا المقطع

بالذات، ووصف النعمان بالحلم والنسك!

ويبدو من إعلانه هذا أنّه إنّما فعل ذلك لأحد الأمور التالية:

الأمر الأول: سياسة الأمويين

ربما اختلف الناس في التعبير عن مضمون واحد، وتفاوتوا في وصف حالة أو حادثة واحدة، فعرض كل منهم نفس القصة بأسلوبه الخاص به، وهو يريد نفس ما يريده الآخر.

فربما عبّر النعمان عما عبّر عنه ابن الأمة الفاجرة وأمثاله، حينما وعد السامع المطيع البرّ والصلة والزيادة في العطية والرأفة والرحمة والقربى والزلفة عند السلطان، وتوعد من يسميه العاصي والمتمرد بالعقاب بجميع ألوانه وأشكاله..

فجاءت عبارات النعمان في نفس هذا النسق وعلى نفس الوتيرة، غاية ما في الأمر أنه وعدهم أنه سيعامل من يقف على الحياد معاملة لا تودي به، ولم يعدهم الصلة وزيادة العطاء ومعاملة الوالد الشفيق والأم الرؤوم كما كان غيره يزعم.

فهو في الحقيقة تكلم ووعد تماماً كما فعل ابن زياد وغيره، بيد أنه عبّر عن ذلك بطريقته التي فهم منها الراوي الحلم والتعقل!

الأمر الثاني: فهمه لمهمة المولى الغريب

سمعنا قبل قليل أنّ النعمان ربما كان قد أدرك أبعاد مهمة المولى الغريب عليه السلام، وأنها تقتصر على السفارة ليس إلا، فشرع بالأمان من مداهمة الخطر ولم يشعر بأيّ تهديد للقصر ولمركزه كوالي، فلم يرمن

الضروريّ الدخول في مواجهة مَنْ لا يريد مواجهته، وللأيّام القادمة أحكام هوفي غنى عن تجشّمها.

الأمر الثالث: تحييد الناس

بناءً على ما عُرف به النعمان من المراوغة والمساجلة في الحوار والقدرة على التعامل مع الأزمات، فقد حاول من خلال كلماته هذه التي تنم عن مجانبة التوحّش والبطش في التعامل، أن يحدّد من يستطيع تحييده، ولسان حاله «أتركوني أترككم»، فيبقى من لم يدخل في بيعةٍ خارج الدائرة، ويعرض لهم عريكة فيها لين، ريثما يتبيّن الموقف ويحدّد التكليف من خلال ما سيصله من أوامر من القرد المجدور القابع في القصر الأخضر في دمشق، كما يتبيّن مدى جدّة الدعوة الحسينيّة.

الأمر الرابع: موقفه عند التقلّبات

يبدو لمن تابع سيرة النعمان على صفحات التاريخ أنّه كان نفعياً انتهازياً يحبّ الدنيا، كما سمعنا ذلك أكثر من مرّة خلال ترجمته وسمعنا شواهد، فربما يفهم موقفه هنا ضمن طبيعته وسجيّته في تصيّد العافية الدنيويّة أينما كانت، وقد رأيناه يتحوّل إلى زبيريّ يدعو إلى بيعة ابن الزبير بعد هلاك يزيد ونزو القرد المتميّع الناعم معاوية ابنه على الأعواد. وهنا رأى هلاك القرد المترهّل معاوية ونزو ابنه يزيد الخمر المهارش

بالكلاب على الأعواد، ورأى إباء أبي الضيم سيّد الشهداء عليه السلام عن البيعة وكذا ابن الزبيروغيرهما، فصار يتذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء تحيّنًا للفرصة وانتظاراً لدوران الفلك وتقلّبات الأيام، ليكتشف لمن ستدول، فإن كانت مع سيّد الشهداء عليه السلام وأنصاره فهو قد صرّح أنّ ابن بنت رسول الله خير له من ابن بنت بحدل، وإن كانت الأخرى، فهو الكلب الوفيّ المعروف لدى الأمويّين، تماماً كموقف المنافقين والمنفيعين الآخرين في كوفة ذلك اليوم، كشبت وحجار وعزرة وغيرهم.

الأمر الرابع: نصّ ابن أعثم

إنّ كلّ ما ذكرناه إنّما هو وفق النصّ المشهور، ويبدو - حسب الفحص - أنّ أوّل من ذكره الطبري، أمّا وفق عبارة ابن أعثم، وهو معاصر للطبري، حيث يقول: «واعلموا أنّي لست أقاتل إلّا من قاتلني، ولا أثب إلّا على من وثب عليّ»، ويكتفي بهذا القدر ولا يذكر باقي عبارات الطبري من الملاينة وتجنّب الأخذ بالظنّة والتهمة وإيقاظ النائم والتحرّش باليقظان..

ويبدو أنّ عبارة ابن أعثم أوفق وأكثر تعبيراً وأقرب إلى سياقات حديث النعمان وطريقة تعامل جراء الأمويّين.

المضمون الخامس: التهديد بالقتال

يبدو لمن تابع سيرة النعمان الذاتية أنه كان ممن يرجح التعامل بالنفاق والمداراة في ساعة العسرة، فهو ليس صدامياً بالطبع، وإن كان لا يتحرج عن المواجهة إذا اقتضت مصالحه ذلك، أو اضطرته الضرورة، ولهذا فقد بدأ بالتهويل والتهديد في خطابه، ثم عرج على التحييد والاستدراج، ثم عاد إلى لغة التهديد في نهاية خطابه من جديد.

فعمد إلى خصال جعلها ميزاناً لتسويغ مقاتلتهم، وأكد عزمه على ذلك باليمين المغلظة، وباقي أدوات التأكيد من قبيل اللام ونون التوكيد وغيرها، فحدّه معهم ما سلم وسلمت إمارته، أمّا إذا تعرّضوا له ولإمارته فأبدوا له صفحتهم، أو نكثوا ونقضوا بيعتهم، أو خالفوا إمامهم! فالأمر سيختلف!

فهو لا زال يقرب البيعة ليزيد القرد اللاعب بأشباهه وإخوانه من القروء، ويدعوها ويعاقب ويقسم على قتال من خالفه، ويصفه بإمام المسلمين!! ويرى في إبداء الصفحة له كفاية في تسويغ القتال..

وهو يؤكّد ويقسم أنه سيقا تل إلى آخر نفس يخرج ببخره النتن ما ثبت قائمه في يده، ولو كان وحيداً لا ناصر له..

ولا يكشف قوله: «ولولم يكن لي منكم ناصر»، أنه كان وحيداً حقاً، وإنما يريد أن يعرب عن مدى إصراره وثباته في القتال..

ثم عاد إلى تهديده المخمليّ المغلف فقال: مع أني أرجو أن من يعرف الحق منكم أكثر ممن يريد الباطل ^(١)، فهو حث على العودة إلى غابة القروذ والخنوع في حظيرة شياه السلطان!

المضمون الخامس: برواية الطريحي

روى الطريحي خطبة النعمان فقال:

«فبلغ الخبر إلى النعمان بن بشير وكان هو خليفة يزيد بن معاوية، فصعد المنبر خطيباً، فقال في خطبته: احذروا مخالفة الخليفة يزيد، وأي رجل أصبح مخالفاً لقولي لأضرب عنقه» ^(٢).

وهذه الخطبة المقتضبة توافق تماماً المزاج الأمويّ، وتنسجم مع أدبيات كلاب السلطان وجراء القروذ، وتربية نتاج الشجرة الملعونة وأوراقها الصفراء وعيدانها المتحرّجة.

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٧، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٥.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

إبلاغ يزيد وتحريضه

المتون

البلاذري:

«فكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبي وقاص
الزهري ومحمد بن الأشعث الكندي وغيرهما إلى يزيد بن
معاوية بنحبر مسلم بن عقيل، وتقديم الحسين إياه إلى الكوفة
أمامه، وبما ظهر من ضعف النعمان بن بشير، وعجزه ووهن
أمره»^(١).

الدينوري:

«فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة - وكانا

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

عيني يزيد بن معاوية - إلى يزيد، يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعية للحسين بن علي وأنه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة، فبادر إليه من يقوم بأمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام»^(١).

الطبري، الشجري، المزي، الذهبي، ابن حجر، ابن الجوزي:

«فكتب (يعني رجلاً يهوى يزيد) بقول النعمان إلى يزيد»^(٢).

الطبري:

«وخرج عبد الله بن مسلم، وكتب إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعف. فكان أول من كتب إليه.

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر:

٢ / ٣٤٩، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك»^(١).

ابن أعثم:

«وكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد بن معاوية، يخبره بذلك: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله يزيد [بن معاوية] أمير المؤمنين من شيعته من أهل الكوفة، أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وقد بايعه الشيعة للحسين بن علي رضي الله عنهما، وهم خلق كثير، فإن كان لك في الكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قوياً، ينفذ فيها أمرك ويعمل فيها بعملك من عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو مضعف، والسلام.

قال: ثم كتب أيضاً عمارة بن عقبة بن أبي معيط بنحو من ذلك، فكتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك»^(٢).

المفيد، الفتال:

«وخرج عبد الله بن مسلم وكتب إلى يزيد بن معاوية كتاباً:

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٩.

أما بعد، فإنَّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن يكن لك في الكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنَّ النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعّف، ثمّ كتب إليه عمارة بن عقبة بنحومن كتابه، ثمّ كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص مثل ذلك» (١).

مسكويه:

«فكتب بقول النعمان إلى يزيد وقيل له: إن كانت لك حاجة في الكوفة، فابعث إليها رجلاً قوياً، ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك، فإنَّ النعمان بن بشير إمّا ضعيف، أو متضعّف» (٢).

الطبرسي:

«وعلى الكوفة يومئذٍ النعمان بن بشير من قبل يزيد، وكتب عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى يزيد بن معاوية، إنَّ مسلم ابن عقيل قد قدم إلى الكوفة، فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك في الكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قوياً، فإنَّ

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ /

١٨٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

النعمان بن بشير رجل ضعيف. وكتب إليه عمر بن سعد وغيره
بمثل ذلك»^(١).

الخوارزمي، ابن أبي طالب:

«فكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد بن معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله، يزيد أمير المؤمنين، من
شيعة من أهل الكوفة، أما بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قدم
الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن علي وهم خلق كثير، فإن
كان لك حاجة بالكوفة، فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ فيها
أمرك، ويعمل فيها كعملك في عدوك، فإنّ النعمان بن بشير
ضعيف أو هو يتضعّف، والسلام.

وكتب إليه أيضاً عمار بن الوليد بن عقبة ابن أبي معيط،
وعمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك»^(٢).

ابن شهر آشوب:

«وكتب عبد الله بن مسلم الحضرمي، وعمار بن عقبة بن
الوليد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص إلى يزيد، إن كان لك

(١) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسليمة المجالس لابن أبي طالب: ٢

حاجة في الكوفة، فابعث رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك، فإنَّ النعمان بن بشيرٍ أماً ضعيف أو متضعّف»^(١).
ابن الأثير:

«فكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد، يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة، ومبايعة الناس له، ويقول له: إن كان لك في الكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قوياً، ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنَّ النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعّف، وكان هو أوّل من كتب إليه، ثمّ كتب إليه عمار بن الوليد بن عقبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص بنحو ذلك»^(٢).
ابن طلحة، الإربلي:

«كتب والي الكوفة وهو النعمان بشير إلى يزيد بذلك»^(٣)
[بمجيء مسلم بن عقيل عليه السلام].
ابن الصّبّاغ، الشبلنجي:

«فكتب والي الكوفة وهو يومئذٍ النعمان بن بشير إلى يزيد بن معاوية، يخبره بذلك»^(٤).

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٩١ / ٤.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٢٦٧ / ٣.

(٣) مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢.

(٤) الفصول المهمة لابن الصّبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦.

سبط ابن الجوزي:

«فكتب إلى يزيد بقوله. فكتب عبد الله إلى يزيد بذلك»^(١).

ابن طاووس:

«وكتب عبد الله بن مسلم الباهلي، وعمارة بن وليد، وعمر بن سعد إلى يزيد، يخبرونه بأمر مسلم، ويشيرون عليه بصرف النعمان بن بشير وولاية غيره»^(٢).

النويري:

«قال: ولما تكلم النعمان بن بشير بما تكلم به، كتب عبد الله ابن مسلم إلى يزيد، يخبره بقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ومبايعة الناس له، ويقول: إن كان لك بالكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو هو يتضعف. ثم كتب إليه بعده عمارة ابن الوليد بن عقبة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص بنحو ذلك»^(٣).

ابن كثير:

«فكتب ذلك الرجل [عبد الله بن مسلم الحضرمي] إلى يزيد،

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ٣٧.

(٣) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

يعلمه بذلك، وكتب إلى يزيد عمارة بن عقبة وعمر بن سعد
ابن أبي وقاص»^(١).
ابن خلدون:

«فكتب عبد الله بن مسلم، وعمارة بن الوليد، وعمر بن سعد
ابن أبي وقاص إلى يزيد بالخبر، وتضعف النعمان [أ] وضعفه،
فابعث إلى الكوفة رجلاً قوياً، ينفذ أمرك، ويعمل عملك في
عدوك»^(٢).

ابن حجر، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر:
«فكتب الرجل بذلك إلى يزيد»^(٣).

الطريحي:

«ثم إن رجلاً من القوم يقال له: عبد الله الحضرمي، استضعف
رأي النعمان، وبعث كتاباً إلى يزيد، يذكر فيه اجتماع الناس
على مسلم بن عقيل، وأنه يبعث إلى الكوفة رجلاً أقوى رأياً
من النعمان»^(٤).

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(٣) الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر، ٤ / ٣٣٦.

(٤) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

مقتل أبي مخنف (المشهور):

«قال: فخرج عبد الله بن شعبة الحضرمي وكتب إلى يزيد (لعنه الله) كتاباً يقول فيه: من عبد الله بن شعبة الحضرمي إلى يزيد بن معاوية (لعنه الله): أما بعد، فإنّ مسلم بن عقيل عليه السلام ورد الكوفة، وقد بايعه شيعة الحسين عليه السلام، فإن كان لك في الكوفة حاجة، فأنفذ إليها رجلاً قوياً، فإنّ النعمان ضعيف أو يتضاعف. وكان أول من كاتب يزيد (لعنه الله) في حرب الحسين عليه السلام، ثمّ كتب عمر بن سعد (لعنه الله) مثل ذلك» (١).

السمائي:

«فكتب جماعة من العثمانيّة إلى يزيد» (٢).

أسماء من كتبوا

عبر البلاذري عن الذين كتبوا إلى يزيد بقوله: «وجوه أهل الكوفة» (٣) ثمّ ذكر الأسماء، ومن العجيب تركيز المؤرّخ على هذا الوصف في كثير من المواضع، تماماً كما يوظّف وصف «الأشراف» في مثل هذه

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

(٢) إِبصار العين للسمائي: ٦.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

الأوساخ والقاذورات التي لَوُثَّتْ صفحات التاريخ ولا زالت ترشح بعفنها
وقذرهما وتزكم الأنوف وتحْدش العَفَّةَ والذوق والسلامة القلبيَّةَ لمن
يتصَفَّح الكتب ويقلِّب بطونها..

كيف كان! فَإِنَّ أَسْمَاءَ الْأَذْنَابِ التي صرَّحت بها المصادر كمراسلين
كتبوا للقرء المجذور، هي:

الذَّنْبُ الْأَوَّلُ: عمر بن سعد

عمر بن سعد بن أبي وقَّاص الزهري، وهو الخبيث الرجس النجس
النجس الذليل الحقير الذي اشترى قتل سيِّد الشهداء عليه السلام بقبضة شعير
متعفَّن، وتكاد تكون المصادر التي روت هذا الخبر مجمعة عليه مِنْ دون
اختلاف في اسمه، فقد ذكره البلاذري^(١)، والطبري^(٢)، وابن أعثم^(٣)،
والمفيد والفتَّال^(٤)، والطبرسي^(٥)، والخوارزمي وابن أبي طالب^(٦)، وابن

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٩.

(٤) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ /

١٨٦، روضة الواعظين للفتَّال: ١٤٨.

(٥) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤.

(٦) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٧.

شهر آشوب^(١)، وابن الأثير^(٢)، وابن طاووس^(٣)، والنويري^(٤)، وابن كثير^(٥)، وغيرهم.

لقد كان هذا الوحش الكاسر والذئب الأجرب المسعور الخاسر متوثباً لقتال سيد شباب أهل الجنة ﷺ، محرّضاً عليه، ومن الغريب أن يتصوّر البعض في بعض المشاهد التي يرويها التاريخ عن وقائع كربلاء أنه كان يتجنّب حرب الإمام الحسين ﷺ ويحاول أن يُثني ابن زياد عن ذلك!!

الذئب الثاني: محمّد بن الأشعث الكندي

محمّد بن الأشعث الكندي، الخبيث ابن الخبيث والخبيثة أخو الخبيث والخبيثة الملعون الخائن الوضع الذي ساهم هو وأسرته في قتل الطيّبين والأئمة الأبرار ﷺ، وقد ذكره البلاذري^(٦)، وابن خلدون^(٧)،

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٣٧.

(٤) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٦) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٧) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

والمقتل المشهور، أبو مخنف^(١).

الذنب الثالث: مسلم بن سعيد الحضرمي

مسلم بن سعيد الحضرمي، ذكره الدينوري وقال إنه كان عيناً ليزيد^(٢)، ولا يبعد أن يكون هو نفس عبد الله بن مسلم الذي سيأتي.

الذنب الرابع: عبد الله بن مسلم

اتفقوا على اسم هذا الذنب الممطور، وقال جماعة أنه كان أول من كتب، وقد ذكره: الطبري^(٣)، ابن أعثم^(٤)، المفيد والفتال^(٥)، الخوارزمي وابن أبي طالب^(٦)، ابن شهر آشوب^(٧)، ابن الأثير^(٨)، النويري^(٩)، ابن

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦.

(٤) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٩.

(٥) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ /

١٨٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨.

(٦) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسليية المجالس لابن أبي طالب: ٢ /

١٧٧.

(٧) المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١.

(٨) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧.

(٩) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

خلدون^(١)..

وذكر الطبرسي^(٢) وابن كثير^(٣) نسبته: «الحضرمي» وقال ابن طاووس: «الباهلي»^(٤).

الذنب الخامس: عبد الله بن شعبة

عبد الله بن شعبة الحضرمي، هكذا جاء في مقتل المشهور لأبي مخنف، وقال عنه أنه كان أول من كاتب يزيد (لعنه الله) في حرب الحسين عليه السلام^(٥)، ويبدو من خلال القرائن والشواهد أنه نفس عبد الله ابن مسلم، والله العالم.

الذنب السادس: عمارة

اتَّفقت المصادر على الاسم الأول لهذا الذنب المبتور «عمارة»، واختلفوا في اسم أبيه وجده، وخصّه الدينوري بصفة شنيعة تليق به، وقال إنه كان عيناً ليزيد^(٦).

(١) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(٢) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٤) اللهوف لابن طاووس: ٣٧.

(٥) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

(٦) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

الأول: عمارة بن عقبة بن أبي معيط، ذكره: الدينوري، والطبري^(١)، وابن أعمش^(٢)، والمفيد والفتال^(٣)، وابن كثير^(٤).

الثاني: عمارة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ذكره: الخوارزمي وابن أبي طالب^(٥)، وابن الأثير^(٦)، وابن طاووس^(٧)، والنويري^(٨)، وابن خلدون^(٩).

الثالث: عمارة بن عقبة بن الوليد، ذكره: ابن شهرآشوب^(١٠) والظاهر أنه شخص واحد، والله العالم.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦.

(٢) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٩.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ /

١٨٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٥) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسليية المجالس لابن أبي طالب: ٢ /

١٧٧.

(٦) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧.

(٧) اللهوف لابن طاووس: ٣٧.

(٨) نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

(٩) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(١٠) المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٩١.

الذنب السابع: رَجُل يهوى يزيد

لم يصرَّح الطبري، والشجري، والمزّي، والذهبي، وابن حجر، وابن الجوزي^(١) في بعض رواياتهم بإسم خاص، واستخدموا صفة فقالوا: «رجل يهوى يزيد»، وهذا العنوان العام يمكن أن يصدق على أي واحد من الأسماء المصَّرح بها في المصادر، بيد أن فيه إشعار بوحدة المكاتب.

الذنب الثامن: النعمان بن بشير

النعمان بن بشير، ذكره ابن طلحة والأربلي وقالوا إنه كتب بمجيء مسلم عليه السلام^(٢)، وكذا ذكره ابن الصَّبَّاح والشبلنجي^(٣)، ويبدو أن ذكر كتابة النعمان قد لا تكون في محلّها هنا، إذ أنه كان الوالي كما ورد في نفس هذه المصادر، فإن كان قد كتب النعمان إلى مولاه يزيد، فهو إنما كان يستجلي منه الموقف ويستأمره في معالجة الوضع، ولم يكن ليشكو عنده من ضعفه وتضعّفه، وربما كان ثمة سهو أو سقط، أو إقحام، أو أنه كتب إليه أصل ورود المولى الغريب عليه السلام ليخبره بما يجري في محلّ

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي:

٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر:

٢ / ٣٤٩، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(٢) مطالب السؤل لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢.

(٣) الفصول المهمة لابن الصَّبَّاح: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦.

حكومته، والله العالم!

الذنب التاسع: جماعة من العثمانيّة

ذكر السماوي أنّ الذين كتبوا إلى القرد المجدور جماعة من العثمانيّة ^(١)، ولا يخفى أن كتب التراجم والتاريخ وصفت النعمان بالعثمانيّ أيضاً.

والظاهر أن مقصود الشيخ عليه السلام هؤلاء الأوغاد الذين كتبوا إلى القرد المتوحّش، الذين وردت أسماؤهم في كتب التاريخ، وقد وصفهم بالعثمانيّة، وهم كذلك.

الخلاصة:

تبين أنّ مجموع من كتب إلى القرد المجدور لا يتجاوز عددهم أربع خبشاء، وعلى أقصى التقادير، وعلى فرض التعدّد وعدم الاتحاد في الأسماء المذكورة - بحيث نحسب كلّ واحد من الأسماء الواردة شخصاً يختلف عن الآخر بغضّ النظر عن الاطمئنان باتّحادها، كأن يكون «رجل يهوى يزيد» غير أولئك الذين صرّحوا بأسمائهم، وهكذا -، فإنّهم لا يتجاوز عددهم التسعة، وهو فرض بعيد، فلا يشكّلون ظاهرة اجتماعيّة وجماعة وتكتل يعتدّ به.

(١) إبصار العين للسماوي: ٦.

وَهُمْ بَيْنَ جَاسُوسٍ مُّوْطَفٍ حَسَبَ تَصْرِيحِ بَعْضِ الْمُؤَرِّخِينَ، وَبَيْنَ وَضِيعٍ يَلْحَسُ ذِيُولَ الْقُرُودِ الْأُمُويَّةِ، وَهُوَ يَتِمَيِّزُ حَقْدًا وَغِيضًا عَلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ عَتَرَةِ النَّبِيِّ الْأُمَيْنِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ الْمِيَامِينَ، وَلَا يَفْتَرِعْنَ أَيَّ تَحْرِيطٍ يُمْكِنُ أَنْ يَشْفِي صَدْرَهُ الْوُغْرَ مِنْ قَبِيلِ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَابْنِ سَعْدٍ..

مضمون الكتب

اِخْتَصَرَتْ بَعْضُ الْمَصَادِرِ فَلَمْ تَذْكُرْ نَصَّ الْكِتَابِ وَلَا مَضْمُونَهُ وَاکْتَفَتْ بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ ^(١)، وَذَكَرَتْ مَصَادِرُ أُخْرَى مَضْمُونَهُ فِيمَا ذَكَرَتْ مَجْمُوعَةً ثَالِثَةً نَصَّه، وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ سِوَى مَا كَتَبَهُ أَوَّلَ عَيْنٍ، وَعَطَفَ عَلَيْهِ كَتَبَ الْآخَرِينَ بِقَوْلِهِ: «وَكُتِبَ مِثْلُ ذَلِكَ» وَمَا شَاهَبَهَا مِنَ الْعِبَارَاتِ، وَقَدْ تَجَنَّبْنَا ذِكْرَ النُّصُوصِ مَفْصَلَةً هُنَا إِذْ أَتَيْنَا عَلَى ذِكْرِ النَّصِّ بِالتَّفْصِيلِ قَبْلَ قَلِيلٍ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَضَامِينَ الْكِتَابِ تَعَبَّرَ عَنْ رَأْيِ الْكَاتِبِ وَنَظَرِهِ وَهَلْعِهِ وَخَوْفِهِ وَقَلْقِهِ الشَّخْصِيَّ وَاسْتِنْتِجَاتِهِ وَتَقْيِيمِهِ لِلْوَضْعِ، وَتَحَسُّبِهِ وَتَرْقَبِهِ

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزني: ٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر، ٤ / ٣٣٦.

وتوجّسه للمخاطر التي تحقيق بملك أسياده، وتحكي متبنياته وأفكاره التي يرى فيها تحصيناً للسلطة وإبقاءً على المصالح والمنافع التي يسعى إليها هو وأسياده، وتنمّ عن مدى تملّقه للقرء المجدور، وعن مدى ما يجيش في كوامنه من الحقد والغيط والعدوان على أهل البيت ؑ عموماً وعلى سيّد الشهداء ؑ خصوصاً، وعلى كلّ ما يمكن أن يفرز شيئاً من الادّعاء للقيام بنصرته..

ويمكن إجمال مؤدّيات الكتاب في النقاط التالية:

المؤدّى الأول: ما يخصّ المولى الغريب ؑ

مهّد الكاتب لحديثه بذكر خبر قدوم المولى الغريب ؑ مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ليقدم السبب الرئيس في تغيير البلاد ورجرجة الوضع واهتزاز المشاعر والغليان الذي بدت بوادره في المحافل والنوادي، فجاءت الأحداث ضمن تقييمه على مختلف الألفاظ الواردة في المصادر، بهذه الصورة:

قدوم مسلم ؑ الكوفة، وتقديم سيّد الشهداء ؑ إياه أمامه ^(١)، وأنّه داعية للحسين ^(٢)، واجتماع الناس عليه ^(٣)، وأنّ الشيعة بايعته ^(٤)، وهُم

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٣) انظر: نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٤) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ /

خلق كثير^(١)، وقد أفسد قلوب أهلها على يزيد^(٢)..

ويبدو التهويل في هذا المقطع وما يليه من المقاطع واضحاً، وهي طبيعة الانتهازيين والعيون والجواسيس العاملين في بلاطات سلاطين الظلمة والطواغيت، إذ أنه يثير مخاوفه فيما يكتبه ويحشوه بجبنه وملقه وتظاهره بالحرص والحذر والحياطة على حدود مستنقعات السلطان ومحميات القروء.

وهو يخبر بجملة من الحقائق التي وقعت حينها، من قبيل: قدوم مسلم عليه السلام الكوفة وتقديم سيد الشهداء عليه السلام إياه أمامه^(٣) وأنه داعية للحسين^(٤)..

بيد أنه يبدأ بالتهديد والتخويف والتحريض حينما يخبر باجتماع الناس عليه! فإنَّ الناس في الكوفة لم يجتمعوا على المولى الغريب عليه السلام، نعم اجتمع عليه «ناس»..

٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسليمة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٧.

(٢) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

وربما احتاط في تعبيره بقوله: «وهم خلق كثير»، فإن كان المراد بهم الشيعة، فقد كذب، لأن الشيعة في الكوفة لم يكونوا خلقاً كثيراً، وإن كان يقصد بهم المجتمعين عليه من الناس، فربما صدق ذلك بملاحظة العدد مجرداً من دون قياس، أما إذا قيس إلى مجموع سكان الكوفة والسيّافة والتراسة المتواجدون يومها فيها فهو تقييم غير صائب ولا صحيح.. وقد أثبتنا ذلك كله بالتفصيل في دراسات سابقة (١).

المؤدّي الثاني: ما يخصّ النعمان

بعد أن عرض الكوفة عرضاً ينذر بالخطر، وكأنّها هربت هروباً جماعياً كاملاً من غابة القروذ الأمويّة، وانفلتت من حبالها، ولجأت إلى أفياء شجرة طوبى وتمسّكت بأغصانها، وليس الأمر كذلك، وإن كان ثمة حركة غير طبيعيّة استوعبت الآلاف من الغوغاء الذين يشكّلون الأمواج العائمة والرذاذ المتطاير والرمال المتحرّكة التي تسبح في كلّ فضاء تتخلخل فيه الأجواء، وقد تبين لنا في دراسات سابقة أنّ عدد الثمانية عشر ألفاً لا يكون في «كوفة الجند» يومذاك إلا أقلية قليلة جداً، إذ كان يركب هاني بمن معه من مراد وأحلافه بثلاثين ألف دارع!

(١) انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام بين المسجد الأعظم ودار طوعة»، «مسلم بن عقيل عليه السلام معركة القصر»، «مسلم بن عقيل عليه السلام الحرب الأخيرة»، وغيرها من الدراسات المطبوعة عن المولى الغريب عليه السلام للمؤلف.

بيد أنّ هذا الجبان الرعديد وأشباهه الذين كتبوا بنفس المضمون هالهم ما شاهدوا، فدفعهم هلهم وخوفهم وقلقهم على أسيادهم إلى المبادرة بالكتابة.. ولما كانوا هم بأنفسهم من البهائم الراتعة والجردان المروضة على أيدي القروء، وهم أيضاً يضمرون العداً ويتميزون بالحق والضعينة على آل الله، فهم يعرفون طيش يزيد وطريقته في النزق والخرق واقتحام الحرمات، فلم يروا في موقف النعمان ما يرضيهم، ولما يوافق عمل الأمويين وقدرهم المجدور يزيد في عدوه من القتل والتنكيل والقتل على الظنة والتهمة، والملاحقة تحت كل حجر ومدر، والاستهانة بالحرمات والانتعاش بسفك الدماء..

لذا تقدّموا بتقييم موقف النعمان ضمن الضوابط الأموية، والتوقعات الفجة والتجريم، وارتكاب الجريمة وكل ما يحرم من أجل الإبقاء على السلطان، فكتبوا لسيدهم عن ضعف النعمان أو تضعفه^(١) وعجزه

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦، الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٥٩، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٧، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨، تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

ووهن أمره^(١)..

ولاندرى إن كان هؤلاء الذين كتبوا كانوا جميعاً على مستوى من الإخلاص للأمويين وقردهم المجدور، أو أنهم كتبوا بدوافع أخرى تحريضاً على النعمان أو كيداً ومكرّاً به، أو طمعاً بولاية الكوفة، فإنه لا يبعد هذا الاحتمال عن مثل عمر بن سعد، بالإضافة إلى الدوافع الأخرى التي سمعناها قبل قليل.

المؤدى الثالث: تقديم الحلول

إذا كانت الكوفة منفلة قد غدت تفكّ عن معاصمها أصفاد الأمويين، والنعمان ضعيف أو متضعّف، فالسلطان في خطر وقطائع السواد ستقضم من الغابة، فلا بدّ من التدخّل السريع ومباشرة ترميم الأسوار التي بدأت تنهار فتخرم المملكة التي شيدها معاوية وأسلافه على الجماجم وعرك تراها بالدماء..

لذا تقدّم الكاتب بتقديم العلاج الناجع الذي يعتقده لمواجهة الوضع المتوتر الذي رسمه من خلال مقدّماته المذكورة في الكتاب.. فأشاروا على يزيد بصرف النعمان بن بشير وولاية غيره^(٢)، وأن

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ٣٧.

يبعث إلى الكوفة رجلاً أقوى رأياً من النعمان ^(١)..

وَضَمَّنَ وصفة علاجه جرعة قويّة من التهديد والتهويل بقوله: إن يكن له حاجة في سلطانه.. وهذا يعني أنّ سلطانه على وشك أن يفوته، ويكاد يخرج عن قبضته إن لم يسارع إلى ما اقترحه عليه.. فليغيّر النعمان برجل آخر ينفذ أمره ويعمل مثل عمل يزيد في عدوّه ^(٢).. وعمل يزيد هو عمل معاوية، وعمل معاوية عمل أسلافه الذين سلّطوه على رقاب الناس.. طيش وبطش ورعب وترهيب وقتل ودماء وملاحقة وتسميل أعين وصلب على جذوع النخل وقطع للأيدي والأرجل على الظنّة والتهمة، ولسبب أو لغير سبب.. وشراء للذمم والضمائر الرخيصة وبذل الدينار والدرهم واختطاف الأبصار ببريقهما، والإغواء بالشهوات والنزوات واللذات الهابطة..

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٢) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٥٩، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٦، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، روضة الواعظين للفتال: ١٤٨، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٧، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٧، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٧، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨، تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

المؤدّى الرابع: الاستغناء عن القوات

اتّفقت الكتب والتقارير على ضعف شخص النعمان ورأيه، وأنّهم طلبوا من يزيد واستنجدوه لإرسال رجل مكان رجل، يكون المرسل صارماً حازماً بظاشاً يعمل مع الناس بعمل يزيد، ولم يتضمّن الكتاب من أيّ أحد منهم طلباً للرجال، واستمداداً يعرب عن الحاجة إلى العساكر والمجنّد والمقاتلين، إذ أنّ الكوفة كانت تغصّ بعساكر الأمويين وجيوشهم، وهي الثكنة الكبرى التي كانت تنطلق منها السرايا والوحدات والقطعات العسكريّة إلى المشاتي والمصايف والمغازي والثغور.. وقد أتينا على بيان ذلك بالتفصيل في دراسات أخرى..

وكيف كان! فإنّ الشكوى والحلّ المقدّم لا يتعدّى استضعاف الوالي فقط، ولو كان ثمة نقاط ضعف أخرى غير موقف النعمان لذكرت أو أشير إليها وأشير عليه بها..

يزيد يضم الكوفة إلى ولاية ابن زياد

المتون

ابن سعد، ابن عساكر، مختصر ابن منظور:

«وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة في آخر خلافة معاوية، فهلك وهو عليها، فخاف يزيد أن لا يقدم النعمان على الحسين، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان! وهو على البصرة، فضم إليه الكوفة، وكتب إليه بإقبال الحسين إليها، فإن كان لك جناحان، فطرحني تسبق إليها»^(١).

ابن قتيبة، البيهقي:

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر

«فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل إلى الكوفة يبايعهم له، وكان على الكوفة النعمان بن بشير. فقال النعمان: لأبن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إلينا من ابن بحدل. قال: فبلغ ذلك يزيد، فأراد أن يعزله. فقال لأهل الشام: أشيروا عليّ، من أستعمل على الكوفة؟ فقالوا: أترضى برأي معاوية؟ قال: نعم. قالوا: فإنّ الصلّة بإمرة عبيد الله بن زياد على العراقيين قد كتبه في الديوان. قال: فاستعمله على الكوفة»^(١).

البلاذري:

«فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان بولاية الكوفة إلى ما كان يلي من البصرة، وبعث بكتابه في ذلك مع مسلم بن عمرو الباهلي - أبي قتيبة بن مسلم - وأمر عبيد الله بطلب ابن عقيل، ونفيه إذا ظفر به أو قتله، وأن يتيقظ في أمر الحسين بن علي، ويكون على استعداد له»^(٢).

البلاذري:

«وحدّثني عبد الله بن صالح المقرئ، عن أبي زييد، عن أبي حصين، قال: بلغ يزيد بن معاوية أنّ الحسين عليه السلام يريد

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوئ للبيهقي: ٥٠.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

الخروج إلى الكوفة فغمّه ذلك، وساءه، فأرسل إلى سرجون مولاهم - وكان كاتبه وأنيسه - فاستشاره فيمن يوليّه الكوفة، فأشار بعبيد الله بن زياد. فقال: إئتّه لا خير عنده. قال: رأيت لو كان معاوية حيّاً فأشار عليك به أكنت تولّيه؟ قال: نعم. قال: فهذا عهد معاوية إليه بخاتمته، وقد كان ولاه فلم يمنعني أن أعلمك ذلك إلا معرفتي ببغضك له. فأنفذه إليه، وعزل النعمان بن بشير، وكتب إليه: أمّا بعد، فإنّ الممدوح مسبب يوماً، وإنّ المسبب ممدوح يوماً، وقد سمّي بك يوماً إلى غاية أنت فيها كما قال الأول:

عرفت فجاوزت السحاب وفوقه

فمالك إلا مرقب الشمس مقعد» (١)

الدينوري:

«فلما ورد الكتاب على يزيد، أمر بعهد، فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة، فيطلب مسلم ابن عقيل طلب الخرزة حتّى يظفره، فيقتله أو ينفيه عنها. ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي - أبي قتيبة بن مسلم -، وأمره بإغذاذ السير» (٢).

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٤٠٧.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

اليعقوبي:

«وكان يزيد قد ولى عبيد الله بن زياد العراق، وكتب إليه [وقد
جَمَعَ بين الكتابين اليعقوبي، فقال]: قد بلغني أَنَّ أهل الكوفة
قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأَنَّهُ قد خرج من مكَّة
متوجَّهاً نحوهم، وقد بلي بلدك من بين البلدان، وأَيَّامك من
بين الأَيَّام، فإن قتلته، وإلَّا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك
عبيد، فاحذر أن يفوتك»^(١).

الطبري، الشجري، المزي، ابن حجر:

«فدعا مولى له، يقال له: سرجون - وكان يستشير -، فأخبره
الخبر، فقال له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حيّاً؟ قال:
نعم. قال: فاقبل مَنِّي، فإنَّه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن
زياد، فولَّاهُ إِيَّاه - وكان يزيد عليه ساخطاً، وكان همَّ بعزله عن
البصرة - فكتب إليه برضائه، وأَنَّهُ قد ولَّاه الكوفة مع البصرة،
وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده»^(٢).

الطبري:

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩.

«قال هشام: قال عوانة: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية، فقال: ما رأيك؟ فإن حسينا قد توجه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ - وأقرأه كتبهم - فما ترى من أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال سرجون: رأييت معاوية لو نشر لك، أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم.

فأخرج عهد عبيد الله على الكوفة. فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب. فأخذ برأيه وضّم المصرين إلى عبيد الله، وبعث إليه بعهد على الكوفة.

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهلي - وكان عنده - فبعثه إلى عبيد الله بعهد إلى البصرة، وكتب إليه معه: أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبروني أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا، حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام» (١).

ابن أعثم:

«قال: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد بن معاوية، دعا بغلام أبيه وكان اسمه: سرجون، فقال: يا سرجون! ما الذي عندك في أهل الكوفة، فقد قدم مسلم بن عقيل، وقد بايعه الترابية للحسين بن علي رضي الله عنهما؟ فقال له سرجون: أتقبل مني ما أشير به عليك؟ فقال يزيد: قل حتى أسمع! فقال: أشير عليك أن تكتب إلى عبيد الله بن زياد - فإنه أمير البصرة - فتجعل له الكوفة زيادة في عمله، حتى يكون هو الذي يقدم الكوفة، فيكفيك أمرهم. فقال يزيد: هذا لعمرى هو الرأي.

ثم كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن شيعتي من أهل الكوفة كتبوا إليّ، فخبروني أنّ مسلم بن عقيل يجمع الجموع، ويشقّ عصا المسلمين، وقد اجتمع عليه خلق كثير من شيعة أبي تراب، فإذا وصل إليك كتابي هذا، فسرّحين تقرّأه، حتى تقدم الكوفة، فتكفيني أمرها، فقد جعلتها زيادة في عملك، وضممتها إليك، فانظر أين تطلب مسلم بن عقيل بن أبي طالب بها، فاطلبه طلب الخرز، فإذا ظفرت به، فاقتله، ونفّذ إليّ رأسه، واعلم أنّه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك به، فالعجل العجل، والوحا الوحا، والسلام. ثمّ دفع الكتاب

إلى مسلم بن عمرو الباهلي، ثم أمره أن يجد السير إلى عبيد الله بن زياد»^(١).

ابن عبد ربّه:

«قال: فبلغ ذلك يزيد فقال: يا أهل الشام، أشيروا عليّ، من أستعمل على الكوفة؟ فقالوا: ترضى من رضى به معاوية؟ قال: نعم. قيل له: فإنّ الصلّة بإمارة عبيد الله بن زياد على العراقيّين قد كتب في الديوان. فاستعمله على الكوفة»^(٢).

الباعوني:

«فبلغ ذلك يزيد فقال: يا أهل الشام أشيروا عليّ من أستعمل على أهل الكوفة؟ قالوا: نرضى بما رضيت. فولّى [يزيد] عبيد الله بن زياد على العراقيّين»^(٣).

المسعودي:

«وأتصل الخبر بيزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة»^(٤).

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٧.

(٣) جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥، عن ابن عبد ربّه.

(٤) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

ابن حبان:

«فلما اتصل الخبر بيزيد بن معاوية أن مسلماً يأخذ البيعة بالكوفة للحسين بن علي، كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله ابن زياد وهو إذ ذاك بالبصرة، وأمره بقتل مسلم بن عقيل، أو بعثه إليه»^(١).

القاضي النعمان:

«وانتهى ذلك إلى يزيد لعنة الله عليه، فعزله، وولى على الكوفة عبيد الله بن زياد، وأمره بقتل مسلم بن عقيل، وبأن يقطع على الحسين عليه السلام قبل أن يصل إلى الكوفة»^(٢).

المفيد:

«فلما وصلت الكتب إلى يزيد، دعا سرجون مولى معاوية، فقال: ما رأيك؟ إنَّ حسيناً قد نفَّذ إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ، فمن ترى أن أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: أرايت معاوية لو نشر لك حياً أما كنت آخذاً برأيه؟ قال: بلى، قال: فأخرج سرجون عهد عبيد الله بن

(١) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧.

زياد على الكوفة، وقال: هذا رأي معاوية، مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضمّ المصرين إلى عبيد الله، فقال له يزيد: أفعَل، ابعث بعهد عبيد الله بن زياد إليه. ثمّ دعا مسلم بن عمرو الباهلي وكتب إلى عبيد الله معه:

أما بعد، فإنّه كتب إلَيّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبرونني أنّ ابن عقيل بها يجمع الجموع ليشقّ عصا المسلمين، فسرّحين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخزرة حتّى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام.

وسلّم إليه عهده على الكوفة، فخرج مسلم بن عمرو حتّى قدم على عبيد الله بالبصرة، وأوصل إليه العهد والكتاب.

فأمر عبيد الله بالجهاز من وقته والمسير والتهيؤ إلى الكوفة من الغد. ثمّ خرج من البصرة، فاستخلف أخاه عثمان، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي، وحشمه وأهل بيته»^(١).

الخوارزمي، ابن أبي طالب:

«فلما اجتمعت الكتاب عند يزيد، دعا بغلام كان كاتباً عند أبيه يقال له: سرجون، فأعلمه بما ورد عليه. فقال: أشير عليك

بما تكره؟ قال: وإن كرهت؟ قال: استعمل عبيد الله بن زياد على الكوفة. قال: إنه لا خير فيه - وكان يبغضه - فأشرب غيره، قال: لو كان معاوية حاضراً أكنت تقبل قوله وتعمل بقوله؟ قال: نعم. قال: فهذا عهد عبيد الله على الكوفة، أمرني معاوية أن أكتبه، فكتبته وخاتمه عليه، فمات وبقي العهد عندي. قال: ويحك، فأمضه.

وكتب: من عبد الله يزيد أمير المؤمنين! إلى عبيد الله بن زياد. سلام عليك، أما بعد، فإنّ المدحوس مسبب يوماً، وأنّ المسبب ممدوح يوماً، ولك ما لك، وعليك ما عليك، وقد انتميت ونيت إلى كلّ منصب، كما قال الأول:
رفعت فما زلت السحاب تفوقه فما لك إلّا مقعد الشمس مقعد

وقد ابتلي بالحسين زمانك من بين الأزمان، وابتلي به بلدك من بين البلدان، وابتليت به بين العمّال، وفي هذه تعتق أو تكون عبداً تعبداً كما تعبّد العبيد. وقد أخبرني شيعتي من أهل الكوفة أنّ مسلم بن عقيل بالكوفة، يجمع الجموع، ويشقّ عصا المسلمين، وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة أبي تراب. فإذا أتاك كتابي هذا فسرّحين تقرأه حتّى تقدم الكوفة، فتكفيني أمرها، فقد ضممتها إليك، وجعلتها زيادة في

عملك - وكان عبيد الله أمير البصرة -، وانظر أن تطلب مسلم ابن عقيل كطلب الحرد، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو اقتله إن لم يبايع، واعلم أنه لا عذر لك عندي، وما أمرك به، فالعجل العجل، والوحاء الوحاء، والسلام.

ثم دفع يزيد كتابه إلى مسلم بن عمرو الباهلي وأمره أن يسرع السير إلى عبيد الله.

فلما ورد الكتاب إلى عبيد الله وقراه، أمر بالجهاز، وتهياً للمسير إلى الكوفة ...

فلما كان من الغد، نادى في الناس وخرج من البصرة يريد الكوفة ومعه أبو قتيبة مسلم بن عمرو الباهلي، والمنذر بن الجارود العبدي، وشريك بن عبد الله الهمداني»^(١).

المحلي:

«فدعا يزيد مولى له يقال له: سرجون، قد كان يستشيريه، فأخبره الخبر، فقال له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حياً؟ قال: نعم، قال: فاقبل مئي، إنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فوها إياه.

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨، تسليمة المجالس لابن أبي طالب: ٢

وكان يزيد عليه ساخطاً، وقد كان همّ بعزله، وكان على البصرة، فكتب إليه برضاه وأنه قد ولّاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل، فيقتله إن وجدته»^(١).
أبوالفداء:

«وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير ما لا يرضيه، فولّى على الكوفة عبيد الله بن زياد، وكان والياً على البصرة»^(٢).
السمهودي:

«فكتب إلى عبيد الله بن زياد ابن أبيه: قد وليتك الكوفة مع البصرة، وأنّ الحسين قد سار إلى الكوفة، فاحترز منه، واقتل مسلم بن عقيل.

فقدم عبيد الله بن زياد من البصرة معه وجوه أهلها، فدخل على الاحتراس من الحسين، وأمره أن يحبس على الظنّة ويأخذ على التهمة»^(٣).

مسكويه:

«فدعا يزيد كاتبه سرجون، وكان يستشير، فأخبره الخبر. قال

(١) الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(٢) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٨٩.

(٣) جواهر العقدين للسمهودي: ٤٠٧.

له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حياً. قال: نعم. قال: فاقبل مني، فإنه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فوله. وكان يزيد ساخطاً عليه، وهم بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضاه عنه، وأنه قد ولّاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل، فيقتله»^(١).

الطبرسي:

«فلما وصلت الكتب إلى يزيد، دعا بسرحون مولى معاوية، وشاوره في ذلك، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال سرحون: أرايت معاوية لو يشير لك كنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم. فأخرج سرحون عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة، فقال: إن معاوية مات وقد أمر بهذا الكتاب، فضمّ المصرين إلى عبيد الله. فقال يزيد: ابعث بعهد ابن زياد إليه، وكتب إليه: أن سرحون لا يقرأ كتابي هذا، حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخزرة، حتى تثقفه، فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه، والسلام»^(٢).

الخوارزمي:

(١) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

(٢) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤.

«فلما اجتمعت الكتب عند يزيد، دعا بغلام كان كاتباً عند أبيه، يقال له: سرحون، فأعلمه بما ورد عليه، فقال: أشير عليك بما تكره. قال: وإن كرهت. قال: استعمل عبيد الله بن زياد على الكوفة. قال: إنه لا خير فيه، وكان يبغضه، فأشر بغيره. قال: لو كان معاوية حاضراً، أكنت تقبل قوله، وتعمل بقوله؟ قال: نعم. قال: فهذا عهد عبيد الله على الكوفة، أمرني معاوية أن أكتبه، فكتبته وخاتمه عليه، فمات، وبقي العهد عندي. قال: ويحك، فامضه. وكتب: من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن زياد، سلام عليك، أما بعد، فإن الممدوح مسبب يوماً، وإن المسبوب ممدوح يوماً، ولك ما لك، وعليك ما عليك، وقد انتميت، ونميت إلى كل منصب، كما قال الأول:

رفعت فما زلت السحاب تفوقه فما لك إلا مقعد الشمس مقعد

وقد ابتلي بالحسين زمانك من بين الأزمان، وابتلي به بلدك من بين البلدان، وابتليت به بين العمال، وفي هذه تعتق أو تكون عبداً تعبداً كما تعبّد العبيد، وقد أخبرني شيعتي من أهل الكوفة أنّ مسلم بن عقيل بالكوفة، يجمع الجموع، ويشقّ عصا المسلمين، وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة

أبي تراب، فإذا أتاك كتابي هذا، فسر حين تقرأه، حتى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها، فقد ضمنتها إليك، وجعلتها زيادة في عملك - وكان عبيد الله أمير البصرة - وانظر أن تطلب مسلم ابن عقيل كطلب الحرد، فإذا ظفرت به، فخذ بيعته أو اقتله إن لم يبايع، واعلم أنه لا عذر لك عندي، وما أمرك به، فالعجل، العجل، والوحاء، الوحاء، والسلام. ثم دفع يزيد كتابه إلى مسلم بن عمرو الباهلي، وأمره أن يسرع السير إلى عبيد الله» (١).

ابن عساكر، مختصر ابن منظور:

«كان [مسلم بن عمرو] عظيم القدر عند يزيد بن معاوية، ووجهه يزيد إلى عبيد الله بن زياد بتوليته إياه الكوفة عند توجه الحسين عليه السلام إليها» (٢).

ابن شهر آشوب:

«فكتب يزيد على يدي مسلم بن عمرو الباهلي إلى عبيد الله ابن زياد وهو والي البصرة، وولاه الكوفة مع البصرة، وأن يطلب

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨.

(٢) ابن عساكر، مختصر ابن منظور: ٢٤ / ٢٩٥.

مسلم بن عقيل، فيقتله، أو ينفيه، فالعجل العجل»^(١).

ابن الجوزي:

«فولّى الكوفة عبيد الله بن زياد إضافة إلى البصرة، وأمره أن يقتل مسلم بن عقيل»^(٢).

ابن الجوزي:

«قال أهل السير: لما بعث الحسين مسلم بن عقيل بلغ الخبر إلى يزيد، فولّى الكوفة عبيد الله بن زياد، وكتب إليه يزيد [وقد جمع بين الكتابين]: إنّ الحسين قد توجه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس، واحبس على الظنّة، وخذ على التهمة»^(٣).

ابن الأثير، النويري:

«فلما اجتمعت الكتب عند يزيد، دعا سرجون مولى معاوية، فأقرأه الكتب، واستشاره فيمن يولّيه الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: رأييت لو نشرلك معاوية كنت تأخذ برأيه؟ قال: نعم. فأخرج عهد عبيد الله

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١.

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(٣) الردّ على المعتصّب العنيد لابن الجوزي: ٣٦.

على الكوفة، فقال: هذا رأي معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب. فأخذ برأيه، وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله، وكتب إليه بعهدده، وسيره إليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة، فأمره بطلب مسلم بن عقيل، وبقتله، أو نفيه» (١).

سبط ابن الجوزي:

«وكان يزيد أبغض الناس في عبيد الله بن زياد، وإنما احتاج إليه، فكتب إليه أن قد وليتك الكوفة مع البصرة، وأنّ الحسين قد سار إلى الكوفة، فاحترز منه، وأنّ مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله. فعزل النعمان وولى ابن زياد» (٢).

ابن طاووس:

«فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وكان والياً على البصرة، بأنه قد ولّاه الكوفة، وضّمّها إليه، وعرفه أمر مسلم بن عقيل، وأمر الحسين عليه السلام، ويشدّد عليه في تحصيل مسلم، وقتله رضوان الله عليه» (٣).

الذهبي:

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٣٨.

«وكان على الكوفة النعمان بن بشير، فخاف يزيد أن لا يقدم النعمان على الحسين، فكتب إلى عبيد الله وهو على البصرة، فضم إليه الكوفة، وقال له: إن كان لك جناحان فطري إلى الكوفة! [عن ابن سعد].

وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله بن زياد، فكتب إليه برضاه عنه، وأنه ولّاه الكوفة مضافاً إلى البصرة، وكتب إليه أن يقتل مسلماً» (١).

ابن كثير:

«فبعث يزيد، فعزل النعمان عن الكوفة، وضمها إلى عبيد الله ابن زياد مع البصرة، وذلك بإشارة سرجون مولى يزيد بن معاوية، وكان يزيد يستشير، فقال سرجون: أكنت قابلاً من معاوية ما أشار به لو كان حياً؟ قال: نعم! قال: فاقبل منّي، فإنّه ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد، فولّه إياها. وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد، وكان يريد أن يعزله عن البصرة، فولّاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره.

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة، فاطلب مسلم ابن عقيل، فإن قدرت عليه، فاقتله، أو انفنه. وبعث الكتاب

مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي»^(١).

ابن خلدون:

«فأشار عليه سرجون^(٢) ... [بيّض له بالأصل نحو ثلاث

ورقات].

ابن حجر، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر:

«فدعا يزيد مولى له يقال له: سرحون، فاستشاره، فقال له:

ليس للكوفة إلا عبيد الله بن زياد. وكان يزيد ساخطاً على

عبيد الله، وكان همّ بعزله عن البصرة. فكتب إليه برضاه عنه.

وأثّه قد أضاف إليه الكوفة. وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل،

فإن ظفربه، قتله»^(٣).

ابن الصبّاغ، الشبلنجي:

«فجهّز يزيد عند ذلك إلى الكوفة عبيد الله بن زياد»^(٤).

ابن حجر:

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(٣) الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤

/ ٣٣٦.

(٤) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦.

«وأمر يزيد ابن زياد»^(١).

تاج الدين العاملي:

«وبلغ الخبر إلى يزيد، فأرسل إلى عبيد الله بن زياد، وكان والياً على البصرة، يأمره بالمضي إلى الكوفة، ويبذل الجهد في قتل مسلم بن عقيل»^(٢).

الطريحي:

«فلما قرأ يزيد الكتاب، أنفذ إلى الكوفة عمر بن سعد لعنه الله، وكتب إلى عبيد الله بن زياد، وكان في البصرة، كتاباً يستنهضه على الرحيل إلى الكوفة، ولا يدع من نسل علي إلا قتله»^(٣).

مقتل أبي مخنف (المشهور):

«فلما اجتمعت الكتب عند يزيد (لعنه الله) دعا بمولى له. يقال له: سرجون، وقال له: ما تنظر الحسين عليه السلام كيف أرسل ابن عمه إلى الكوفة يبايعهم؟ وبلغني أن النعمان ضعيف فيهم. فأقرأه الكتب التي أتته من الكوفة، فقال له: وما عندك

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٧.

(٢) التتمة لتاج الدين العاملي: ٧٨.

(٣) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

من الرأي؟

فأشار عليه بتولية عبيد الله بن زياد (لعنه الله) وعزل النعمان، ففعل ذلك، وضّم إليه المصرين: البصرة والكوفة، فكتب إليه: أما بعد، فإنّي ولّيتك المصرين البصرة والكوفة، فخذ بالرأي السديد واعمل النصح.

وأرسل إليه كتاباً ثانياً يقول فيه: من يزيد بن معاوية (لعنه الله) إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فقد بلغني أنّ أهل الكوفة قد اجتمعوا على البيعة للحسين عليه السلام، وقد كتبت إليك كتاباً، فإنّي لا أجد سهماً أرمي به عدوي أجراً منك، فإذا قرأت كتابي هذا، فارتحل من وقتك وساعتك، وإياك والتواني، واجتهد ولا تبق من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام أحداً، واطلب مسلم بن عقيل عليه السلام فاقتله، وابعث إليّ برأسه، والسلام.

كتب هذا العهد في شهر ذي الحجة سنة ستين من الهجرة وهي السنة التي قتل فيها الحسين عليه السلام. قال: ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي وقال له: امض إلى البصرة، وادفع كتابي هذا إلى عبيد الله بن زياد (لعنه الله)»^(١).

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

القندوزي:

«فأرسل يزيد عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى ابن زياد - كان في البصرة - مع كتاب يأمره على الرحيل إلى الكوفة، ولا يدع من بني علي إلا قتله» (١).

أسد حيدر:

«فاضطرب حبل استقراره، ولجأ إلى أهل الرأي والمشورة من كبار أنصاره ومعاونيه، وكان أبرز مشاوريه سرجون مولى معاوية، وهو رجل مجوسي يحقد على العرب، فأشار عليه بعزل النعمان، وتولية عبيد الله بن زياد، ويقال: إن سرجون كان يرعى الرابطة التي بينه وبين ابن زياد، لأن سرجون مجوسي العقيدة، وكانت مرجانة على عقيدته، فأراد أن يقدم ابن مرجانة، ويؤليه المصيرين، ليفتك بالعرب، ويوقد بين المسلمين نار حرب يكون وقودها المسلمون. فكتب إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبروني أن ابن عقيل يجمع الجموع، ويشق عصي المسلمين، فسرحين تقرأ كتابي هذا، حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن

عقيل طلب الحزرة حتى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه» (١).

بواعث ضم الكوفة إلى ابن زياد

يبدو لمن تمنع أن المتون التاريخية تذكر أسباباً ودوافع مختلفة حملت القرد المجذور على تسويد الكوفة لابن الأمة الفاجرة وجعلها لقمة واحدة مع البصرة، والظاهر من النصوص أن كل واحد من المؤرخين يحرص السبب فيما يذكره هو، ولأمانع من اجتماع الأسباب كلها، وقد أخذ كل واحد من المؤرخين أحدها وركز عليه، وهي كافية جمعاً أو أفراداً لتحريكه وبعثه على اتخاذ مثل هذا القرار الخطير..

الباعث الأول: كان قد ولّاه من قبل

ربما أفادت عبارة اليعقوبي في تاريخه أن القرد المجذور كان قد ولي ابن الأمة الفاجرة العراق بمصريه، وإنما كتب إليه وهو في البصرة يستحثه ويستعجله لينتقل إلى المركز الثاني من مراكز ولايته، باعتبار أنه استشرع ثمة تلملاً واضطراباً وتخلخلاً في الأوضاع..

قال اليعقوبي:

«وكان يزيد قد ولي عبید الله بن زياد العراق، وكتب إليه: قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم،

(١) مع الحسين في نهضته لأسد حيدر: ٨٨.

وأنه قد خرج من مكة متوجّهاً نحوهم، وقد بلي به بلدك من بين البلدان» (١) ...

وقال الصّبّان:

«فعلم يزيد بخروج الحسين، فأرسل إلى عبيدالله بن زياد واليه على الكوفة، يأمره بطلب مسلم وقتله» (٢).

وهذا يعني أنّ الأحداث لم تدفع يزيد الفجور إلى تعيين ابن زياد على الكوفة وضمّها إلى ولايته على البصرة، وإنّما كان هو والياً عليها من قبل، غاية ما فعله سليل البغاء أنّه أمره بالانتقال السريع من موضع إلى موضع آخر داخل ولايته.

وهذا لا يتعارض مع وجود النعمان في الكوفة، فإنّ المرسوم سابقاً - كما هو واضح - أن ينصبّ والياً على ولاية كبيرة، وينصبّ والياً آخر على جزء من ولايته ويكون الثاني خاضعاً للأول إدارياً، بل ربما عيّن الوالي على الولاية الكبيرة عمّالاً له على بعض الكور والمدن والمراكز القريبة أو البعيدة عن مركز ولايته..

الباعث الثاني: سماعه بقصد الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة

أفادت عبارة البلاذري والمسعودي أنّ القرد المجذور بلغه أن سيّد

(١) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٢) إسعاف الراغبين للصّبّان: ٢٠٥.

شباب أهل الجنة عليه السلام قصد الكوفة وقد خرج من مكة المكرمة، فبادر إلى تولية ابن الأمة الفاجرة على الكوفة..

قال البلاذري:

«.. قال: بلغ يزيد بن معاوية أن الحسين عليه السلام يريد الخروج إلى

الكوفة فغمه ذلك، وساءه، فأرسل إلى سرجون مولاهم - وكان

كاتبه وأنيسه - فاستشاره فيمن يولّيه الكوفة» (١)..
وقال المسعودي:

«وأتصل الخبر بيزيد (أي خروج سيّد الشهداء عليه السلام من مكة

إلى الكوفة)، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة» (٢).

وهذا يعني أن ابن ميسون الفاجرة قد بادرت إلى تولية نغل الأمويين

ابن زياد لمجرد سماعه بخبر خروج سيّد الشهداء عليه السلام من مكة، حسب

نص المسعودي، ولمجرد اطلاعه على عزم الإمام الحسين عليه السلام وأنه يريد

الكوفة، وكأن تولية ابن زياد لا علاقة لها بدخول المولى الغريب عليه السلام

إلى الكوفة، وليس المقصود من انتقال ابن زياد إلى الكوفة لمعالجة

الأحداث المتسارعة التي ماجت الكوفة وهاجت بها بعد تشرفها بأقدام

المولى الغريب عليه السلام وقدم سفير خامس أصحاب الكساء عليه السلام إليها،

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٤٠٧.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

وإنّما المقصود أساساً هو معالجة ما سيقع وما يستقبل فيها من أحداث ويستجدّ فيها من أوضاع إذا ما وصلها سيّد الشهداء عليه السلام..

الباعث الثالث: إجراء احترازيّ

ربما يكون هذا السبب هو من فروع السبب السابق وتابع له وفي نفس السياق، بيد أننا أفردناه تحت عنوان خاصّ به لوجود شيء من الاختلاف الدقيق والإضافات المهمّة، وقد وردت فيه النصوص على أنحاء ثلاث:

النحو الأوّل: الخوف من النعمان

صرّح ابن سعد ومَن تبعه أنّ يزيد الفجور إنّما عزل النعمان ووَلّى ابن الأُمّة الفاجرة لخوفه من النعمان أن لا يقدم على الحسين عليه السلام، فاحترز للموقف وعزله، وجعل مكانه من يطمئنّ إليه ويجزم أنّه يقدم على الإمام الحسين عليه السلام وعلى جدّه وهو ممّن لا يتورّع ولا يخاف الله وليس له إلّا ولا ذمّة.

قال ابن سعد:

«وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة في آخر خلافة معاوية، فهلك وهو عليها، فخاف يزيد أن لا يقدم النعمان على الحسين، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بن أبي

سفيان»!! (١)

ومن الغريب! أن يطيع ابن سعد ومن تبعه ابن هند آكلة الأكباد
ويخالف رسول الله ﷺ، إذ ينسب زياداً إلى أبي سفيان، وقد قال
النبي ﷺ:

«الولد للفراش وللعاهر الحجر»!!

النحو الثاني: الاحتراز لمعالجة الموقف

أفادت بعض المصادر أنّ القرد المجذور إنما ولى ابن الأمة الفاجرة
الكوفة حينما بلغه أنّ المولى الغريب ﷺ دخل الكوفة وجعل يأخذ
البيعة لسيد الشهداء ﷺ، فخاف من هذا الإقدام وتقديم سيد
الشهداء لسفيره ﷺ، فانتدب جرّوه ابن زياد ليطير بمناحين فيعالج
الموقف هناك.

قال ابن حبان:

«فلما اتّصل الخبر بيزيد بن معاوية أن مسلماً يأخذ البيعة
بالكوفة للحسين بن علي، كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله

(١) ترجمة الإمام الحسين ﷺ من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر
ابن منظور، ٢٧ / ٥٨، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، ٢٠٦، عن ابن

ابن زياد وهو إذ ذاك بالبصرة» (١).

ابن الجوزي:

«قال أهل السير: لما بعث الحسين مسلم بن عقيل بلغ الخبر إلى يزيد، فوّلّى الكوفة عبيد الله بن زياد» (٢).

ابن الصبّاغ، الشبلنجي:

«اجتمع الشيعة على مسلم بن عقيل وأخذ عليهم البيعة للحسين بن علي عليه السلام، فكتب والي الكوفة - وهو يومئذ النعمان بن بشير - إلى يزيد بن معاوية يخبره بذلك، فجّهز يزيد عند ذلك إلى الكوفة عبيد الله بن زياد» (٣).

وهذه الطائفة كأنها ترتّب اتخاذ قرار تولية ابن الأمة الفاجرة على مجرد دخول المولى الغريب عليه السلام إلى الكوفة أو مبادرته إلى أخذ البيعة بغضّ النظر عمّا جرى فيها من أحداث، فيلوح للناظر فيها أنّ ما فعله القرد المجذور إنّما كان احترازاً لما سيقع من أحداث وتضعّض في الأوضاع، وتحسّباً لما سيؤدّي إليه وجود المولى الغريب عليه السلام في الكوفة وأخذه البيعة ودخول سيّد الشهداء عليه السلام عاقبة إليها!

(١) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

(٢) الردّ على المتعصّب العنيد لابن الجوزي: ٣٦.

(٣) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦.

النحو الثالث: احتراز معاوية

سنسمع بعد قليل النصوص التي تفيد أنّ القرد المترهل معاوية كان قد أعدّ جروه ابن الأمة الفاجرة لمثل هذا اليوم، وقد كتب له الصكّ وأمره، بيد أنّ الأجل لم يمهله حتى ينقذ التولية، فيكون المحترز المتحسّب المترقب لهذه الوقائع الذي أعدّ لها الوحش المفترس النرق ابن زياد إنّما هو معاوية من قبل أن ينزو القرد المجذور على الأعواد.

الباعث الرابع: تفضيل النعمان للإمام الحسين عليه السلام على يزيد

تفيد عبارة ابن قتيبة ومَن تبعه والقاضي النعمان: أنّ القرد المجذور لما سمع أنّ النعمان قد قال: «لأبن بنت رسول الله أحب إلينا من ابن بنت مجدل»، ساءه ذلك فعزله واستبدله بابن الأمة الفاجرة.

قال ابن قتيبة، البيهقي، ابن عبد ربّه، الباعوني:

«فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل إلى الكوفة يبايعهم

له، وكان على الكوفة النعمان بن بشير. فقال النعمان: لأبن

بنت رسول الله ﷺ أحب إلينا من ابن مجدل. قال: فبلغ ذلك

يزيد، فأراد أن يعزله» (١) ...

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوي للبيهقي: ٥٠، جواهر

المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥، عن ابن عبد ربّه، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤

وقال القاضي النعمان:

«وكان على الكوفة يومئذ النعمان بن بشير، وانتهى ذلك إليه، فقال: إِنَّ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ابْنِ بِنْتِ بَجْدَل ... وانتهى ذلك إلى يزيد لعنة الله عليه، فعزله، وولّى على الكوفة عبيد الله بن زياد»^(١).

فهذه المجموعة من المصادر تفيد أنّ سبب عزل النعمان واستبداله المقال الذي صدر منه فبلغ القرد المجذور، وهو يمتنع عن عدم الوفاء ليزيد الخمر، والانحياز عنه والميل لغيره، فيكون عزله في الأصل - على ما يظهر - موقف شخص النعمان وما قاله، لا مجريات الأحداث..

وربما كان هذا القول هو ما بلغ يزيد الفجور في قول أبي الفداء:
«وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير ما لا يرضيه، فولّى على الكوفة عبيد الله بن زياد»^(٢).

قال القمي رحمته الله:

«وأما قول يزيد: وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيئ، فلعله إشارة إلى ما رواه ابن قتيبة الدينوري في كتاب الإمامة والسياسة: أنّه قال النعمان بن بشير: لابن بنت رسول الله

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧.

(٢) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٨٩.

أحب إلينا من ابن بنت بحدل»^(١).

الباعث الخامس: لما ورده من كتاب عيونه في الكوفة

أوعزت جملة من المصادر سبب عزل النعمان واستبداله بابن الأمة الفاجرة إلى ما كتبه عيون القرد المجذور وأذنا به في الكوفة، وما وصفوا به الوضع في الكوفة على العموم، وموقف النعمان على الخصوص واقتراحهم عليه أن يستبدله إن كان له في سلطانه حاجة، وسنقتصر على ذكر نص واحد منها باعتباره الأقدم حسب فحصنا، واشتماله على ما ذكره الآخرون على اختلاف تعبيراتهم.

قال البلاذري:

«فكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري ومحمد بن الأشعث الكندي وغيرهما إلى يزيد بن معاوية بنخبر مسلم بن عقيل، وتقديم الحسين إياه إلى الكوفة أمامه، وبما ظهر لهم من ضعف النعمان بن بشير، وعجزه ووهن أمره. فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان بولاية الكوفة إلى ما كان يلي من البصرة»^(٢).

(١) نفس المهموم للقمي: ٨٦.

(٢) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، الأخبار الطوال

للدینوری: ٢٣٣، تاریخ الطبری: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠،

الخلاصة:

ربما كانت الأسباب المذكورة أعلاه متقاربة أو حتى متداخلة أحياناً بيد أنها تختلف بنحو ما عن بعضها البعض، ولكنها جميعاً تفسّر إقدام القرد المجذور على عزل النعمان واستبداله بابن زياد عدا السبب الأول الذي يفيد أنّ ابن زياد كان على العراق من قبل ولم تجدد له ولاية، وإنما انتدبه يزيد واستعجله للانتقال إلى الكوفة ليرقب مجريات الأحداث عن كثب ويتخذ القرارات ويباشر معالجة الموقف بنفسه.

ويمكن أن يقال: إنّ السبب الأخير المشهور - وهو ترتيب الاستبدال

تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦، الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٨، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥، حياة الإمام الحسين من كتاب الحقائق الوردية، تحقيق السيد علي أشرف: ٧٠، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨، المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٨٠، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨، اللهوف لابن طاووس: ٣٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٦، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣، مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

على كتب العيون والملاحين - ليس هو السبب الأول والأخير كما قد يفيد البعض، وإنما هو في أقصى التقادير سبب بين الأسباب وجزء علة..

كما يمكن أن يقال: إن لكل سبب من الأسباب المذكورة أثره في ما فعل على فرض ثبوت ذلك السبب تاريخياً.. فالاستبدال كان نتيجة لتراكم الأسباب، ولما كانت الأحداث متسارعة متلاحقة، كان كل واحد منها يبدو وكأنه هو الباعث..

مستشار يزيد!

حينما تفرز المتون التاريخية وتوزع بعد التأمل تنقسم إلى جملة من الإفادات التي تختلف أحياناً اختلافاً تاماً، وربما أمكن الجمع بينها وحملها على بعضها أحياناً أخرى، وسنلاحظ ما ورد من نصوص تعرّضت للحديث عن استشارة يزيد في أمر ابن الأمة الفاجرة:

المستشار الأول^(١): رأي القرد المجذور

أفادت النصوص القديمة كابن سعد والدينوري واليعقوبي والمسعودي والقاضي النعمان وغيرهم - إما تصريحاً أو تلويحاً - أن القرد المجذور عمل برأيه، ولم يستشر أحداً، بل بادر إلى ذلك من تلقاء نفسه

(١) ربما كان تسامح واضح في استعمال العنوان الأول هذا!

عملاً بما رآه هو شخصياً.

قال ابن سعد وغيره:

«وكان النعمان بن بشير الأنصاري على الكوفة في آخر خلافة معاوية، فهلك وهو عليها، فخاف يزيد أن لا يقدم النعمان على الحسين، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان! وهو على البصرة، فضم إليه الكوفة»^(١).

وقال الدينوري:

«فلما ورد الكتاب على يزيد، أمر بعهد، فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة»^(٢).

وقال اليعقوبي:

«وكان يزيد قد ولي عبيد الله بن زياد العراق، وكتب إليه»^(٣).

وقال المسعودي:

«واتصل الخبر بيزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتولية

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر

ابن منظور، ٢٧ / ٥٨، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، ٢٠٦.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

الكوفة» (١).

وقال ابن حبان:

«فلما اتصل الخبر يزيد بن معاوية أن مسلماً يأخذ البيعة بالكوفة للحسين بن علي، كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله ابن زياد وهو إذ ذاك بالبصرة» (٢).

وقال القاضي النعمان:

«وانتهى ذلك إلى يزيد لعنة الله عليه، فعزله، وولى على الكوفة عبيد الله بن زياد» (٣).

وقال ابن الصبّاغ، والشبلنجي:

«فجهّز يزيد عند ذلك إلى الكوفة عبيد الله بن زياد» (٤).

وقال ابن حجر:

«وأمر يزيد ابن زياد» (٥).

نكتفي بهذا القدر من النصوص، ويمكن مراجعة المتون الأخرى التي

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

(٣) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧.

(٤) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٦.

(٥) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٧.

ذكرناها قبل قليل ^(١).. وهي - كما تلاحظ واضحة -، ويأبى بعضها عن الحمل على الاختصار.

المستشار الثاني: أهل الشام

ذكر ابن قتيبة والبيهقي وابن عبد ربّه أنّ القرد المجذور استشار أهل الشام فيمن يستعمله على الكوفة! فأشاروا عليه بابن زياد باعتباره من رضي به معاوية!

قال ابن قتيبة، والبيهقي:

«فأراد أن يعزله. فقال لأهل الشام: أشيروا عليّ، مَنْ أستمعل على الكوفة؟ فقالوا: أترضى برأي معاوية؟ قال: نعم. قالوا: فإنّ الصكّ بإمرة عبيد الله بن زياد على العراقيّين قد كتبه في الديوان. قال: فأستمعله على الكوفة» ^(٢).

وقال ابن عبد ربّه:

«فبلغ ذلك يزيد فقال: يا أهل الشام، أشيروا عليّ، مَنْ

(١) انظر: التتمة لتاج الدين العاملي: ٧٨، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٨٩، المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٨٠، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، الردّ على المتعصّب العنيد لابن الجوزي: ٣٦، اللهوف لابن طاووس: ٣٨.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوئ للبيهقي: ٥٠.

أستعمل على الكوفة؟ فقالوا: ترضى من رضى به معاوية؟
قال: نعم. قيل له: فإنَّ الصكَّ بإمرة عبيد الله بن زياد على
العراقيين قد كتب في الديوان. فأستعمله على الكوفة»^(١).

وقال الباعوني:

«فبلغ ذلك يزيد فقال: يا أهل الشام أشيروا عليَّ مَنْ أستعمل
على أهل الكوفة؟ قالوا: نرضى بما رضى. فولى [يزيد] عبيد
الله بن زياد على العراقيين»^(٢).

لقد اعتاد الباعوني على النقل عن ابن عبد ربّه، فينتقل الكلام إلى
الأخير، أمّا ابن قتيبة فهو الأقدم، بيد أنّ ثمة نقطتين ينبغي الالتفات
إليها:

النقطة الأولى: المقصود بأهل الشام

إنّ استشارة أهل الشام جمعاً قد لا يكون له معنى هنا، إذ كيف
أطلعوا جميعاً على صكّ إمارة العراقيين الذي كتبه القرد المترهل للقيطهم
ابن زياد، فربما ينصرف الفهم إلى أنّه استشار جلساءه وندماءه وأهل
الرأي عنده ممّن يعدّهم وجوهاً للقوم والمعبّرين عن آراء من وراءهم،

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٧.

(٢) جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥، عن ابن عبد ربّه.

فسمّاهم المؤرّخ أهل الشام..

النقطة الثانية: عدم تفرد سرجون

يمكن الإفادة من هذا النصّ أنّ سرجون لم يكن هو المستشار الوحيد الذي اعتمد القرد المجدور رأيه، وإنّما كان غيره، سواء كان أهل الشام جمعاً أو الخواصّ منهم..

وعلى هذا لا يكون «سرجون» موضوعاً مستقلاً ورأيه هو الرأي الوحيد الذي دفع يزيد القرد إلى اتّخاذ هذا القرار، وفي هذه النتيجة أهميّة تسترعي انتباه بعض المعاصرين الذين ربّوا على رأي سرجون آثاراً ونتائج واستنتاجات خطيرة جدّاً.

المستشار الثالث: سرجون

ذكر البلاذري وآخرون ممّن تأخّر عنه أنّ القرد المجدور استشار سرجون، وكان كاتبه وأنيسه ومستشاره، فأشار عليه بابتن الأمة الفاجرة: قال البلاذري:

«وحَدَّثني عبد الله بن صالح المقرئ، عن أبي زييد، عن أبي حصين، قال: بلغ يزيد بن معاوية أنّ الحسين عليه السلام يريد الخروج إلى الكوفة فغمّه ذلك، وساءه، فأرسل إلى سرجون

مولاهم - وكان كاتبه وأنيسه - فاستشاره»^(١).

وكذا أفاد الطبري، والشجري والمزي وابن حجر^(٢)، وابن أعثم^(٣)

والمفيد^(٤) والخوارزمي وابن أبي طالب^(٥) والمحلّي^(٦) ومسكويه^(٧)

والطبرسي^(٨) وابن الأثير^(٩) وابن كثير^(١٠) وابن خلدون^(١١) وابن حجر

وابن بدران^(١٢) وكذا في مقتل المشهور لأبي مخنف^(١٣).

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٤٠٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، ٣٥٦، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال

للمزي: ٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠.

(٤) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩.

(٥) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٨.

(٦) الحقائق الوردية للمحلّي: ١ / ١١٥.

(٧) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

(٨) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

(٩) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

(١٠) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(١١) تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٢.

(١٢) الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤

/ ٣٣٦.

(١٣) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

وقد اختلفت المصادر فيما إذا كان سرجون قد أشار برأيه شخصياً أو أنه عمل بما قد عزم عليه معاوية من قبل، فأخبر يزيد بعزم أبيه ليس إلا.

الأول: إعداد معاوية

أكد البلاذري ومن تلاه أنّ معاوية كان قد عزم على تولية ابن الأمة الفاجرة على الكوفة، وقد مضى في عزمه حتى كتب له العهد وختمه بخاتمه، وقد تردد سرجون المستشار في عرض الأمر على يزيد لعلمه ببغضه لابن زياد، فلما احتاج إليه عرض عليه رأي معاوية وعزمه، فاستجاب له وأنفذه عهد أبيه.

قال البلاذري:

«فأرسل إلى سرجون مولاهم - وكان كاتبه وأنيسه - فاستشاره فيمن يولّيه الكوفة، فأشار بعبيد الله بن زياد. فقال: إنه لا خير عنده. قال: رأيت لو كان معاوية حياً فأشار عليك به أكنت تولّيه؟ قال: نعم. قال: فهذا عهد معاوية إليه بخاتمه، وقد كان ولاه فلم يمنعني أن أعلمك ذلك إلا معرفتي ببغضك له. فأنفذه إليه، وعزل النعمان بن بشير»^(١)..

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٤٠٧.

وصوّر الآخرون المشهد بصورة قريبة جداً ممّا رواه البلاذري، كالطبري، الشجري، المزّي، ابن حجر^(١)، وابن عبد ربّه^(٢) والمفيد^(٣)، والخوارزمي، وابن أبي طالب^(٤)، والطبرسي^(٥)، والخوارزمي^(٦)، وابن الأثير، والنويري^(٧)..

يضاف إلى هذه المجموعة ما رواه ابن قتيبة والبيهقي^(٨) وابن عبد ربّه الذي ذكرناه في المستشار الثاني، إذ أنّهم أشاروا عليه برأي معاوية وأنّه كان قد كتب الصكّ لابن زياد على العراقيّين.

وبناءً على هذا يكون معاوية قد أعدّ العدة قبل هلاكه، إذ أنّه كان يعلم أنّ سيّد الشهداء عليه السلام لن يبايع ليزيد، وقد أبى البيعة له رغم

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأُمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي:

٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٧.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٨.

(٥) إعلام الوريّ للطبرسي: ٢٢٤.

(٦) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨.

(٧) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

(٨) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوئ للبيهقي: ٥٠.

إلحاح معاوية، واعتباره بيعة يزيد قضاءً من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم^(١)، وتهديده وقوله: «والله لئن لم يبايعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن»^(٢)، وقد ذكر الحسين عليه السلام وأصحابه فقال: «لأقتلنهم إن لم يبايعوا»^(٣)..

وما يُقال من أنّ معاوية كان يكره أن يقتل الإمام الحسين عليه السلام علناً، وأنه يتجنب ذلك إصلاحاً لدولته، وتحزراً لسلطانه، وتخوفاً من زلزلة أركان مملكته، فإنّ ذلك كله - إن صحّ - مشروط أن يكون دون ما يرومه ويعتبره قضاء من قضاء الله الذي لا يردّ، أمّا بيعة يزيد الذي منعه من إبطار رشده وأضله عن معرفة قصده، كما قال هو نفسه: «ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي»^(٤)، فإنّها لا مجال فيها ولا تسامح في ديوان القرد المترهل، وقد أقدم من قبل على قتل سيّد الأوصياء وأمير المؤمنين وسيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسن الأمين عليه السلام.

(١) انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١ / ١٥٨.

(٢) انظر: الفتوح لابن أعمش: ٤ / ٢٣٥.

(٣) انظر: الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٥١، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٥٦.

(٤) انظر: الفتوح لابن أعمش: ٤ / ٢٤٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٧٤،

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٦٢.

وقد رأيناه فَعَلَ الأفاعيل وبذل الأموال ورغب ورهب حتى جمع الناس على بيعة نغله طوعاً أو كرهاً قبل هلاكه، وللكلام في هذا الموضوع موضع آخر لا يسع المقام الخوض فيه مفصلاً.

الثاني: رأي سرجون!

أفاد ابن أعثم - وآخرون تأخروا عنه - أن القرد المجدور استشار سرجون في أمر الكوفة، فأشار عليه بابن زياد، وأنه ليس له إلا هذا الخيار، وأنه سيكفيه الكوفيون.

قال ابن أعثم:

«قال: فلما اجتمعت الكتب عند يزيد بن معاوية، دعا بغيلاً أبيه وكان اسمه: سرجون، فقال: يا سرجون! ما الذي عندك في أهل الكوفة، فقد قدم مسلم بن عقيل، وقد بايعه الترابية للحسين بن علي رضي الله عنهما؟ فقال له سرجون: أتقبل مني ما أشير به عليك؟ فقال يزيد: قل حتى أسمع! فقال: أشير عليك أن تكتب إلى عبيد الله بن زياد - فإنه أمير البصرة - فتجعل له الكوفة زيادة في عمله، حتى يكون هو الذي يقدم الكوفة، فيكفيك أمرهم. فقال يزيد: هذا لعمرى هو الرأي»^(١).

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠.

وقال المحلي:

«فدعا يزيد مولى له يقال له: سرجون، قد كان يستشير، فأخبره الخبر، فقال له: أكنت قابلاً من معاوية لو كان حيّاً؟ قال: نعم، قال: فاقبل مّي، إنه ليس للكوفة إلاّ عبيد الله بن زياد، فولّها إيّاه» (١).

وذكر قريباً من هذا مسكويه وابن كثير وابن حجر وابن بدران وكذا في مقتل أبي مخنف (المشهور) (٢).

وهنا ثمة نكات مهمّة يحسن الوقوف عندها على عجل، وسنشير إليها ضمن الوقفات التالية:

الوقفّة الأولى: سرجون أو الآخرون؟

تبين لنا ممّا مضى من تقسيم للمتون التاريخيّة أنّ ثمة مصادر لها ثقلها من حيث القدم والعدد، اتفقت ولو على نحو الإجماع المركّب: أنّ الرأي ليس هورأي سرجون، كما سمعنا قبل قليل تحت عنوان «مستشار يزيد».

(١) انظر: الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ٢٢.

(٢) انظر: تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢،

الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤ /

٣٣٦، مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

ففي الطائفة الأولى: كان الرأي هورأي يزيد الفسوق نفسه، وهي مصادر قديمة وعديدة.

وفي الطائفة الثانية: كان المستشار أهل الشام، ولو حمل على إرادة أهل الحل والعقد والرأي منهم.

وفي الطائفة الثالثة: التي ورد فيها اسم سرجون تنسب الرأي إلى معاوية، وإنه كان قد عزم على تسليط ابن الأمة الفاجرة، وقد كتب عهده وختمه بخاتمه قبل أن يهلك..

فلا يبقى إلا ابن أعثم ومن هذا حذوه، وهم كما سمعنا جزء من الطائفة الثالثة، وغيرهم ممن لا ينسب الرأي إلى سرجون كثير سواء كان قد نطق به سرجون نفسه - بيد أنه كان يحدث عن رأي معاوية -، أو المصادر الأخرى التي لم تذكر له أي دور لا من قريب ولا من بعيد.. وكيف كان! فهو رأي من بين الآراء، وموقف من بين المواقف، وباعث من بين البواعث التي ذكرناها قبل قليل.

الوقفة الثانية: دلالات رأي سرجون؟

لما حصر البعض اختيار ابن الأمة الفاجرة ليسلط على الكوفة في تلك الفترة برأي سرجون بالذات!! وإشارته إلى يزيد، رتبوا على رأيه الشخصي، أمورا كثيرة واستنتاجات خطيرة.

فصوّره البعض باعتباره «ممثل فصيل منافقي أهل الكتاب في

البلاط الأموي»، واحتمل أن يكون «قد أشار على معاوية أيضاً بنفس هذا الرأي فتبناه معاوية، ثم أظهره سرجون ليزيد في الوقت المناسب على أنه رأي أبيه»^(١)..

وذهب آخرون إلى أن سرجون كان رجلاً مجوسياً يحقد على العرب، فأشار عليه بعزل النعمان، وتولية عبيد الله بن زياد، ويقال:

«إن سرجون كان يرعى الرابطة التي بينه وبين ابن زياد، لأن سرجون مجوسي العقيدة، وكانت مرجانة على عقيدته، فأراد أن يقدم ابن مرجانة، ويوليّه المصيرين، ليفتك بالعرب!! ويوقد بين المسلمين نار حرب يكون وقودها المسلمون»^(٢).

واستفاد بعض من إشارة سرجون أن الروم هم الذين خططوا لقتل سيد الشهداء عليه السلام وأن قاتله الأصلي ليس بمسلم بتاتاً وإنما هم البيزنطيون!!! وزعموا أن سرجون أصلها «السيرجون» يعني السيد جون!! وأن قاتل سيد الشهداء عليه السلام هم الأوربيون!!

وبغض النظر عن كون رأي سرجون فرع لأحد الاحتمالات المذكورة سلفاً، فإن الأمر لا يبدو بهذا المستوى من التهويل، بل ربما كان هو أهون من ذلك بكثير! وأن المسؤول الأول والأخير والمخطط والمباشرهم

(١) انظر: مع الركب الحسيني: ٢ / ١٣٤.

(٢) مع الحسين في نهضته لأسد حيدز: ٨٨.

أجلاف العرب والمشرّكين وقرود الأمويّين ومَن أعانهم وسهّل لهم طريق
النزو على منابر المسلمين، وسلّطهم على رقاب الناس، وقد أخذوا ثأرهم
من رسول الله ﷺ في عترته الطيّبة، ونعق غرائهم بين الملاء وعلى رؤوس
الأشهاد ينعى فطائس المشرّكين في بدر وأحد ويتميّ أن يشهدوا يوم
الحسين عليه السلام يوم تصفية الحساب واستيفاء الدين من النبيّ
الأمين عليه السلام (١)!

الوقفة الثالثة: هل علم سرجون ولم يعلم يزيد؟!

لقد كان يزيد في مركز السلطة أيام أبيه، وكان القرد المترهّل يعبد له
طريق النزو على الأعواد قبل هلاكه، حتّى أخذ له البيعة في جميع
الأمصار، وكان يرجع إليه كثيراً من الأمور، وقد علّم الملاقون أنّ قرده
المدلّل يزيد من أقرب الوسائل للتقرّب إليه والتزلف لديه، ولطالما
استخدمه مثل النعمان وغيره من النفعيين طريقاً لدخول حضيرة
معاوية والتماس رضاه ولحس ما عنده..

فمن المستبعد جدّاً أن يكون معاوية قد كتب عهد ابن زياد وختمه
وعزم على توليته الكوفة، ثمّ لم يخبر يزيد أبداً، وهو الذي قد حدّثه

(١) اقتصرنا هنا على هذا المقدار العجول لأنّ الموضوع خارج عن محلّ البحث عن
المولى الغريب عليه السلام.

ورسم له الخطوط العامة، بل والتفاصيل أحياناً لمستقبل أيامه..
 أجل! ربما كانت أخبار الطائفة الأولى التي ذكرناها تحت عنوان
 «المستشار الأول» أرجح، إذ يكون يزيد قد اتخذ بنفسه قرار تسليط
 جروهم ابن الأمة الفاجرة، وإثماً كان ذلك بتوصية من أبيه معاوية، وقد
 أكد له سرجون ما عزم عليه من خلال عهده المختوم بختم معاوية..
 وكيف كان! فنحن لا نريد إنكار دور سرجون في تشجيع القرد
 المجدور، وإثماً نشير إلى أن رأي سرجون لم يكن هو المنشأ والأساس،
 بحيث كانت تولية ابن الأمة الفاجرة للكوفة تنتفي لو لم يكن سرجون،
 وأن سرجون هو ولا غيره قد أقنع يزيد برأيه الشخصي، بحيث نستطيع
 أن نثبت أنه في الحقيقة خطة «النصارى وأهل الكتاب» وخطة
 «المجوس»! ونزعات الشعوبية والقومية هي التي أودت بحياة سيد
 الشهداء عليه السلام تحقيقاً لأحقادهم!!!!

وهذا كله - أيضاً - لا يعني أن أهل الكتاب والنصارى والمجوس لم
 يفرحوا بقتل سيد الشهداء عليه السلام يومها، أو أنهم لم يوظفوا فعلة يزيد أو
 يساهموا فيها، فإننا في هذا المقام لا نريد أن ننفي أو نثبت ذلك، إذ أن
 الكلام يدور هنا حول موقف سرجون خاصة!

حامل كتاب يزيد

دعا القرد المجدور مسلم بن عمرو الباهلي، ودفع إليه الكتاب،

وحمله عهد ابن الأمة الفاجرة^(١)، وأمره بإغذاذ السير^(٢)، والجّد في الإسراع إلى ابن زياد^(٣)..

وانفرد القندوزي بقوله:

«فأرسل يزيد عمر بن سعد بن أبي وقّاص إلى ابن زياد - كان

في البصرة - مع كتاب يأمره على الرحيل إلى الكوفة»^(٤)..

والقندوزي يروي في كتابه عن مقتل أبي مخنف النسخة المتداولة

المشهورة مع اختلاف، لذا يبدو أنّ ثمة سهواً أو خطأ قد حصل، وقد روى الطريحي قال:

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٨، ابن عساكر، مختصر ابن منظور: ٢٤ / ٢٩٥، المناقب لابن شهر آشوب: ١٠ / ١٨٠، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢، مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٧٨.

(٤) يتابع المودة للقندوزي: ٣٣٥.

«فلما قرأ يزيد الكتاب، أنفذ إلى الكوفة عمر بن سعد لعنه الله، وكتب إلى عبيد الله بن زياد، وكان في البصرة، كتاباً يستنهضه على الرحيل إلى الكوفة»^(١)..

فربما كان تعبيراً من هذا القبيل، فأصابه التشويش. والله العالم.

أما مسلم بن عمرو الباهلي هذا، فقد كان من صنائع معاوية وابنه يزيد^(٢)، وكان عظيم القدر عند يزيد بن معاوية^(٣)، وكان نديماً ليزيد يشرب معه ويغنيه^(٤)، وقد استصحبه ابن الأمة الفاجرة معه إلى الكوفة، فكانت له مواقف مخزية مع المولى الغريب عليه السلام وناصره هاني بن عروة أبدى فيها فظاظة وقساوة وجلفية تنم عن حقه على النبي وآله عليهم السلام، وملقه الرخيص الممجوج لأولاد البغايا المتبدلات، أتينا على ذكرها في مواضعها من دراساتنا عن المولى الغريب عليه السلام.

وكان من ثم في جيش مصعب بن الزبير، فضرب حتى أرتث، فأتى به خالد بن يزيد إلى عبد الملك وقد أخذ له منه الأمان، ف قيل له: أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح، فما تصنع بالأمان؟ قال: ليسلم

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ١٠٨.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٨ / ١١٤.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٢٩٨.

مالي ويأمن ولدي بعدي.

فلما وضع بين يدي عبد الملك قال: قَطَعَ الله يد ضاربك كيف لم
يجهز عليك؟ أكفرت صنائع آل حرب معك؟ فأمنه على ماله وولده
ومات من ساعته (١).

هكذا هم هؤلاء الأوغاد ينعقون مع كل ناعق، ويميلون مع كل
ريح، ويلهثون خلف كل من يحمل لهم كيس العظام التي تؤمن لهم
المال والحياة الرخيصة الذليلة!

محتويات كتاب يزيد

يمكن تقسيم المتون الواردة في الباب من حيث الموضوع الأصلي
الذي تتحدث عنه الرسالة والمحور الرئيس الذي تؤكد عليه، والمطلوب
الأول الذي تدعو لمحاربته وقاتله واستئصال شأفته إلى عدة مواضيع:

الموضوع الأول: سيّد الشهداء عليه السلام

قال ابن سعد، ابن عساكر، مختصر ابن منظور:

«فكتب إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان! وهو على
البصرة، ضمّ إليه الكوفة، وكتب إليه بإقبال الحسين إليها،
فإن كان لك جناحان، فطرحتي تسبق إليها» (٢).

(١) انظر: مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ١٠٨.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر
←

وقال اليعقوبي:

«وكتب إليه: قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجّهاً نحوهم، وقد بلي بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته، وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك»^(١).

وقال ابن الجوزي:

«فولّى الكوفة عبيد الله بن زياد، وكتب إليه يزيد: إنّ الحسين قد توجّه إلى العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس، واحبس على الظنّة، وخذ على التهمة»^(٢).

وقال الطريحي:

«فلما قرأ يزيد الكتاب، أنفذ إلى الكوفة عمر بن سعد لعنه الله، وكتب إلى عبيد الله بن زياد، وكان في البصرة، كتاباً يستنهضه على الرحيل إلى الكوفة، ولا يدع من نسل علي إلا قتله»^(٣).

ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٢) الردّ على المتعصّب العنيد لابن الجوزي: ٣٦.

(٣) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

وقال القندوزي:

«فأرسل يزيد عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى ابن زياد - كان في البصرة - مع كتاب يأمره على الرحيل إلى الكوفة، ولا يدع من بني علي إلا قتله»^(١).

* * * * *

تبدو في هذه النصوص المذكورة عدّة إشارات نذكرها فيما يلي:

الإشارة الأولى: الموضوع الأول

ظهر الموضوع الأول ذي الأهميّة عند ابن سعد ومَن روى عنه واليعقوبي وابن الجوزي وغيرهم يتركز الحديث فيه عن سيّد الشهداء عليه السلام وحركته وقيامه، ودعوة نغل آل أبي سفيان للحاق بالكوفة على عجل لمواجهة إقبال سيّد الشهداء عليه السلام عليها أو توجّهه نحوها. أمّا ما ذكره الطريحي والقندوزي فقد أتينا على معالجته سابقاً، وهما ينقلان عن المقتل المشهور لأبي مخنف.

الإشارة الثانية: نغل آل أبي سفيان

من العجيب التأكيد على نسبة ابن زياد إلى أبي سفيان، وربما كان ذلك نتيجة ما كان يسمّيه به القرد المجذور المولود في خيام البغاء، وهو

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ٣٣٥.

نسب لصيق صفيق مهلهل لا يتوقّر على أيّ مقوم من مقومات اللصق والثبات، بحيث يهدّده بنفيه وقلعه وإلغاء الوصلة به في أي لحظة، فيطلب منه المبادرة إلى ما أمره به وقتل سيّد الشهداء عليه السلام «وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد»^(١)، بمعنى إعادته إلى حارة البغايا في الطائف..

الإشارة الثالثة: إخباره بتوجّه سيّد الشهداء عليه السلام نحو الكوفة!

أكدت هذه النصوص على توجيه ابن زياد إلى الكوفة لغرض معالجة توجّه سيّد الشهداء عليه السلام إليها، فعبر ابن سعد ومَن تبعه بقوله: «وكتب إليه بإقبال الحسين إليها»^(٢)، وقال اليعقوبي: «قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنّه قد خرج من مكّة متوجّهاً نحوهم»^(٣)، وكذا عبر ابن الجوزي: «وكتب إليه يزيد: إنّ الحسين قد توجّه إلى العراق»^(٤)..

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر.

ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٤) الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي: ٣٦.

وفي جميعها نسمع القرد المجدور يزقح^(١) ويخنن^(٢) ليخبر ابن زياد بخروج سيّد الشهداء عليه السلام من مكّة متوجّهاً إلى العراق.. إلى الكوفة!

ويعضد هذه المجموعة ما ورد من تعبيرات من قبيل قول الصّبّان: «فعلّم يزيد بخروج الحسين، فأرسل إلى عبيد الله بن زياد واليه على الكوفة، يأمره بطلب مسلم وقتله»^(٣)، وهذا ما يؤكّد قول اليعقوبي من تولّي ابن زياد الكوفة من قبل^(٤).

وقول البلاذري مسنداً قال:

«لما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين بن علي من الحجاز، يريد الكوفة، وعبيد الله بن زياد بالبصرة»^(٥).

وقول البلخي:

«وخرج الحسين بأهله وولده، وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة، فهمّ إلى الكوفة»^(٦).

(١) الزقح صوت القرد، انظر: تاج العروس والقاموس المحيط مادة «زقح».

(٢) الحَنَنَةُ: صَوْتُ الْقِرْدِ، انظر: تاج العروس مادة «خنن».

(٣) إسعاف الراغبين للصّبّان: ٢٠٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٥) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢.

(٦) البدء والتاريخ للبلخي: ٢ / ٢٤٠.

وقول الذهبي:

«وقال جرير بن حازم: بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين وهو بالبصرة، فخرج على بغاله هو واثنا عشر رجلاً، حتى قدموا الكوفة» (١).

مشكلة التوقيت!

إنَّ سيّد الشهداء عليه السلام لم يخرج من مكّة متوجّهاً إلى الأرض الموعودة إلاَّ يوم شهادة مسلم بن عقيل! أو يوم ندائه بالشعار في الكوفة على أقصى التقادير!

وأنَّ سيّد الشهداء عليه السلام لم يعلن على رؤوس الأشهاد توجّهه إلى العراق إلاَّ قبيل رحيله، ولم يكن ليصرّح بذلك في أيامه الأولى التي دخل فيها مكّة..

فربما يقال: إنَّ هذا التوقيت لا ينسجم مع مجريات الأحداث، فيكون ثغرة تمنع من اعتماد هذه النصوص مع ما امتازت به من تقدّم على سائر المؤرّخين إذا لحظنا ابن سعد! ويمكن أن يجاب:

الجواب الأوّل: اعتماد مجريات الأحداث

إنَّ القرد المجدور إنّما أخبر نغلهم بما سيقع، لأنّه قدّر من خلال ما

وصلته من الكتب والأنباء من مكاتبة أهل الكوفة لسيد الشهداء عليه السلام منذ زمن معاوية بعد شهادة الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، ومكاتبتهم له عليه السلام بعد هلاك القرد المترهل ومحاصرة سيد الشهداء عليه السلام في المدينة وخروجه إلى مكة، وهو يعلم أنه قد أخذ عليه أقطار الأرض وآفاق السماء، فليس له إلا أن يتوجه إليهم، وهذا ما تؤكده الشواهد والمعطيات يومذاك، فبادر إلى تكليف ابن الأمة الفاجرة بالمهمة الأصلية التي ألهاها عليه، وهي قتل ریحانة النبي صلى الله عليه وآله ونسل أمير المؤمنين علي عليه السلام..

غير أن هذا التوجيه مع ما فيه من قرب وقوة يبقى لا ينسجم مع فعلية تعبير القرد المجذور «وأنه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم^(١)»، «إن الحسين قد توجه إلى العراق^(٢)»، وتأكيده بتحقيق ذلك «قد».

إلا أن يقال: إنه إنما استخدم هذا النمط من التأكيد والإخبار بالتحقق ليفيد حتمية الخروج وإن لم يتحقق في الخارج، وهو بعيد، ويصعب إفادته من ظاهر السياق. ويشهد لهذه الصعوبة تعبير البلاذري والبلخي والذهبي التي تؤكد أن ابن زياد سمع بخروج سيد الشهداء عليه السلام وهو في البصرة.

(١) تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٢) الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي: ٣٦.

الجواب الثاني: الكتابة إليه وهو في الكوفة

يمكن أن نصوّر الكتاب لمرحلة متأخرة، كأن يكون قد كتبه إليه وهو في الكوفة بعد شهادة المولى الغريب عليه السلام، وهذا الفرض عصيٌّ على الانسجام مع النصوص، وذلك لما تضمن من حثّه للإسراع إلى الكوفة والطيران نحوها بجناحين! وتصريح بعضها أنّه قد سمع بجبر خروج سيّد الشهداء عليه السلام من مكّة وهو في البصرة.

الجواب الثالث: إرسال كتابين

إنّ التأمل في النصوص وإمعان النظر فيها بعد رصفها جنباً إلى جنب يقوّي في النظراحتماً يكاد يفرض نفسه فرضاً، ويتلخّص الكلام فيه، بأن يقال:

يظهر من المؤرّخين أنّهم خلطوا بين كتابين أرسلهما القرد المجدور إلى جروه المسعور، أحدهما الكتاب الذي يستنهضه فيه ليطير بجناحين من البصرة إلى الكوفة ويكفيه أمرها ويقتل المولى الغريب عليه السلام، والآخر الكتاب الذي أرسله إليه بعد أن بعث ابنُ الأُمّة الفاجرة رأس المولى الغريب عليه السلام ورؤوس أصحابه إليه، فكتب إليه يشكره ويوصّيه ويصدر له الأوامر للاستعداد والقيام بما يلزم لمواجهة سيّد الشهداء عليه السلام، وقد أتينا على ذكرها وتفصيل الكلام فيها في كتابنا مسلم بن عقيل وقائع

الشهادة (١).

وربما شهد لهذا الفرض بعض التعابير من قبيل قول ابن سعد:

«فكتب إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان! وهو على

البصرة، فضمّ إليه الكوفة، وكتب إليه بإقبال الحسين إليها،

فإن كان لك جناحان، فطرحني تسبق إليها» (٢) ..

فهو يذكر أنه قد كتب له بضمّ الكوفة إليه وهو في البصرة، ويذكر

بعد ذلك أنه كتب إليه بإقبال سيّد الشهداء الحسين عليه السلام إليها، وكذا

يمكن الإفادة من تعبير ابن الجوزي ..

فإذا قبلنا هذا الاحتمال، وأقنعنا هذا الفرض، تكون هذه الطائفة

قد مزجت الكتابين ودجّت بين الفترتين، وخلطت بين المهمتين، مهمّة

الطيران إلى الكوفة بجناحين لقتل المولى الغريب عليه السلام ومهمّة قتل سيّد

الشهداء عليه السلام والقضاء على نسل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ويكون القرد

المجدور قد أصدر أوامره في الكتاب الثاني بعد حركة الركب الحسيني

الفتاح من مكّة متوجّهاً نحو الأرض الموعودة.

لكن يبقى ما قد يعارض الفرض ويضعف هذا الاحتمال، بل ربما

(١) انظر: مسلم بن عقيل وقائع الشهادة: ٤٠٦ وما بعدها.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر

ينفيه، لوجود تعبيرات عصيّة على القول بالدمج، كما سمعتها قبل قليل، سيّما تعبير البلاذري والذهبي والبلخي..
 وحينئذٍ يبقى هذا الإشكال مقاوماً ممعناً في تريض هذه الطائفة من النصوص، مانعاً من نهوضها، حاجباً لها من رسم صورة المشهد الحاكي لتلك الفترة، مع وروده في المصادر القديمة!

الموضوع الثاني: المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام

قال الدينوري:

«فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة، فيطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة حتّى يظفر به، فيقتله أو ينفيه عنها»^(١).

وقال الطبري، الشجري، المزي، ابن حجر:

«وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجدته»^(٢).

وقال الطبري:

«وكتب إليه معه: أمّا بعد، فإنّه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبروني أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩.

عصا المسلمين، فسرحين تقرأ كتابي هذا، حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام»^(١).

وقال ابن أعثم:

«قال: ثم كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن شيعتي من أهل الكوفة كتبوا إليّ، فخبروني أنّ مسلم بن عقيل يجمع الجموع، ويشقّ عصا المسلمين، وقد اجتمع عليه خلق كثير من شيعة أبي تراب، فإذا وصل إليك كتابي هذا، فسرحين تقرأه، حتى تقدم الكوفة، فتكفيني أمرها، فقد جعلتها زيادة في عملك، وضممتها إليك، فانظر أين تطلب مسلم بن عقيل بن أبي طالب بها، فاطلبه طلب الخرزة، فإذا ظفرت به، فاقتله، ونفذ إليّ رأسه، واعلم أنّه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك به، فالعجل العجل، والوحا الوحّا، والسلام»^(٢).

وقال ابن حبان:

«كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد وهو إذ ذاك

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠.

بالبصرة، وأمره بقتل مسلم بن عقيل، أو بعثه إليه»^(١).

وقال المفيد:

«وكتب إلى عبيدالله معه: أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة، يخبرونني أن ابن عقيل بها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقيل طلب الخزرة حتى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام»^(٢).

وقال المحلي:

«فكتب إليه برضاه وأنه قد ولّاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل، فيقتله إن وجده»^(٣).

وقال مسكويه:

«وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل، فيقتله»^(٤).

وقال الطبرسي:

«فقال يزيد: ابعث بعهد ابن زياد إليه، وكتب إليه: أن

(١) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩.

(٣) الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(٤) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

سرحون لا يقرأ كتابي هذا، حتى تأتي الكوفة، فتطلب ابن عقال طلب الخزة، حتى تثقفه، فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه، والسلام»^(١).

وقال ابن شهر آشوب:

«فكتب يزيد.. إلى عبيد الله بن زياد وهو والي البصرة، وولاه الكوفة مع البصرة، وأن يطلب مسلم بن عقال، فيقتله، أو ينفيه، فالعجل العجل»^(٢).

وقال ابن الجوزي:

«فولى الكوفة عبيد الله بن زياد إضافة إلى البصرة، وأمره أن يقتل مسلم بن عقال»^(٣).

وقال ابن الأثير، النويري: «فأمره بطلب مسلم بن عقال، وبقتله، أو نفيه»^(٤).

وقال الذهبي:

«فكتب إلى عبيد الله وهو على البصرة، فضم إليه الكوفة،

(١) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٩١ / ٤.

(٣) المنتظم لابن الجوزي: ٣٢٥ / ٥.

(٤) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

وقال له: إن كان لك جناحان فطري إلى الكوفة!

وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله بن زياد، فكتب إليه برضاه عنه، وأتته ولّاه الكوفة مضافاً إلى البصرة، وكتب إليه أن يقتل مسلماً»^(١).

وقال ابن كثير:

«وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد، وكان يريد أن يعزله عن البصرة، فولّاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره. ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة، فاطلب مسلم ابن عقيل، فإن قدرت عليه، فاقتله، أو انفنه»^(٢).

وقال ابن حجر، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: «فكتب إليه برضاه عنه. وأتته قد أضاف إليه الكوفة. وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل، فإن ظفربه، قتله»^(٣).

وقال تاج الدين العاملي:

«فأرسل إلى عبيد الله بن زياد، وكان والياً على البصرة، يأمره

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، ٢٠٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٣) الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤

بالمضي إلى الكوفة، وببذل الجهد في قتل مسلم بن عقيـل» (١).

* * * * *

تضمّنت هذه الطائفة من النصوص جملة من النقاط:

النقطة الأولى: أن يطلب المولى الغريب عليه السلام

اتفقت جميعها على أمر القرد المجذور الصادر لجروه أن يلاحق المولى الغريب عليه السلام ويطلبه، وببذل جهده في ذلك وقد مثّل له ذلك بطلب الخزرة، إمعاناً في التفتيش، وربما كان هذا التعبير وأمثاله من كلمات المؤرخين والأمويين ألقى في الأذهان سابقة أدت إلى تكون صورة عن تحقّي المولى الغريب عليه السلام في الكوفة، وأنّه كان يفرّ من ممكن إلى ممكن ليتوارى عن عين ابن الأمة الفاجرة ويفلت من محالـبه، والجرو يلاحقه ويتتبّعه ويطلبه تماماً كما أمر القرد المجذور طلب الخزرة!!

لقد تبينّ لنا من خلال دراسـاتنا عن المولى الغريب عليه السلام أنّ الأمر ليس كما يصوّرهُ الأمويون، بل كان على العكس تماماً حيث كان زمام المبادرة بيد المولى الغريب عليه السلام دائماً منذ أن دخل الكوفة حتّى اللحظة الأخيرة قبيل أن ينعم برحيق الشهادة بين يدي المحبوب، ولم يكن

ليختفي من الجبان الرعديد في أيّ موقف، ولا مشهد من مشاهده التي بقيت مفخراً لكلّ شجاع أبي غيور مقدام.. وقد سارت بحديثه الركبان وسامرت به المخدّرات في خدورهنّ، ودخل عليه ثمانية عشر ألفاً يبايعونه في غير موضع من الكوفة.

النقطة الثانية: التعامل مع المولى الغريب عليه السلام

أصدر القرد المجذور أمراً اتّخذ في النصوص عدّة صور:

الصورة الأولى: قتل المولى الغريب عليه السلام أو نفيه عن الكوفة^(١)، وجاء في لفظٍ اشتراط القدرة عليه^(٢).

الصورة الثانية: قتله إن وجده^(٣)، وجاء في لفظٍ اشتراط الظفر به لقتله^(٤).

(١) انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٣، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١،

الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٨.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي:

٦ / ٤٢٣، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الحقائق الوردية للمحلي: ١ /

١١٥.

(٤) الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران في ما استدركه على ابن عساكر: ٤

/ ٣٣٦.

الصورة الثالثة: أن يوثقه أو يقتله أو ينفيه ^(١).

الصورة الرابعة: قتله إن ظفربه وإنفاذ رأسه إلى القرد المجذور ^(٢).

الصورة الخامسة: قتل المولى الغريب عليه السلام أو بعثه إلى القرد

المجذور ^(٣).

الصورة السادسة: أمره بقتل المولى الغريب عليه السلام مطلقاً ^(٤)، وجاء في

لفظٍ ببذل الجهد في قتله ^(٥).

وكيف كان فإنّ هذه المصادر اتّفقت على طلب المولى الغريب عليه السلام

وقتله، وجعلت لابن زياد خيارات أخرى سوى القتل وفق بعضها من

قبيل نفيه، وأمرت أخرى بترحيل المولى الغريب عليه السلام إلى القرد المجذور،

أو إنفاذ رأسه المقدّس إليه ..

فالمولى الغريب عليه السلام هو الطلبة الأولى من دخول ابن الأئمة الفاجرة

إلى الكوفة، ويترتب على هذه النتيجة المهمّة أمور كثيرة أتينا على ذكرها

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٣٩، إعلام الوری للطبرسي:

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠.

(٣) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

(٤) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، سير أعلام

النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، ٢٠٦.

(٥) التمتّة لتاج الدين العاملي: ٧٨.

والاستفادة منها في غير موضع من دراساتها عن المولى الغريب عليه السلام.
ويضاف هنا أنَّ ما فعله الجرو ابن زياد من إرسال الرأس المقدس
ورأس هاني وغيرهما إلى نغل معاوية لم يكن اعتباطاً، وإنما كان بأمر من
يزيد الخمو ر نفسه (١).

النقطة الثالثة: مزاعم شيعة القرو د

روى الطبري وابن أعثم أنَّ يزيد الكفر والفسوق كتب إلى ابن زياد
أنه تلقى من شيعته في الكوفة كتباً تخبره أنَّ المولى الغريب عليه السلام يجمع
الجموع وعلل ذلك بأنه يريد شق عصا المسلمين!! وقد اجتمع عليه
خلق كثير من شيعة أبي تراب! لذا انتدبه إلى الكوفة ليأتي أهلها
ويكفيه أمرها (٢)..

هكذا هو دأب القرو د وساستهم الذين سلطوهم على رقاب الناس،
كانوا ولا زالوا يقلّبون الموازين، فيدعون الدعوة إلى إمام الهدى ونور الله
- الذي لا يطفأ والعروة الوثقى والشجرة الطيبة الثابت أصلها وفرعها في
السماء - شقاً لعصا المسلمين، والتعلّق بذيول القرو د والضباع والثعالب

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠، وانظر لزيادة التفصيل في بعث الرأس
المقدس إلى الشام كتاب «مسلم بن عقيل وقائع الشهادة»، للمؤلف.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٦، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٠، الإرشاد للمفيد: ٢ /

والكلاب والتمسك بأعواد الشجرة الملعونة في القرآن واللهاث في غابة
القرود المخمورة وحدة وتماسكاً بين أواصر المجتمع المتهزئ^(١)!!

النقطة الرابعة: خبث التعبير

سمعنا قبل قليل تعبير ابن سعد وغيره عن ابن زياد ونسبته إلى أبي
سفيان، وهنا طلع علينا ابن كثير بعبارة ترشح خبثاً مقيحاً وتجنّ
ودسيسة كالحة، فقال:

«وكان يزيد يبغض عبيد الله بن زياد، وكان يريد أن يعزله عن
البصرة، فولّاه البصرة والكوفة معاً لما يريده الله به وبغيره»^(٢).
فيزيد الآثم المجرم كان يبغض ابن زياد بحيث كان يريد أن يعزله
عن البصرة، وكان عازماً على إقصائه، بيد أنّ الله جعله يجمع له البصرة
والكوفة معاً لما يريده به وبغيره! فالله هو الذي أراد ما أراد لابن زياد
وانتدبه لهذه المهمة!! وهو الذي أراد لغيره، فما ليزيد من قدرة على
مخالفة إرادة الربّ ولا عليه أيّ تبعات، فالله هو الذي أراد قتل سيّد
الشهداء عليه السلام!!

(١) انظر للزيد كتاب «مسلم بن عقيل وقائع الشهادة» فصل المحاجة
والمناظرة بين ابن الأمة الفاجرة والمولى الغريب عليه السلام، وغيره من دراساتها عن
المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢.

إنّما شنشنة قديمة وخنخنة زقح بها أسيادهم، فتنصّلوا عن كلّ الجرائم ونسبوها إلى ساحة القدس الإلهي، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وتعتسأ وبؤساً للقوم المنكوسين المرتكسين في أحوال قيعان الرذيلة الأموية من أمثال هؤلاء المؤرّخين!

الموضوع الثالث:

سيّد الشهداء والمولى الغريب مسلم عليه السلام ووضع الكوفة

قال البلاذري:

«فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان بولاية الكوفة إلى ما كان يلي من البصرة ... وأمر عبيد الله بطلب ابن عقيل، ونفيه إذا ظفر به أو قتله، وأن يتيقّظ في أمر الحسين بن علي، ويكون على استعداد له»^(١).

وقال أيضاً البلاذري:

«وكتب إليه: أمّا بعد، فإنّ الممدوح مسبوب يوماً، وإنّ المسبوب ممدوح يوماً، وقد سمّي بك يوماً إلى غاية أنت فيها كما قال الأوّل:

رفعت فما زلت السحاب تفوقه فمالك إلّا مقعد الشمس مقعد»^(٢)

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٥ / ٤٠٧.

وقال القاضي النعمان:

«وولّى على الكوفة عبيد الله بن زياد، وأمره بقتل مسلم بن عقيل، وبأن يقطع على الحسين عليه السلام قبل أن يصل إلى الكوفة»^(١).

وقال السمهودي:

«فكتب إلى عبيد الله بن زياد ابن أبيه: قد ولّيتك الكوفة مع البصرة، وأنّ الحسين قد سار إلى الكوفة، فاحترز منه، واقتل مسلم بن عقيل ... وأمره أن يحبس على الظنّة ويأخذ على التهمة»^(٢).

وقال الخوارزمي:

«وكتب: من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن زياد، سلام عليك، أمّا بعد، فإنّ الممدوح مسبب يوماً، وإنّ المسبب ممدوح يوماً، ولك مالك، وعليك ما عليك، وقد انتهيت، ونيت إلى كلّ منصب، كما قال الأول: رفعت فما زلت السحاب تفوقه فما لك إلّا مقعد الشمس مقعد وقد ابتلي بالحسين زمانك من بين الأزمان، وابتلي به بلدك

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧.

(٢) جواهر العقدين للسمهودي: ٤٠٧.

من بين البلدان، وابتليت به بين العمّال، وفي هذه تعتق أو تكون عبداً تعبداً كما تعبّد العبيد، وقد أخبرني شيعتي من أهل الكوفة أنّ مسلم بن عقيل بالكوفة، يجمع الجموع، ويشقّ عصا المسلمين، وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة أبي تراب، فإذا أتاك كتابي هذا، فسر حين تقرأه، حتّى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها، فقد ضممتها إليك، وجعلتها زيادة في عملك - وكان عبيد الله أمير البصرة -، وانظر أن تطلب مسلم ابن عقيل كطلب الحرد، فإذا ظفرت به، فخذ بيعته أو اقتله إن لم يبايع، واعلم أنّه لا عذر لك عندي، وما أمرتك به، فالعجل، العجل، والوحاء، الوحاء، والسلام»^(١).

وقال سبط ابن الجوزي:

«فكتب إليه أن قد وليتكم الكوفة مع البصرة، وأنّ الحسين قد سار إلى الكوفة، فاحترز منه، وأنّ مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله. فعزل النعمان وولى ابن زياد»^(٢).

وقال ابن طاووس:

«فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وكان والياً على البصرة،

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

بأنه قد ولّاه الكوفة، وضّمّها إليه، وعزّفه أمر مسلم بن عقيل، وأمر الحسين عليه السلام، ويشدّد عليه في تحصيل مسلم، وقتله رضي الله عنه» (١).

وفي مقتل أبي مخنف (المشهور):

«وأرسل إليه كتاباً ثانياً يقول فيه: من يزيد بن معاوية (لعه الله) إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فقد بلغني أنّ أهل الكوفة قد اجتمعوا على البيعة للحسين عليه السلام، وقد كتبت إليك كتاباً، فإنّي لا أجد سهماً أرمي به عدوّي أجراً منك، فإذا قرأت كتابي هذا، فارتحل من وقتك وساعتك، وإيّاك والتواني، واجتهد ولا تبق من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام أحداً، واطلب مسلم بن عقيل عليه السلام فاقتله، وابعث إليّ برأسه، والسلام» (٢).

* * * * *

تضمّنت النصوص المذكورة جملة من المحاور يمكن إجمالها بما يلي:

المحور الأول: جمعها الموضوعين الأولين

إنّ هذه الطائفة من النصوص تجمع الموضوعين الأول والثاني، وكان

(١) اللهوف لابن طاووس: ٣٨.

(٢) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

بالإمكان أن تقطع فتدرج حسب ما ورد فيها تحت أحد العنوانين، بيد أننا أفردناها تحت عنوان مستقل باعتبار أنها تختلف عن كلا العنوانين السابقين، من حيث الاجتماع.

فنصوص الموضوع الأول التي ذكرت سيّد الشهداء ؑ كموضوع محوري في الكتاب، لم تتعرض إلى ذكر مسلم بن عقيل ؑ بتاتاً، وكذا نصوص الموضوع الثاني لم تذكر سيّد الشهداء ؑ بتاتاً.

فيما جاءت هذه الطائفة من النصوص لتجمع بين الموضوعين كمحورين أساسيين تعرض لهما كتاب القرد المجدور، وكأتهما رسالتان جمعت في نص واحد!

المحور الثاني: ما يخص المولى الغريب ؑ

ذكر البلاذري تخيير ابن الأمة الفاجرة بين قتل المولى ؑ أو نفيه، وصرّح ابن أعثم تخيير المولى الغريب ؑ بين البيعة وبين القتل، واتفق الآخرون على الأمر بقتله. فهذه المجموعة كسابقتها تماماً فيما يتعلق بشأن المولى الغريب ؑ.

المحور الثالث: ما يتعلق بشأن سيّد الشهداء ؑ

لقد أخبر القرد المجدور في النصوص المذكورة بمسير سيّد

الشهداء عليه السلام إلى الكوفة وأمره أن يحتز منه ^(١)، وأن يتيقظ في أمره، ويكون على استعداد له ^(٢)، وأن يقطع على سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام قبل أن يصل إلى الكوفة ^(٣)..

وتواجهنا هنا في عبارة سبط ابن الجوزي نفس ما واجهنا في نصوص الموضوع الأول، إذ أنه يذكر بالتحقيق مسير سيد الشهداء عليه السلام إلى الكوفة، والحال أن سيد الشهداء عليه السلام انطلق نحو العراق بعد دخول ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة ويوم استشهاد المولى الغريب عليه السلام أو يوم ندائه بالشعار..

وكيف كان! فإن الأوامر الصارمة والتشديد والتأكيد على الاستعداد لسيد الشهداء عليه السلام كان محوراً مهماً لظالما ركز عليه القرد المجدور في مخاطباته، وقد أكد هنا على التيقظ ومنع سيد الشهداء عليه السلام من دخول الكوفة والوصول إليها، فبادر ابن الأمة الفاجرة فزرع الصحراء خيلاً ورجالاً، وقد نظمها طويلاً وعرضاً، وأحصى كل داخل وخارج إليها..

«وهذه الأوامر الصارمة تكشف عن أجواء الرعب التي خيمت على المنطقة الممتدة في الصحراء التي يتحرك فيها الركب الحسيني الفاتح،

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، ١٤٠.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٣) شرح الأخبار للقاضي النعمان: ٣ / ١٤٧.

وتنبؤ عن الارتجاج والزلازل الهائل الذي ضرب الكوفة وضواحيها ومخارجها وموالمجها، فالعيون حادة محدقة تحصي الأنفاس في جميع الأرجاء، وتمتد إلى أقصى الخصوصيات، وتخرق حريم العشائر والقبائل والدور والبيوت والقوافل، والحركة مرصودة ولو كانت ديبياً في رمال المفاوز والصحاري والفيافي والقفار، والمسالح والمناظر والمراسد مزروعة في كل اتجاه، والربايا تجعل الطرق تحت الإشراف المباشر لملاحقات العساكر.. العساكر التي كانت تجوب الصحراء تبحث عن الصيد السماوي الأعظم.. المتعطشة للولوغ في الدماء الزاكية.. المتألبة على انتهاك حرم الله وحرم رسوله.. وقد أعدت مخالبها وأنيابها لتقطيع أوصال العترة الطاهرة.. واشتد ولعها وتجييش توخسها لاستخراج العلة من جوف سيد الشهداء عليه السلام» (١) ..

المحور الرابع: ما يتعلق بالكوفة وأهلها

أمر القرد المجدور جرّوه المسعور أن يقدم إلى الكوفة فيكفيه أمرها (٢)، وأن يحبس على الظنّة ويأخذ على التهمة (٣)، ف«أطلقت الوحوش الكاسرة على كل ما هبّ ودبّ في الكوفة لتكون مجرد التهمة

(١) انظر: مسلم بن عقيل وقائع الشهادة، للمؤلف: ٤١٩.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٨.

(٣) جواهر العقدين للسمهودي: ٤٠٧.

كافية لاستباحة الحرم، والظنة موجبة لسفك الدم..

لقد التهبّت شوارع الكوفة وأزقتها وانتشرت النار إلى أطرافها وأكنافها والمنازل والطرق المؤدية إليها.. واستسلم الناس فيها للطاغية حينما استخفّهم فأطاعوه.. فازدحمت المناهج والسكك بالرجال يتكالبون على التقرب إلى ابن الأمة الفاجرة، فارتفع الضجيج وتعالى الصخب وانبثّت الضوضاء تلقّ الأجواء وتدوّي في الأرجاء، وتداخلت أصوات قعقعة السلاح وصهيل الخيل ودبك حوافرها وسنابكها، وأزيز شحذ السيوف وبري الرماح وقدح النبال وزعقات الرجال يخطبون الأرض ويشيرون رمال الفيافي والصحراء يستعدّون لارتكاب الجريمة العظمى» (١) ..

فأغضبت الله في قتله وأرضت بذلك شيطانها
عشيّة أنقضها بغيها فجاءته تركب طغيانها
بجمع من الأرض سدّ الفروج وغطّى النجود وغيطانها (٢)

* * * * *

خلاصة ما ورد في الكتاب على العموم

تضمّن الكتاب جملة من الموارد اشتركت فيها النصوص، وسنأتي

(١) انظر: مسلم بن عقيل وقائع الشهادة، للمؤلف: ٤١٩.

(٢) من قصيدة للسيد حيدر الحلي رحمته الله.

على ذكرها مفهرسة، وسندخل فيها شيئاً مما ذكرناه آنفاً ليكون تلخيصاً لما سبق:

أولاً: ضمّ الكوفة إلى البصرة وتولية الجرو المسعود عليهما معاً، وربما فعل ذلك لتبقى يد الجرو المتوحّش مفتوحة في البصرة، ويبقى اسمه المرعب يهدّد كلّ من يفكر بإحداث بلبلة هناك.

ثانياً: الاستعجال والمبادرة وأن يطير بجناحين إلى الكوفة، ليسابق الزمن قبل أن يستفحل الأمر ويدخلها سيّد الشهداء عليه السلام.

ثالثاً: تهديد ابن زياد بالتنفيذ أو العودة إلى العبوديّة ودائرة أبناء الزنا، فيعبّد كما تعبّد العبيد وينسب إلى أمّه ويعاد إلى حارة البغايا، ويبدو أنّ هذا البند بالخصوص دخل من الكتاب الذي أرسله بعد بعث الرؤوس المقدّسة.

وكيف كان! «فربما كان هذا في ذيل تلك الأوامر الصادرة من ابن آكلة الأكباد ليذكره بماضيه ويحسّسه بمزايا الوضع الذي هو يعيشه الآن، ويجعل له حافزاً إضافياً في قتاله مع سيّد الشهداء عليه السلام.. فالقضية لا تتوقّف بعدئذٍ عند أحقاد ابن زياد وحوافزه الخاصّة ومنطلقاته وعقائده الأصليّة.. وإنما تحوّلت إلى وجود أو عدم.. أن يكون أو لا يكون.. سلطنة وتفرعن، وإمارة وحظوة، وعود خاصّ يتميّز به من فروع الشجرة الملعونة، وحشرمع قرودها المتدلّية من أغصانها في المجحيم.. أو عبوديّة

ورقيّة وطرّد من حظيرة القروء!!

ومن هنا يمكن أن تلوح أحقاد يزيد واستعجاله في قتل سيّد الشهداء عليه السلام وتربّصه ليوم الثأر، وشدّة نهمه لشرب الدماء الزواكي والتشقي، واستنهاض المشايخ الذين أطاح رؤوسهم أمير المؤمنين في بدر^(١)...

رابعاً: كتب إليه برضاه عنه، ومدح ابن زياد، وتحريضه للقيام بهذه المهمة المشؤومة.

خامساً: أخبره أنّ شيعته من أهل الكوفة كتبوا إليه أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين!

سادساً: إخباره أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد خرج من مكّة متوجّهاً إلى الكوفة بعد أن كاتبه أهلها.

سابعاً: أخبره أنّ هذا اختبار خاصّ للجرو الأمويّ وأنّ بلده قد ابتلي من بين البلدان وزمانه من بين الأزمان...

ثامناً: الأمر بقتل المولى الغريب عليه السلام وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأن لا يبقى أحداً من نسل علي عليه السلام.

تاسعاً: القبض على مسلم عليه السلام ليقتل، أو يُحمل إلى يزيد المتوحّش، أو يُنفي أو يوثق، أو يخير بين البيعة للقرد أو القتل.

(١) انظر: مسلم بن عقيل وقائع الشهادة: ٤٢٠.

عاشراً: الاحتراس والحذر، ووضع المناظر والمسالح، ومراقبة كل متحرّك داخل أو خارج الكوفة، ومسح الصحراء.

الحادي عشر: الحبس على الظنّة والأخذ على التهمة.

الثاني عشر: أن يقطع على سيّد الشهداء ؑ ويمنعه من دخول الكوفة.

الثالث عشر: أن يتيقّظ في أمر سيّد الشهداء ؑ ويكون له على استعداد.

الرابع عشر: الحذر من أن يفوته سيّد الشهداء ؑ.

تاريخ كتابة العهد

حدّد تاريخ كتابة العهد في كتاب المقتل لأبي مخنف المشهور المتداول، فقال:

«كتب هذا العهد في شهر ذي الحجة سنة ستين من الهجرة،

وهي السنة التي قتل فيها الحسين ؑ»^(١)...

وبهذا حدّد لنا الشهر والسنة فقط..

فإذا كان الكتاب قد كتب في شهر ذي الحجة، فيلزم أن نطرح من

شهر ذي الحجة، المسافة الزمنية الفاصلة بين كتابته، وحمله من الشام

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٢.

إلى البصرة، ثمّ الفترة الزمنية التي قطع بها الجرو المسعور المسافة بين البصرة إلى الكوفة..

وفيد أنّ دخول ابن زياد إلى الكوفة لم يكن قبل شهر ذي الحجة، وأنّ كلّ ما جرى من أحداث بين المولى الغريب عليه السلام وبين الجرو المسعور كانت في أقلّ من أسبوع! بل ربما حصرت في يوم أو يومين على أقصى التقادير! إن أمكن ذلك، وهو غير ممكن في الحسابات العادية، بعد ملاحظة المسافة بين الشام والبصرة!

وقد أفاد ابن سعد واليعقوبي ^(١) وغيرهما - كما سمعنا قبل قليل تحت عنوان «الموضوع الأول» في محتويات كتاب القرد المجذور إلى ابن زياد - أنّ نغل معاوية كتب إلى جروّه أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد خرج من مكّة متوجّهاً إلى الكوفة!

وأفاد المسعودي أنّه لما اتّصل خبر خروج سيّد الشهداء عليه السلام من مكّة إلى الكوفة بيزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة ^(٢)! ومما لا خلاف فيه أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان قد تحرّك من مكّة منطلقاً إلى الأرض الموعودة في شهر ذي الحجة، بغضّ النظر عن الاتفاق على خروجه يوم شهادة المولى الغريب عليه السلام أو يوم ندائه

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

بالشعار.

والألفاظ كما تلاحظ تفيد تحقّق الخروج، وتكاد تأبى الحمل على استخدام لفظ التحقّق للتعبير عن العزم المجازم.

إلا أن يقال كما ذكرنا ثمة: إنّ المؤرّخين قد دمجوا بين كتابي يزيد، كتاب التولية وكتاب الردّ على فعلة ابن الأمة الفاجرة بعد شهادة المولى الغريب عليه السلام، وهو ما يكاد يأباه سياقها.

فإذا قلنا بالدمج، يبقى التصريح الوارد في المقتل المشهور على شهر ذي الحجة متفرداً لا شاهد عليه، وربما يقال: إنّ ما تفرد به هذا الكتاب ولم تنهض به الشواهد لا يعتدّ به.. والله العالم!

خروج ابن الأمة الفاجرة من البصرة

لقد خرج ابن الأمة الفاجرة عُبِيد القُرُود من البصرة مسرعاً مغذاً،
وطار بجناحين طاعة ولهفة، وكأني به استقرض معهما جناحين آخرين
سروراً وفرحاً امتثالاً لأمر سيده وسائسه يزيد القُرود، وشوقاً وشهوة ليملاً
بآل النبي ﷺ وسادات البشرية أكراشاً سغباً وأجربة جوفاً، وليشفي
أحقاداً قديمة وأضغاناً دفينه، وليتشقى من ثارات لجراح عميقة لا
تتداوى إلا بالشماتة بالنبي وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما
أجمعين.

ونحن لا نروم هنا استقصاء الحدث ومتابعته بتفاصيله، وإنما نتناول
منه ما له علاقة مباشرة بشكل أو آخر بدخول المولى الغريب ﷺ إلى
الكوفة وتشرفها بأقدامه.

متى خرج ابن زياد من البصرة؟

لا يتسنى تحديد تاريخ خروج الجرو المسعور من البصرة بالضبط، لكن يمكن أن نعرف أنه كان بعد أن دفع إليه مسلم الباهلي الكتاب والعهد مباشرة، وفق تعبير مثل الشيخ ابن شهرآشوب: «فلما وصل المنشور إلى ابن زياد، قصد الكوفة^(١)»، والسيد ابن طاووس: «فتأهب عبيد الله للمسير إلى الكوفة^(٢)»، وكذا في مقتل المشهور فرج التأهب للمسير على أخذ الكتاب^(٣).

وصرح جملة من المؤرخين منهم الطبري وابن أعثم والمفيد والفتال وغيرهم أن ابن زياد أمر بالجهاز والتهيؤ من وقته حين أخذ الكتاب وقرأه، ليزر من الغد ويسير إلى الكوفة^(٤).

فإذا فهمنا من قولهم «الغد» اليوم الذي يلي اليوم الذي استلم فيه الكتاب، فهو لم يبت سوى ليلته تلك في البصرة، ثم خرج مسرعاً إلى

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٩١ / ٤.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ٣٨.

(٣) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٣.

(٤) انظر تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٧، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٢، الإرشاد للمفيد: ٢

/ ٤٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٧، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، روضة الواعظين

للفتال: ١٤٩، إعلام الوری للطبرسي: ٣٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ /

١٩٩، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

الكوفة امتثالاً لأمر سائسه المخمور..

وقد صرّح بذلك السيّد ابن طاووس وابن نما قالاً:

«ثمّ بات تلك الليلة، فلمّا أصبح استناب عليهم أخاه عثمان

ابن زياد، وأسرع هو إلى قصد الكوفة» (١).

عدد من أخرجهم معه

يمكن تقسيم النصوص التي أشارت إلى عدد من أخرجهم الجرو

المسعود معه من البصرة إلى الكوفة إلى عدّة أعداد:

العدد الأوّل: فاقد للتحديد

نعني بالفاقد للتحديد أنّه لم يتضمّن أيّ عدد يمكن الارتكان إليه

واحتسابه، وإنّما يذكر بعض الأسماء أو العناوين العامّة من قبيل الحشم والغلمان.

القسم الأوّل: ذكر بعض الأسماء

اقتصرت بعض المصادر على التصريح ببعض الأسماء وأغفلت

الحديث عن غير ما صرّحوا به، من قبيل الدينوري الذي قال: «وخرج

(١) اللهوف لابن طاووس: ٤٤، مثير الأحزان لابن نما: ١٣، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٩،

العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩.

معه من أشرف أهل البصرة، شريك والمنذر»^(١)، وأضاف الخوارزمي «مسلم الباهلي»^(٢)، وأفرد ابن كثير الباهلي بالنص على اسمه دون غيره^(٣).

ومن الواضح بجلاء أنه لم يخرج مع الفرد أو الفردين أو الثلاثة، الذين صرحوا بأسمائهم، إذ أن طبيعة سفر مثل هؤلاء الطواغيت الجبناء أن يخرجوا بخدم وحشم وحماية وحرس، بيد أن هؤلاء المؤرخين اقتصروا على ذكر الشخصيات المعروفة، وتركوا الإشارة إلى التوابع اعتماداً على المقتضيات.

وهذا لا تتعارض أخبار هذا القسم مع ما سنسمعه فيما يلي من أخبار القسم الثاني.

القسم الثاني: ذكر الأسماء والعنوان العام

أضافت مصادر هذا القسم - إلى الأسماء الثلاثة المذكورة آنفاً - بعض العناوين الأخرى التي تشمل جملة من الراحلين مع ابن الأمة الفاجرة من غير تحديد لعددهم، من قبيل عنوان «حشمه

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢ - ١٥٣، ١٥٨.

وغلماناه»^(١)، الذي ذكره البلاذري، و«حشمه وأهل بيته، أو أهله»^(٢)، الذي ذكره الطبري وابن أعثم وبعض من تلاهما.

وفي تعبير المقتل المشهور لأبي مخنف غرابية مليحة، إذ يقول: «ومعه عشيرته!! ومواليه وأشراف أهل البصرة»^(٣)،... خروج الموالي معه طبيعي، وللمولى أن يخرج من يشاء من مواليه حسب حاجته إليهم، ويمكن أن نفهم خروج أشراف أهل البصرة أنه تعبير عن بعضهم، سيما وأنه صرح ببعض الأسماء.

أما خروج عشيرته معه، فلا نعرف له معنى؟! أيّ عشيرة يعني؟ وهو سليل الفواحش، ووليد خيام الدعارة؟ فليذكر لنا التاريخ له عمّاً أو خالاً، أو جدّاً؟ ربما أعاننا على معرفة عشيرته؟! إلا أن يكون أولاد الزنا كلّهم عشيرة واحدة ينتمي إليهم كلّ نغل في شرق الأرض وغربها!!! وكيف كان! فإنّ هذا القسم أيضاً لا يحتوي على عدد محدّد يمكن الارتكان إليه والاعتماد عليه لنعرف من خلاله حجم ركب الشؤم واللؤم

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٧،

٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، ١٩٠، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، إعلام

الورى للطبرسي: ٢٢٤، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج:

٦٣، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

(٣) مقتل أبي مخنف (مشهور): ٢٤.

المنطلق إلى الكوفة للصدّ عن سبيل الله ومحاربة أوليائه وارتكاب الجريمة العظمى وفجع الكائنات بالجناية الكبرى.

العدد الثاني: فيه تحديد

ذكرت هذه الطائفة من المصادر رقمين:

الرقم الأول: اثنا عشر رجلاً

الرقم الأول هو ما ذكره البلاذري في إحدى رواياته، وتبعه الذهبي في رواية عن جرير بن حازم، وأنه خرج على بغاله هو واثنا عشر رجلاً حتى قدم الكوفة ^(١).

وهذا الرقم لا يكاد يصدّق، إلا أن يقال: المقصود بالرجل هنا هم الرؤوس والشخصيات ومن يعبر عنهم المؤرّخ بالوجوه والأشراف، وقد أغفل ذكر الحشم والخدم والحرس ومن كان على شاكلتهم. وفيه شيء من الغرابة من حيث خروجه على البغال..

أجل! ربما كان قد فعل ذلك واختزل الأفراد الخارجين معه بناءً على هذا الخبر، وخرج على البغال ليتنكّر في الطريق أيضاً، ويخرج في هيئة أعرابي لا يلفت النظر، لأغراض أمنية ودوافع الجبن والخوف

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ /

وغيرها.

الرقم الثاني: خمسمائة من أهل البصرة

من بين كل المصادر التي مرّ ذكرها انفرد الطبري في إحدى رواياته - حسب الفحص - بذكر عدد الخمسمائة، وعرفهم أنهم منتخبون اختارهم الجرو المسعور من أهل البصرة، وصرّح بأسماء بعضهم.

قال الطبري:

«وأمّا عيسى بن يزيد الكنانى فإنه قال - فيما ذكر عمر بن شبة، عن هارون بن مسلم، عن علي بن صالح، عنه - قال: لما جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد، انتخب من أهل البصرة خمسمائة، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل، وشريك ابن الأعور»^(١)...

ثمّ ذكر هذا العدد من بعده ابن الأثير والنويري بعد أن ذكر عبارة تنتمي إلى القسم الثاني من العدد الأول، أي أنّهما لم يحدّدا العدد وذكرّا الحشم وأهل بيت الجرو المسعور، ثمّ أرسلّا على نحو الـ«قيل» ما ذكره الطبري بعنوان: «وأمّا عيسى بن يزيد الكنانى فإنه قال»، فقالا: «وقيل: كان معه خمسمائة»^(٢).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

وكأنَّ عبارة الطبري أيضاً عند نقله للخبر مسنداً يشمُّ منها رائحة
ال«قيل»، أيضاً.

الحاصل:

إنَّ أعلى الأرقام المذكورة فيمن خرج مع الجرو المسعور هو الرقم
الذي انفرد به الطبري وامتاز عن سبقه، أمّا من لحقه من قبيل ابن
الأثير والنويري، فإنَّهما قدّما شيئاً آخر ثمَّ نقلّا على عهدة ال«قيل» رقم
الخمسائة من دون تحديد لهويّتهم، كما فعل الطبري إذ حدّدهم أنَّهم
من أهل البصرة.

ولقد اكتفى الطبري بهذا التحديد العامَّ لهويّتهم، ولاندري من أين
استفادوا «أنَّه صحب من أبطال الجند المدرب خمسائة فارساً»، وأنَّه
«سار ابن زياد بسرعة فائقة، ومعه حرّاس أقوياء وجيش بكامل
عدّته»^(١).

والحال أنَّ الجمع بين قول من تقدّم الطبري من قبيل البلاذري^(٢)
الذي حصر العدد باثني عشر رجلاً، وبين قول الطبري يحتاج إلى مؤونة
وتحرّي، فكيف يعدّ عدد «الخمسائة» المرسل كقول بين الأقوال حتّى

(١) مع الحسين في نهضته لأسد حيدر: ٩١.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ /

عند مَنْ رواه، جيشاً كامل العدة؟!

ثمَّ هل يعدّ هذا العدد جيشاً كافياً للإقدام على أرض مسبعة
تتربّص بالجرو وأذنا به، وقد تزايد عددهم وبلغ ثمانية عشر ألفاً أو
يزيدون كما يروون؟!

وفيه من هوشية لا يركن إليه ابن الأمة الفاجرة، ومن هوفي
عداد الموالي والخدم والحشم والحرس الشخصي وغيرهم؟!

والجميل في القصة أنّ المؤلّف - رحمه الله وحشره مع سيّد
الشهداء (عليه السلام) - نفسه يستمرّ في حديثه فيقول: «فسار (يعني الجرو
المسعود) بسرعة هائلة، عجز عن مسايرته أصحابه، ولم يلحقه إلا مولى
من مواليه اسمه: مهران، وقد أعياه النصب في القادسية، فقال ابن زياد:
يا مهران على هذه الحالة، إن أمسكت حتّى تنظر إلى القصر، فلك مائة
ألف، قال: لا والله ما أستطيع، وتأخّر مهران، وسار ابن زياد بمفرده حتّى
دخل الكوفة»^(١)!!

ولاندرى كيف انطلق ابن الأمة الفاجرة بهذه السرعة المذهلة التي
أعيت الجميع، وهو حسب ما رواه البلاذري والذهبي قد خرج على
بغاله^(٢)، ولم ينصّ غيرهما على وسيلته التي امتطّاها.

(١) مع الحسين في نهضته لأسد حيدر: ٩١.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ /
←

أجل! ربما يقال: إنّ هذه السرعة معهودة في القروء وجرائها!!
وما يصنع باصطحاب «أبطال الجند المدرّب» وقد دخل الكوفة
مفرداً؟!

أَسْمَاء مَن أَخْرَجَهُمْ مَعَهُ

يمكن حصر الأسماء والعناوين الواردة في المصادر التي تعرّضت
لذلك فيما يلي:

الأوّل: المنذر بن الجارود

المنذر بن الجارود العبدي، ذكره البلاذري والدينوري وابن أعثم،
ومن تلاهم ^(١).

والمنذر هذا، غير معدود في الصحابة، ولا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولا
ولد له في أيامه، وكان تائهاً معجباً بنفسه ^(٢)، وصفه أمير المؤمنين عليه السلام
قائلاً:

٣٤٤.

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، الأخبار الطوال
للبلاذري: ٢٣٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، الفتوح لابن أعثم: ٥
/ ٦٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، مقتل أبي مخنف (مشهور): ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨ / ٥٧.

«إِنَّهُ لَنَظَّارٍ فِي عَظْفِيهِ، مَخْتَالٍ فِي بَرْدِيهِ، تَقَالُ فِي شِرَاكِيهِ» (١).

كتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما خان في بعض ما ولّاه من أعماله:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صِلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رَقِيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدَلُّ لِهَوَاكَ، وَلَا تَبْقِي لِآخِرَتِكَ عِتَادًا.

أَتَعْمَرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ؟! وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ؟! وَلَوْ أَنَّكَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجُمِلَ أَهْلُكَ وَشَسِعَ نَعْلُكَ خَيْرَ مَنْكَ، مِنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ يَسَدُّ بِهِ ثَغْرًا أَوْ يَنْقِذُ بِهِ أَمْرًا أَوْ يَعْلَى لَهُ قَدْرًا أَوْ يَشْرِكُ فِي أَمَانَةٍ أَوْ يُؤْمِنُ عَلَى خِيَانَةٍ (جَبَابَةٌ - خَل) فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٢).

وكان الإمام قد ولّاه فارساً فاحتاز مالا من الخراج، وكان المال أربعمئة ألف درهم، فحبسه أمير المؤمنين عليه السلام (٣).

وكان ممن وصله كتاب سيّد الشهداء عليه السلام فجاء بالكتاب والرسول

(١) نهج البلاغة: ٤٦٢ ك ٧١.

(٢) نهج البلاغة: ٤٦٢ ك ٧١.

(٣) انظر: بحار الأنوار: ٣٤ / ٣٢٣.

إلى عبيد الله بن زياد، فأخذ ابن الأئمة الفاجرة الرسول فصلبه وقتله، وكانت بحرّية بنت المنذر تحت الجرو المسعور^(١).

وقد دأب المؤرّخ أن يغذّي المتلقّي سابقة ذهنية، يحلّل التاريخ ويفهم المواقف من خلالها، وفعل هنا أيضاً هذه الفعلية، فقال: إنّ المنذر إنّما فعل ذلك برسول ريحانة النبي صلّى الله عليه وآله تحسباً لئلا يكون دسيساً من ابن زياد!

والظاهر من عبارات المؤرّخ أنّه قد فسّر موقف المنذر بذلك، ولم ينقله عن المنذر نفسه، كما هو واضح لمن تابع عباراته، وما يمنع أن يكون قد فعل ذلك من ذات نفسه من دون أيّ توجّس ولا خوف، وإنّما فعله حرصاً على صهره وخوفاً على دنياه، وتوغّلاً في الجناية وارتكاساً في الرذيلة المتوائمة مع تاريخه الفاضح، ولو كان قد توجّس واحتمل أن يكون دسيساً لابن زياد، وكان يتمتّع بأدنى أخلاقيّات البشر وروح الإنسان، لطرده وردّه ونهره وأبدى له صفحته، واتّخذ أيّ موقف يثبت براءته عند سائسه ولا يودي بحياة الرسول بشكل قطعيّ وجازم، ويجعل له منفذاً يمكن أن يفرّ منه أو يدفع عن نفسه ...

وكيف كان! فإنّ موقع المنذر وحيثيّاته كافية لتشخيص الرسول والمرسل وإيجاد المخرج له لئلا يتورّط بالدماء الزاكية، لولا خبثه وبيعه

(١) اللهوف لابن طاووس: ٤٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٩.

آخرتة بدنيا غيره!

الثاني: شريك بن الأعور

شريك بن الأعور الحارثي، نصّ عليه البلاذري والدينوري والطبري وابن أعمش، ومَنْ تبعهم^(١).

وشريك بن الأعور الحارثي الهمداني: مِنْ خواصّ أصحاب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، شهد معه الجمل وصفين، قويّ الإيمان، صلب اليقين، وكان رداءً لجارية بن قدامة السعدي في محاربة ابن الحضرمي بالبصرة، ولمعقل بن قيس الرياحي في محاربة الخوارج بالكوفة، وهو في ثلاثة آلاف مقاتل من أهل البصرة.

جاء من البصرة مع ابن زياد إلى الكوفة فرض فنزل دار هاني أياماً...

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٧، ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، ١٩٠، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩، مقتل أبي مخنف (مشهور): ٢٤.

ويستفاد من كلام المحدث القمي في تنمة المنتهى ^(١): أن هذا متّحد مع شريك بن أعور السلمي، وأنه مات قبل شهادة مسلم وهاني عليه السلام ودفن في الكوفة ^(٢).

وقال السيد الخوئي في معجم الرجال:

«شريك الأعور السلمي النخعي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، رجال الشيخ.

وعن ابن شهر آشوب وغيره: أن شريك بن الأعور دخل على معاوية، فقال له: والله إنا لك لشريك، وليس لله من شريك، وإنا لك لابن الأعور، والبصير خير من الأعور، وإنا لك لدميم، والحجيد خير من الدميم، فكيف سدت قومك؟!

فقال له شريك: إنا لك لمعاوية، وما معاوية إلا كلبة عوت واستعوت، وإنا لك لابن صخر، والسهل خير من الصخر، وإنا لك لابن حرب، والسلم خير من الحرب، وإنا لك لابن أمية وما أمية إلا أمة صغرت فاستصغرت، فكيف صرت أمير المؤمنين؟!

فغضب معاوية، فخرج شريك وهو يقول:
أيشتمني معاوية بن صخر وسيفي صارمٌ ومعِي لساني

(١) انظر: تنمة المنتهى للقمي: ١٦٧.

(٢) انظر: مستدركات علم رجال الحديث للنمازي: ٢٠٩ / ٤.

وحولي من ذوي يمن ليوث ضراغمة تهش إلى الطعان
فلا تبسط علينا يا ابن هند لسانك إن بلغت ذرى الأماني
وإن تك للشقاء لنا أميراً فإنا لا نقرّ على الهوان
وإن تك في أمية من ذراها فإنا في ذرى عبد المدان
أقول: إن شريكاً هذا هو ابن الأعور على ما عرفت، وعليه
فسقوط كلمة (الابن) في عبارة الشيخ من سهو القلم، أو من
غلط النساخ.

ثم إنه يظهر من بعضهم أنّ الأعور والد شريك اسمه الحارث،
ومن ثم يطلق على شريك: الحارثي، أحياناً^(١).

الثالث: مسلم بن عمرو الباهلي

مسلم بن عمرو الباهلي، ذكره البلاذري والطبري، ومن تلاهما^(٢).

(١) معجم رجال الحديث للخوئي: ١٠ / ٢٧ رقم ٥٧٢٣.

(٢) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٧، ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، ١٩٠، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٢-١٥٣، ١٥٨، مقتل أبي مخنف (مشهور): ٢٤.

أتينا على ترجمته وذكر بعض فضائحه وقبائحه تحت عنوان «حامل الكتاب».

الرابع: عبد الله بن الحارث

عبد الله بن الحارث بن نوفل، انفرد بذكره الطبري^(١).

في الطبقات لابن سعد:

«عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمّه هند بنت أبي سفيان

ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن

قصي»^(٢).

عده الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣)،

وأنفذه الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية^(٤)، وحبسه ابن زياد مع المختار

وميثم، وكانت للمختار معه كلمات^(٥).

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد: ٥ / ٢٤.

(٣) انظر: معجم رجال الحديث للخوئي: ١١ / ١٦٤ رقم ٦٧٨٧.

(٤) انظر: مستدرك علم رجال الحديث للنمازي: ٤ / ٥٠٨ رقم ٨١٧٨، بحار

الأنوار: ٤٤ / ٥٦.

(٥) انظر: مستدرك علم رجال الحديث للنمازي: ٤ / ٥٠٨ رقم ٨١٧٨، بحار

كانت أمه هند أخت معاوية ترقّصه وتسمّيه «ببة»، فاشتهر بهذا اللقب، ولّاه ابن الزبير على البصرة، ولما قامت فتنة ابن الأشعث، خرج إلى عمّان هارباً من الحجاج، فتوفّي فيها^(١).

ويحتمل أن يكون المراد من عبد الله بن الحارث بن نوفل، الهمداني^(٢) الذي استشهد في الكوفة.

قال الحائري:

«قال العسقلاني في الإصابة: هو عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن عمرو بن الحارث بن ربيعة بن بلال بن أنس بن سعد الهمداني»^(٣).

وقال المحلّاتي المعاصر في كتابه^(٤):

«عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عمرو بن ربيعة بن بلال ابن أنس بن سعد الهمداني»^(٥).

له إدراك، وشهد صفّين مع أمير المؤمنين علي بن أبي

الأنوار: ٤٥ / ٣٥٣.

(١) انظر: الأعلام للزركلي: ٤ / ٧٧.

(٢) انظر: تنقيح المقال للمامقاني: ٢-١ / ٢٣٨.

(٣) ذخيرة الدارين للحائري: ١ / ٢٨٥.

(٤) فرسان الهيجاء للمحلّاتي: ٢٣٧.

(٥) انظر: وسيلة الدارين للزنجاني: ١٦٧.

طالب عليه السلام ^(١)، قاله ابن الكلبي ^(٢)، وهكذا في الإصابة ^(٣).

بايع مسلم بن عقيل، وكان يأخذ البيعة من أهل الكوفة

للعسرين عليه السلام ^(٤).

وفي الطبري:

«أنَّ المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا

خرجا مع مسلم، خرج المختار براءة خضراء، وخرج عبد الله

براية حمراء، وعليه ثياب حمر، وجاء المختار برايته فركزها على

باب عمرو بن حريث، وقال: إنما خرجت لأمنع عمراً، وإنَّ ابن

الأشعث والققعاق بن شور وشبث بن ربعي قاتلوا مسلماً..

وإنَّ عبيد الله أمرأن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث،

وجعل فيهما جعلاً، فأتي بهما، فحبسا» ^(٥).

وقال ابن الأثير والنويري:

«وقيل: وكان فيمن خرج معه المختار بن أبي عبيد، وعبد الله

(١) انظر: تنقيح المقال للمامقاني: ٢-١ / ٢٣٨.

(٢) انظر: ذخيرة الدارين للحائري: ١ / ٢٨٥.

(٣) انظر: وسيلة الدارين للزنجاني: ١٦٧.

(٤) انظر: تنقيح المقال للمامقاني: ٢-١ / ٢٣٨.

(٥) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣١٨.

ابن الحارث بن نوفل، فطلبهما ابن زياد وحبسهما»^(١).

وقال ابن كثير:

«وسمع مسلم بن عقيل الخبر، فركب ونادى بشعاره: «يا منصور أمت»، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل ابن الحارث براية حمراء»^(٢)..

«ولمّا قتل مسلم، أحضره عبيد الله، فسأله: من أنت؟ فلم يتكلم، فقال: أنت الذي خرجت براية حمراء وركزتها على باب دار عمرو بن حريث وبايعت مسلماً، وكنت تأخذ البيعة من الناس للحسين عليه السلام؟ فسكت، فقال عبيد الله: انطلقوا به إلى قومه، فاضربوا عنقه.

قال: فانطلقوا به، فضربت عنقه رضي الله عنه»^(٣).

الخامس: حصين بن تميم

حصين بن تميم التميمي، انفرد بذكره السماوي رحمته الله، وقال:

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٧٥، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٤٠٤.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤-١٥٥.

(٣) ذخيرة الدارين للحائري: ١ / ٢٨٥، وسيلة الدارين للزنجاني: ١٦٨، وانظر:

تنقيح المقال للمامقاني: ٢٣٨.

«وكان صاحبه الذي يعتمد عليه»^(١).

يبدو أنه نفسه المعروف في كتب التاريخ بالحصين بن تميم من دون نسبة، وهو عليه لعائن الله من أركان عسكر السقيفة مجرمي التاريخ، وكان على شرطة ابن الأمة الفاجرة، وقد سلّطه على بيوت الكوفة ليستبرئها، وهو الذي كان يجوب الصحراء ملاحقاً الركب الفاتح، وهو الذي رمى سيّد الشهداء عليه السلام بسهم ... وفعاله الشنيعة تقطع القلب وتهزّ العرش وقد أتى ما لم تأتاه الوحوش الكاسرة، فلعنة الله عليه وعلى من استعمله.

السادس: مهران

مهران مولاه، ذكره الطبري فقطّ عندما أتى على من سقط في الطريق^(٢).

يبدو أنه كان حاجباً لزياد بن أبيه، الذي ذكره ابن خيَّاط^(٣).

السابع: الحشم والغلمان

الحشم^(١).. الغلمان^(٢)، هكذا قالوا من غير تفصيل في ذكر

(١) إِبصار العين للسماعي: ٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٩.

أسمائهم هنا، سوى مهران الذي جاء في لفظ الطبري عندما سقط في الطريق فاستحثه ابن الأمة الفاجرة واستنهضه فلم يطق الاستمرار معه رغم المجازة التي عيّنها له ..

بيد أنهم صرّحوا ببعض الأسماء من قبيل ذكوان ومعقل، ولاندرى ما إذا كانوا هؤلاء قد خرجوا معه من البصرة أو أنهم كانوا في الكوفة، أو أنه استخدمهم فيما بعد ...

الثامن: أهل بيت الجرو

أهل بيت الجرو^(٣)، هذا العنوان جاء عند الطبري وابن أعثم ومَن تأخّر عنهما، ولاندرى بالضبط من المقصود بأهل بيته، هل يعنون أزواجه وأولاده؟! أو من عبّر عنهم في المقتل المشهور بعشيرته؟! وكيف

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٧، ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، ١٩٠، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٤، مقاتل الطالبیین لأبي الفرج: ٦٣، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٧، ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٦، ١٩٠، روضة الواعظين للفتال: ١٤٩، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٤، مقاتل الطالبیین لأبي الفرج: ٦٣، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

كان! لابد أن لا يكونوا عدداً ضخماً يستأثر بالحصّة الكبيرة من «الخمسائة» الذين ذكرهم الطبري.

أحداث في الطريق

لا يخفى أن المصادر التي ذكرت حدثاً في الطريق من البصرة إلى الكوفة إنما هي المصادر التي ذكرت عدد الخمسائة، والعمدة فيها نصّ الطبري، حيث قال:

«فكان أول من سقط بالناس شريك، فيقال: إنه تساقط غمرة ومعه ناس، ثم سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوي عليهم عبيد الله، ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط ويمضي - حتى ورد القادسية، وسقط مهران مولاه، فقال: أيا مهران، على هذه الحال، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر، فلك مائة ألف. قال: لا، والله ما أستطيع»^(١).

وذكر في المقتل المشهور أن مالك بن مسمع اعتذر عند ابن زياد وشكى وجعاً في خصرته، وقال: إني لاحق بالأمير، ولم يذكر أحداً آخر

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، انظر أيضاً: الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية

قد تمارض وسقط^(١).

يمكن الإفادة من هذا النص:

الإفادة الأولى: مكان تمارض القوم

يفيد النص أنَّ القوم تساقطوا قبل القادسيّة، والقادسيّة قرية قرب الكوفة، من جهة البرّ، بينها^(٢) وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً^(٣)، وهي أوّل مرحلة لمن خرج من الكوفة إلى المدينة ومكّة، وهي قرية كبيرة فيها حدائق نخل ومشارع من الماء الفرات^(٤) على حافة البادية^(٥). فهي تبعد عن الكوفة بالحساب المعاصر زهاء تسعين كيلو متراً.

الإفادة الثانية: من سقط أولاً

يصرّح الطبري ومَن تلاه أنَّ «أول من سقط بالناس شريك» ومعه ناس، ثمّ سقط عبد الله بن الحارث وسقط معه ناس.

ويلاحظ أنّهما شيعة! وأنّ الناس كانوا يسقطون تبعاً لهما.

وذكر في المقتل المشهور أنَّ مالك بن مسمع اعتذر عند ابن زياد ولم

(١) مقتل أبي مخنف (مشهور): ٢٤.

(٢) مراصد الاطلاع: ٣ / ١٠٥٤

(٣) مراصد الاطلاع: ٣ / ١٠٥٤، معجم البلدان: ٤ / ٢٩١ <

(٤) الروض المعطار: ٤٤٧.

(٥) حدود العالم: ١٦١.

يذكر أحداً آخر قد تمارض وسقط ^(١).

ويبدو من تتبع حال شريك أنَّ الرجل كان قد مرض بالفعل، إذ أنَّ قصة الاغتيال المزعوم ^(٢) في بيت هاني أو في بيته هو نفسه مبنية على مرضه وعزم ابن الأمة الفاجرة على زيارته. ثمَّ إنَّ التاريخ ينصُّ أنه قد مات على أثر مرضه ودفن في الكوفة.

الإفادة الثالثة: سبب التمارض والتساقط

أفاد النصُّ أنَّهم إنَّما فعلوا ذلك لأنَّهم «رجوا أن يلوي عليهم عبيد الله، ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فجعل لا يلتفت إلى من سقط ويمضي»..

وقد تضمَّن هذا النصُّ بعض المؤدَّيات:

المؤدَّى الأول: رجاء سبق الحسين عليه السلام

إنَّهم إنَّما فعلوا ذلك رجاء أن يتأخَّر الجرو المسعور، فيسبقه سيّد الشهداء عليه السلام إلى الكوفة فيستولي عليها ويستتبَّ له الأمر! وفي ذلك مناقشات كثيرة ليس هذا موضع طرحها، وقد تناولنا بعضها في ثنايا بعض الدراسات عن المولى الغريب عليه السلام.

(١) مقتل أبي مخنف (مشهور): ٢٤.

(٢) انظر: «مسلم بن عقيل - قصة محاولة اغتيال ابن زياد»، للمؤلف.

بيد أننا نودّ أن نؤكد هنا ما ذكرناه في غير موضع من أن فهم هؤلاء القوم استقرّ على أن المقصود الأساس من تشريف الكوفة بالمولى الغريب عليه السلام إنما هو الإمام الحسين عليه السلام ولم يكن المولى الغريب عليه السلام مكلفاً ولا ناوياً ولا عازماً على إحداث ما يسمّونه «الثورة»، ولا الاستيلاء على القصر أو امتلاك مقاليد الحكم في الكوفة، ولو كان كذلك لما تصوّر هؤلاء وفق ما ورد في هذا الخبر أن تأخير ابن زياد كان نافعاً فيما رجوا، والمولى الغريب عليه السلام في الكوفة!

فهم يهدون لسيد الشهداء عليه السلام ودخوله، لا لثورة سفيره عليه السلام ^(١)!

المؤدّي الثاني: فطنة ابن الفاجرة

يعود المؤرّخ هنا للتلويح وتسريب المعلومات خفية، من خلال التأكيد على رجاء القوم من دون تصريح منهم، وفطنة ابن الأمة الفاجرة إلى ذلك من دون تصريح من المؤرّخ، إذ إنهم فعلوا ذلك بقصد وتبييت، ومضى الجبرو المسعور ولم يلتفت إلى أحد منهم، والعاقبة أن المتلقّي سيقفز ذهنه فوراً ليستنبط ذكاء أبناء الزواني وفطنتهم واستكشافهم للمكنونات وخبايا الصدور.

(١) أتينا على مناقشة ذلك بالتفصيل تحت عنوان «مسلم بن عقيل - ثائر أم

المؤدّي الثالث: استعجال الجرو المسعور

يمكن الإفادة من تتمة عبارة الطبري: «وسقط مهران مولاه، فقال: أيا مهران، على هذه الحال، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر، فلك مائة ألف. قال: لا، والله ما أستطيع^(١)» مدى عزم الجرو المسعور واستعجاله وقوة مضائه واندفاعه كالشفرة المحمّاة في السنام. كما يمكن أن يكون من مؤدّيات الكلام مدى شجاعة الرعديد الجبان بحيث مضى في الطريق وحده حتى دخل الكوفة وخلف وراءه مولاه الذي لا يفارقه وحرسه الشخصي الملتزم به!

مناقشة:

في تتمة عبارة الطبري هذه بعد أن اعتذر مهران وأقسم لمولاه بالله أنه لا يستطيع المداومة على المسير قال: «فنزل عبيد الله فأخرج ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمن، ثمّ اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته، ثمّ انحدر راجلاً وحده^(٢)». وأكّد ابن الأثير، النويري، أنّ ابن الأمة الفاجرة مضى لا يلوي على

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، انظر: أيضاً الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية

الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

شيء «حتى دخل الكوفة وحده»^(١).

ومعنى هذا الكلام أنّ ابن الأمة الفاجرة قد انساب ممّا يلي القادسية وحده حتى دخل الكوفة وحده!
بيد أنّه كلام لا يكاد يستقيم ولا ينهض إذ يمكن مناقشته بما يلي:

المناقشة الأولى: ما مرّ في المؤدّيات

لقد مرّ معنا قبل قليل في الإفادة الثالثة أنّ النصّ يتضمّن مؤدّيات منها القول بشجاعة هذا الجرو المرتعش، وقد عرفنا - في أكثر من موضع من دراساتنا عن المولى الغريب عليه السلام - جبن هذا الرعديد حين ينفرد وبطشه ورعونته وتجبره حينما يكون بين أذنايه، ونقلنا شهادة الحسن البصري.

ولا يكاد المرء العارف بهذا الوغد يقبل أن يخترق الصحاري والقفار ويسلك طريق يخبئ له المفاجأة والأخطار، وهو يقدم على بلد تكمن له السيوف وترصده الأعداء حسب ما يصوّره التاريخ^(٢).

(١) مثير الأحران لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩.
(٢) إنّما قلنا: حسب ما يصوّره التاريخ، لأننا نحسب أنّ الكوفة كانت جنّداً مجنّدة له بجيشها وشرطتها وحرسها وغوغائها، إلّا الأقلّيّة من المجتمع الخاضع له بالقوّة والذي سيكشف عن ولائه وخضوعه له عمّا قريب، وقد أتينا على إثبات ذلك في بعض دراساتنا منها «معركة القصر» و«الحرب الأخيرة».

بل هو حسب الفرض أمير، ولا يناسب الأمير أن يشقّ الصحراء
ويدخل بلد إمارته وحيداً..

المناقشة الثانية: انفراد الطبري

أضف إلى ما في أصل الخبر من اهتزاز، فهو أساساً ممّا انفرد به
الطبري، وقد رواه بشيء من التمرّض كما أشرنا، وفيه ارتباك في المتن،
من قبيل قوله: «فركب بغلته، ثمّ انحدر راجلاً وحده^(١)»، فإنّنا لا نفهم
كيف ركب بغلته وقد انحدر راجلاً؟! إلّا أن يكون لكلمة «راجلاً» معنى
آخر غير ما هو متبادر منها لم نتوجّه له.

المناقشة الثالثة: التعارض مع نصوص أخرى

إنّ خبر مضيّه وحده وعدم الالتفات إلى من معه يعارض ما رواه
الطبري نفسه وابن أعثم والخوارزمي والمسعودي وسبط ابن الجوزي وابن
أبي طالب والمحليّ، وغيرهم.

فقد روى الطبري خبر دخول ابن زياد إلى الكوفة واحتفاء الناس
به ظناً منهم أنّه الحسين عليه السلام!! واستيائه من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ثمّ
قال:

«فقال مسلم بن عمرو لمّا أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبيد الله

ابن زياد، فأخذ حين أقبل على الظهر، وإنما معه بضعة عشر رجلاً» (١) ...

وقال ابن أعثم يصف ابن الأمة الفاجرة عندما تقارب من الكوفة وقد جاء الليل فدعا بعمامة غبراء واعتجربها، ثم تقلّد سيفه، وتوشّح قوسه، وتكئن كنانته، وأخذ في يده قضيباً، واستوى على بغلته الشهباء، وركب معه أصحابه، وأقبل حتّى دخل الكوفة من طريق البادية.

ثمّ استرسل يروي اهتمام الناس به متوهّمين أنّه الحسين عليه السلام، واستيائه من ذلك، وأ أنّه سكت ولم يكلمهم شخصياً، «فتكلّم مسلم بن عمرو الباهلي، وقال: إليكم عن الأمير يا ترايئة! فليس هذا من تظنّون» (٢) ...

وأكد المسعودي أنّه قدم الكوفة على الظهر، فدخلها في أهله وحشمه (٣) ..

ولم يستثن ابن الجوزي وسبطه ابن حجر والطبري والمزّي وابن بدران

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

والشجري والذهبي والمحليّ أحداً من وجوه أهل البصرة، إذ أثمهم أكدوا أنه أقبل في وجوه أهل البصرة، حتى قدم الكوفة ^(١).

وصرح ابن كثير بالعدد الذي كان معه فقال:
«ودخلها في سبعة عشر ركباً» ^(٢).

هذه النصوص تؤكد تلويحاً وتصريحاً أنه دخل الكوفة مع جماعة من أهله وحشمه، ووجوه أهل البصرة، ومن دعاهم ليناولوه عمامته وسيفه، والباهلي الذي دفع الناس عنه، وهي أوفق بحال الطاغية ابن الأمة الفاجرة، وأكثر انسجاماً مع الظروف والأحداث.

المناقشة الرابعة: توهم الناس أنه سيّد الشهداء عليه السلام

سنسمع بعد قليل عند الحديث عن دخول ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة، أن الناس ظنّوا عند دخوله أنه سيّد الشهداء عليه السلام، فرحبوا به واستقبلوه، وبغضّ النظر عمّا سيأتي من المناقشة في ذلك، فإنّ هذا

(١) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥، انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن عساكر، ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

بنفسه شاهد على أنّ الخبيث لم يدخل الكوفة وحده، وإنّما دخلها في موكب وهيئة تدعو للتوهم أنّه ركب الحسين عليه السلام.

المناقشة الخامسة: التمارض رجاء سبق سيّد الشهداء عليه السلام

يبدو أنّ الجميع كان في تسابق مع الزمن، إذ يستحثّ القرد المجذور جروه من الشام أن يطير بجناحين إلى الكوفة، ويتمارض هؤلاء القوم، إن صحّ ذلك، رجاء أن يسبق سيّد الشهداء عليه السلام إلى الكوفة.

وربما كان هذا الأخير من صنع المحترفين في صياغة الأحداث، فشريك وأصحابه الذين خرجوا مع الجرو الأموي يعلمون كما يعلم الجرو نفسه أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد أرسل مبعوثه وسفيره إلى الكوفة، غير أنّ الفترة الزمنية التي سيستغرقها المولى الغريب عليه السلام من أجل التحقق من مهمّته واتّخاذ القرار لإخبار سيّد الشهداء عليه السلام لم تحصر بعد.

وقد علم الجميع أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان لا زال في مكّة، ولم يتحرّك باتجاه العراق تلك الأيام حسب المشهور في النصوص التاريخية، فكيف يتمارض هؤلاء في طريق البصرة إلى الكوفة، ليوفّروا فرصة تمكّن سيّد الشهداء عليه السلام من اللحاق من مكّة إلى الكوفة؟!

المناقشة الخامسة: لو سبق سيّد الشهداء عليه السلام

هذه المناقشة تتّمة للمناقشة السابقة، وإنّما أفردناها تحت عنوان

خاصّ للأهميّة:

لو فرضنا أنّ القوم قد تمارضوا وتأخّروا الجرو المسعور والتفت إليهم
وسبق سيّد الشهداء ؑ إلى الكوفة، فماذا سيغيّر في واقع الناس
ومجريات الأحداث؟!

لقد أثبتنا في غير موضع أنّ الزيد المتراكم - الذي بايع سيّد
الشهداء ؑ من خلال الكتب والرسل، وأكّد البيعة أو بايع على يد
المولى الغريب ؑ لسيّد الشهداء ؑ - كانوا رغم الأعداد المذكورة في
المقام أقلّيّة قليلة في المجتمع الكوفي (١) ..

وكانت الكوفة يومها جنداً مجنّدة لم يتضعّض فيها شيء من حصّة
السلطان، ولم تجتاح رياح هؤلاء الرعاع الذين بايعوا لأوّل وهلة سيّد
الشهداء ؑ غابة القروء، ولم تهزّ فيهم قسبة ولا عوداً، ولم يقطعوا ذيلاً
ولا يداً، فلم تكن الكوفة في طوع سيّد الشهداء ؑ، وكان فيها من
يقود قطعان الذئاب التي روّضتها السقيفة لمواجهة سيّد شباب أهل
الجنّة ؑ ومن معه، ولكان ابن الأمة الفاجرة يقدم على جند مجنّدة
وأذلاء خاسئين من عبدة الطاغوت ..

ولانقلب المبايعون لأيّ سبب وبأيّ وسيلة يستعملها الأمويّون
وجراؤهم تماماً كما انقلبوا بعد دخول ربيب الدعارة ابن زياد، ونكثوا

(١) انظر: «مسلم بن عقيل - معركة القصر»، وغيره، للمؤلّف.

البيعة وغدروا بالمولى الغريب عليه السلام.

لقد قامت البحوث على أنّ الكوفة كانت كلّها مع سيّد الشهداء عليه السلام، وإنّما غيّرّها دخول ابن الأمة الفاجرة وأساليبه وفطنته ومعرفته بالمجتمع الكوفي وذكائه، والأمر ليس كذلك، وقد أتينا على بحث هذا الموضوع في محلّه، فلا نعيد.

دخول ابن زياد الكوفة

المتون

ابن سعد، ابن عساكر، مختصر ابن منظور:

«فأقبل عبيد الله بن زياد على الظهر سريعاً حتّى قدم الكوفة، فأقبل متعمّماً متنكّراً، حتّى دخل السوق، فلمّا رآته السفلة وأهل السوق، خرجوا يشتدّون بين يديه، وهم يظنّون أنّه حسين! وذاك أنّهم كانوا يتوقّعونّه، فجعلوا يقولون لعبيد الله: يا ابن رسول الله، الحمد لله الذي أراناك. وجعلوا يقبّلون يده ورجله، فقال عبيد الله: لشّد ما فسد هؤلاء!

ثمّ مضى حتّى دخل المسجد، فصلى ركعتين، ثمّ صعد المنبر وكشف عن وجهه، فلمّا رآه الناس مال بعضهم على بعض

وأقشعوا عنه.

وبنى عبيد الله بن زياد تلك الليلة بأهله أم نافع بنت عمارة
ابن عقبة بن أبي معيط»^(١).

ابن قتيبة، البيهقي:

«فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين»^(٢).

البلاذري:

«فوردها مثلثاً بعمامة سوداء، وكان الناس بالكوفة يتوقعون
ورود الحسين، فجعلوا يقولون: مرحباً بابن رسول الله، قدمت
خير مقدم. وهُم يظنون أنه الحسين، فساء ابن زياد تباشير
الناس بالحسين وغمه، وصار إلى القصر، فدخله»^(٣).

البلاذري:

«حتى قدم الكوفة، فحسب أهل الكوفة أنه الحسين بن علي،
وهو مثلث، فجعلوا ينادونه: مرحباً بابن ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى دخل الدار»^(٤).

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر
ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوي للبيهقي: ٥٠.

(٣) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

(٤) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢.

الدينوري:

«فسار حتى وافى الكوفة، فدخلها، وهو متلثم، وقد كان الناس بالكوفة يتوقعون الحسين بن علي عليه السلام وقدمه، فكان لا يمر ابن زياد بجماعة إلا ظنوا أنه الحسين، فيقومون له، ويدعون، ويقولون: مرحباً بابن رسول الله، قدمت خير مقدم. فنظر ابن زياد من تباشرهم بالحسين إلى ما ساءه» (١).

اليعقوبي:

«وقدم عبيد الله بن زياد الكوفة» (٢).

الطبري، الشجري، المزي، الذهبي، ابن حجر، ابن بدران ما استدركه على ابن عساكر، ابن الجوزي:

«قال: فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة، حتى قدم الكوفة متلثماً، ولا يمر على مجلس من مجالسهم، فيسلم، إلا قالوا: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله، - وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليه السلام - حتى نزل القصر» (٣).

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢١٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر:

الطبري:

«حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو متلثم، والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس، إلا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم. فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه، فقال مسلم بن عمرو لنا أكثروا: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله ابن زياد. فأخذ حين أقبل على الظهر، وإنما معه بضعة عشر رجلاً، فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد، دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاز عبيد الله ما سمع منهم، وقال: ألا أرى هؤلاء كما أرى» (١).

الطبري:

«فنزل عبيد الله، فأخرج ثياباً مقطعة من مقطعات اليمن، ثم اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته، ثم انحدر راجلاً وحده، فجعل يمر بالمحارس، فكلما نظروا إليه، لم يشكوا أنه الحسين،

٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن

عساكر، ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨.

فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله. وجعل لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم، وسمع بهم النعمان بن بشير، فغلق عليه وعلى خاصته، وانتهى إليه عبيد الله، وهو لا يشك أنه الحسين، ومعه الخلق يضجون، فكلمه النعمان، فقال: أنشدك الله إلا تنحيت عني! ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتلك من أرب. فجعل لا يكلمه. ثم إنّه دنا وتدلّى الآخر بين شرفتين، فجعل يكلمه فقال: افتح، لا فتحت، فقد طال ليلك. فسمعها إنسان خلفه، فتكفى إلى القوم، فقال: أي قوم، ابن مرجانة، والذي لا إله غيره! فقالوا: ويحك! إنما هو الحسين. ففتح له النعمان، فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس، فانفضوا»^(١).

ابن أعثم:

«فلم يزل يسير حتى بلغ قريباً من الكوفة، قال: فلما تقارب عبيد الله بن زياد من الكوفة نزل، فلما أمسى وجاء الليل دعا بعمامة غبراء، واعتجربها، ثم تقلّد سيفه، وتوشّح قوسه، وتكئن كنانته، وأخذ في يده قضيباً، واستوى على بغلته الشهباء، وركب معه أصحابه، وأقبل حتى دخل الكوفة من

طريق البادية، وذلك في ليلة مقمرة، والناس متوقعون قدوم الحسين عليه السلام، قال: فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو في ذلك يسلم عليهم، فيردّون عليه السلام، ولا يشكّون أنّه الحسين، وهم يمضون بين يديه، وهم يقولون: مرحباً بك يا ابن بنت رسول الله! [قدمت] خير مقدم. قال: فرأى عبيد الله ابن زياد من تباشير الناس بالحسين بن علي ما ساءه ذلك، سكت ولم يكلمهم، ولا ردّ عليهم شيئاً، قال: فتكلّم مسلم بن عمرو الباهلي، وقال: إليكم عن الأمير ترابيّة! فليس هذا من تظنّون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد. قال: فتفرّق الناس عنه ودخل عبيد الله بن زياد قصر الإمارة، وقد امتلأ غيظاً و«غضباً»^(١).

ابن عبد ربّه، الباعوني:

«فقدمها [قدم ابن زياد بالكوفة] قبل أن يقدم الحسين»^(٢).

المسعودي:

«فخرج من البصرة مسرعاً، حتّى قدم الكوفة على الظهر، فدخلها في أهله وحشمه، وعليه عمامة سوداء قد تلثّم بها،

(١) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباعوني: ٢ / ٢٦٥.

وهو راكب بغلة، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعل ابن زياد يسلم على الناس، فيقولون: وعليك السلام يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم. حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله ما لي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم. وحسر اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر»^(١).

ابن حبان:

«فدخل عبيد الله بن زياد الكوفة حتى نزل القصر، واجتمع إليه أصحابه»^(٢).

أبو الفرج:

«حتى دخلوا الكوفة، وعليه عمامة سوداء، وهو ملتئم، والناس ينتظرون قدوم الحسين عليهم، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس، إلا سلموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله ﷺ، قدمت خير مقدم. ورأى من الناس من

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

(٢) الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧.

تباشرهم بالحسين ما ساءه، فأقبل، حتى دخل القصر»^(١).

المفيد:

«حتى دخل الكوفة، وعليه عمامة سوداء وهو متلثم، والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين رأوا عبيدالله أنه الحسين عليه السلام، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم. فرأى من تباشرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه، فقال مسلم بن عمرو - لما أكثروا - تأخروا، هذا الأمير عبيدالله بن زياد.

وسار حتى وافى القصر بالليل ومعه جماعة قد التقوا به لا يشكّون أنه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير عليه وعلى خاصّته، فناده بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فأطلع عليه النعمان وهو يظنّه الحسين عليه السلام، فقال: أنشدك الله إلا تنحيّ، والله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من أرب. فجعل لا يكلمه، ثم إنّه دنا وتدلى النعمان من شرف القصر، فجعل يكلمه، فقال: افتح، لا فتحت، فقد طال ليلك. وسمعها إنسان خلفه، فنكص إلى القوم الذين اتّبعوه

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

من أهل الكوفة على أنه الحسين عليه السلام، فقال:
يا قوم! ابن مرجانة والذي لا إله إلا غيره! ففتح له النعمان،
فدخل، وضربوا الباب في وجه الناس، وانفضوا.
فأصبح، فنادى في الناس الصلاة جامعة. فاجتمع الناس،
فخرج إليهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أمير
المؤمنين يزيد ولاني مصركم، وثغركم وفيئكم، وأمرني بإنصاف
مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم
ومطيعكم، كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على من ترك أمري،
وخالف عهدي، فليتنق امرؤ على نفسه "الصدق ينبي عنك لا
الوعيد". ثم نزل وأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:
اكتبوا لي العرفاء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم
من أهل الحرورية، وأهل الريب الذين شأنهم الخلاف والنفاق
والشقاق. فمن يجئ لنا بهم فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً
فليضمن لنا من في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي
علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا دمه
وماله، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد
لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من

«العتاء» (١).

مسكويه:

«فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة
مثلثاً، فلا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم، إلا قالوا:
وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله. وهم يظنون أنه
الحسين بن علي، حتى نزل القصر، واجماً كثيراً لما رأى» (٢).

الطبرسي:

«حتى دخل الكوفة، وعليه عمامة سوداء، فظنوا أنه
الحسين عليه السلام، فكان لا يمر على ملاء من الناس، إلا سلموا
عليه، فقالوا: مرحباً يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم.
فرأى من تباشرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه، فقال مسلم بن
عمرو لمّا أكثروا لهم: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد.
وساروا حتى وافوا قصر الإمارة، فأغلق النعمان بن بشير عليهم
الباب، حتى علم أنه عبيد الله بن زياد، ففتح له الباب» (٣).

الخوارزمي، ابن أبي طالب:

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

(٣) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

«فلم يزل يسير حتى بلغ قريباً من الكوفة، ثم نزل، فلما أمسى. وجاء الليل دعا بعمامة سوداء، فاعتجربها مثلثماً. ثم تقلد سيفه، وتوشح قوسه، وتنكب كنانته، وأخذ في يده قضيباً، واستوى على بغلة له شهباء، وركب أصحابه، وسار حتى دخل الكوفة من طريق البادية، وذلك في ليلة مقمرة، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه وهو في ذلك يسلم عليهم، وهم لا يشكون في أنه الحسين بن علي، فهم يمشون بين يديه ويقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم.

فرأى عبيد الله من تباشير الناس ما ساءه، فسكت ولم يكلمهم ولا ردّ عليهم شيئاً، فتكلم مسلم بن عمرو الباهلي، فقال: إليكم عن الأمير ترابية، فليس هذا من تظنون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد. فتفرق الناس عنه، وتحصن النعمان بن بشير منه وهو يظن أنه الحسين، فجعل يناشده الله والفتنة، وهو ساكت من وراء الحائط.

ثم قال له: افتح الباب لعنك الله، فسمعها جماعة، فقالوا: ابن مرجانة والله، ففتحوا الباب وتفرق الناس.

ونودي بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج ابن زياد وقام

خطيباً، فقال: إِنَّ أمير المؤمنين ولّاني مصركم وثمركم، وأمرني
بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى
سامعكم، والشدة على مريبكم، وأنا متّبع أمره، ومنقذ فيكم
عهده، وأنا لمحبتكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسيفي وسوطي على
من ترك أمري» (١).

ابن شهر آشوب:

«ودخلها بغتة في الليل وهو ملثم، فزعم من رآه أنّه الحسين،
فكانوا يقولون: مرحباً يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم.
حتّى نزل دار الإمارة» (٢).

ابن الأثير، التويري:

«حتّى دخل الكوفة وحده، فجعل يمرّ بالمجالس، فلا يشكّون
أنّه الحسين، فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله. وهو لا
يكلّمهم، وخرج إليه الناس من دورهم، فسأه ما رأى منهم،
وسمع النعمان، فأغلق عليه الباب، وهو لا يشكّ أنّه الحسين،
وانتهى إليه عبيد الله ومعه الخلق يصيحون، فقال له النعمان:

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١.

أُشِدُّكَ اللَّهُ إِلَّا تَنْحَيْتَ عَنِّي، فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِمُسْلِمٍ إِلَيْكَ أَمَانَتِي،
وما لي في قتالك من حاجة. فدنا منه عبيد الله، وقال له:
افتح لا فتحت. فسمعها إنسان خلفه، فرجع إلى الناس، وقال
لهم: إنَّه ابن مرجانة. ففتح له النعمان، فدخل، وأغلقوا
الباب، وتفرَّق الناس» (١).

ابن نما:

«فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا نَزَلَ، حَتَّى أَمْسَى - لئَلَّا تَظُنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُ
الحسين، ودخلها ممَّا يلي النجف، فقالت امرأة: الله أكبر، ابن
رسول الله وربَّ الكعبة. فتصايح الناس، قالوا: إِنَّا مَعَكَ أَكْثَرُ
من أربعين ألفاً. وازدحموا عليه حَتَّى أَخَذُوا بِذَنْبِ دَابَّتِهِ،
وظَنُّهُمْ أَنَّهُ الحسين، فحسر اللثام، وقال: أَنَا عبيد الله.
فتساقط القوم، ووطأ بعضهم بعضاً، ودخل دار الإمارة، وعليه
عمامة سوداء» (٢).

ابن طلحة، الإبلي:

«فَجَهَّزَ عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، فَلَمَّا قَرَبَ مِنْهَا تَنَكَّرَ،
ودخل ليلاً، وأوهم أَنَّهُ الحسين، ودخلها من جهة البادية في

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩.

زَيَّ أَهْلَ الْحِجَازِ، فَصَارَ يَجْتَازُ بِجَمَاعَةِ جَمَاعَةٍ، يَسْلَمُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَشْكُونُ فِي أَنَّهُ هُوَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَيَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ. فَرَأَى عَبِيدُ اللَّهِ مِنْ تَبَاشِيرِهِمْ بِالْحُسَيْنِ مَا سَاءَ، وَكَشَفَ أَحْوَاهُمْ، وَهُوَ سَاكِتٌ» (١).

سبط ابن الجوزي:

«فَأَقْبَلَ ابْنُ زِيَادٍ فِي وَجْهِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ، حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ مَتَلِثَمًا، فَمَا مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ، فَيَسْلَمُ، إِلَّا قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا ابْنَ بَنَتِ رَسُولِ اللَّهِ. وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى نَزَلَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ» (٢).

ابن طاووس:

«فَلَمَّا قَارَبَهَا نَزَلَ حَتَّى أَمْسَى، ثُمَّ دَخَلَهَا لَيْلًا، فَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَتَبَاشَرُوا بِقُدُومِهِ، وَدَنُوا مِنْهُ. فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ زِيَادٍ، تَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَدَخَلَ قَصْرَ الْإِمَارَةِ وَبَاتَ فِيهِ إِلَى الْغَدَاةِ، ثُمَّ خَرَجَ وَصَعِدَ الْمَنْبِرَ وَخَطَبَهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى مَعْصِيَةِ السُّلْطَانِ، وَوَعَدَهُمْ مَعَ الطَّاعَةِ بِالْإِحْسَانِ» (٣).

(١) مطالب السؤل لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمة للإربلي: ٢ / ٤٢.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٤٤.

أبو الفداء:

«فقدم الكوفة، ورأى ما الناس عليه، فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد بن معاوية»^(١).

الذهبي:

«فاعتقد أهل الكوفة أنه الحسين وهو متلثم، فجعلوا يقولون: مرحباً بابن بنت رسول الله ﷺ»^(٢).

الذهبي:

«فبادر متعمماً متنكراً، ومَرَّ في السوق، فلَمَّا رآه السفلة اشتدوا بين يديه، يظنونهم الحسين، وصاحوا: يا ابن رسول الله! الحمد لله الذي أَرَانَاكَ. وقَبَلُوا يده ورجله، فقال: ما أَشدَّ ما فسد هؤلاء. ثمَّ دخل المسجد، فصلَّى ركعتين، وصعد المنبر، وكشف لثامه^(٣). [عن ابن سعد].

ابن كثير:

«فلَمَّا دخلها دخلها متلثماً بعمامة سوداء، فجعل لا يَمْرَبُلاً من الناس إلَّا قال: سلام عليكم. فيقولون: وعليكم السلام،

(١) تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٨٩.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣٤٤.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١.

مرحباً بابن رسول الله. يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه، وتكاثر الناس عليه، ودخلها في سبعة عشر ركباً، فقال لهم مسلم بن عمرو من جهة يزيد: تأخروا، هذا الأمير عبيد الله ابن زياد. فلما علموا ذلك علمهم كآبة وحزن شديد، فتحقق عبيد الله الخبر، ونزل قصر الإمارة من الكوفة، ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر، وهو متلثم ظنّه النعمان بن بشير الحسين قد قدم، فأغلق باب القصر، وقال: ما أنا بمسلم إليك أمانتي. فقال له عبيد الله: افتح، لا فتحت. ففتح وهو يظنّه الحسين، فلما تحقق أنه عبيد الله أسقط في يده، فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة»^(١).

ابن الصبّاغ، الشبلنجي:

«فلما قرب من الكوفة تنكّر، ودخلها ليلاً، وأوهم أنه الحسين، ودخلها من جهة البادية في زيّ أهل الحجاز، وصار كلما اجتاز بجماعة يسلم عليهم، فيقومون له ويقولون: مرحباً بابن رسول الله. ظنّاً منهم أنه الحسين، فلما رأى عبيد الله تباشيرهم بالحسين ساءه ذلك، وتكشّفت له أحوالهم، ثم إنّه قصد قصر الإمارة، وجاء يريد الدخول إليه، فوجد النعمان بن بشير قد

أغلقه وتحصّن فيه هو وأصحابه، وذلك أنّ النعمان بن بشير هو وأصحابه ظنّوا أن ابن زياد هو الحسين عليه السلام، فصاح بهم عبيد الله بن زياد: افتحوا، لا بارك الله فيكم، ولا كثّر في أمثالكم. فعرفوا صوته لعنه الله، وقالوا: ابن مرجانة. فنزلوا، وفتحوا له، ودخل القصر، وبات به» ^(١).

ابن حجر:

«فجاء إليه» ^(٢).

المحلّي:

«فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتّى قدم المدينة متلّماً، فلا يمرّ على مجلس من مجالسهم فيسلم عليهم إلّا وقالوا: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنّون أنّه الحسين بن علي عليه السلام، حتّى نزل بالقصر» ^(٣).

الطريحي:

«فلما وصل الكوفة دخلها وهو متلّم وببيده قضيب خيزران وأصحابه من حوله، فجعل لا يمرّ بـإلّا وسلم عليهم

(١) الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١١٧.

(٣) الحقائق الوردية للمحلّي: ١ / ١١٥.

بالقضيبي، والناس يردّون عليه السلام، ويزعمون أنّه الحسين لأنّهم كانوا يتوقّعون قدومه، فلمّا قرب من قصر الإمارة، قال لهم مسلم الباهلي: يا ويلكم هذا الأمير ابن زياد، ليس هو طلبتكم. فأسفرا بن زياد عن لثامه، وقال للنعمان وهو في أعلا القصر: يا نعمان، حفظت نفسك، وضيّعت مصرّك»^(١).

القندوزي:

«فلمّا وصل الكوفة وهو متلّم وببيده قضيب من خيزران، وأصحابه حوله، فلا يمرّ بمألاً إلّا سلّم عليهم بالقضيبي، وهم يظنّون أنّه الحسين، لأنّهم يتوقّعون قدومه. فلمّا دخل قصر الإمارة علموا أنّه ابن زياد، وقال للنعمان: حفظت نفسك، وضيّعت مصرّك، فخطب على المنبر يذكر أنّ يزيد ولّاه وأوصاه بالإحسان إلى المحسن، والتجاوز عن المسيء، والناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون: ما لنا وامتناع السلطان، فنقضوا بيعة الحسين عليه السلام وبايعوا ابن زياد»^(٢).

مقتل أبي مخنف (المشهور):

«فسار ابن زياد (لعنه الله) حتّى دخل الكوفة، وكان دخوله

(١) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ٣٣٥.

مما يلي البرّ، وعليه ثياب بيض، وعمامة سوداء ملثماً كلثام الحسين عليه السلام، وهو راكب بغلة شهباء، وبيده قضيب من خيزران، وأصحابه من خلفه، وكان قدومه يوم الجمعة، وقد انصرف الناس من الصلاة وهم يتوقعون قدوم الحسين عليه السلام، فصار لا يمرّ بمأمن الناس إلّا ويسلمّ عليهم بقضيبه، وهم يظنون أنّه الحسين عليه السلام، فيقولون: قدمت خير مقدم يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله! فلما رأى ابن زياد (لعنه الله) تباشرهم بالحسين عليه السلام ساءه ذلك، فلما قرب من قصر الإمارة قال لهم مسلم بن عمرو الباهلي: تأخروا يا ويلكم عن وجه الأئمر، فليس هو ظنكم ولا طلبتكم. فأشرف عليه النعمان من أعلى القصر وهو يظنّ أنّه الحسين عليه السلام قد سبق إلى الكوفة، فأسفر ابن زياد (لعنه الله) عن وجهه وقال: يا نعمان حصّنت قصرك، وتركت مصرك» ^(١).

المقرّم:

«ولبس ثياباً يمانية وعمامة سوداء، وانحدر وحده، وكلّما مرّ بالمحارس، ظنّوا أنّه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً بابن رسول الله. وهو ساكت، فدخل الكوفة ممّا يلي النجف واستقبله

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤.

الناس بهتاف واحد: مرحباً بابن رسول الله. فساءه هذا الحال، وانتهى إلى «قصر الإمارة» فلم يفتح النعمان باب القصر، وأشرف عليه من أعلى القصر يقول: ما أنا بمؤدّ إليك أمانتي يا ابن رسول الله. فقال له ابن زياد: افتح، فقد طال ليك. فسمعها رجل وعرفه، فقال للناس: إنّه ابن زياد وربّ الكعبة. فتفرّقوا إلى منازلهم»^(١).

السماوي:

«فظنّ الناس أنّه الحسين عليه السلام لتشبهه به لباساً وتلثمه. فدخل القصر، والنعمان يظنّه الحسين، والناس تقول له: مرحباً يا ابن رسول الله ﷺ، وتتبعه. فسدّ النعمان باب القصر، فصاح به: افتح، لا فتحت، فعرفه وفتح الباب، وعرف الناس كلمة عبيد الله. فانكفأوا وانكفوا، وبات مسلم والناس حوله»^(٢).

أسد حيدر:

«يحيط الغموض بكيفية دخول ابن زياد الكوفة ويكتنف هذا الموضوع جهالة تدعو إلى كثير من التساؤل:

(١) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ١٧٠.

(٢) إبصار العين للسماعي: ٤٢.

فهل دخلها في وضح النهار بهيئة أمير جديد تحوط به حرّاسه
ويتبعه جنده ويستقبله أعوانه؟

أم دخلها متنكراً لا يعرف من هو؟
وهل صحيح أنه دخل بزّي أهل الحجاز معتمّاً بعمامة سوداء،
فظنّ الناس أنّه الحسين؟

وهل وقعت مصادمات عند دخوله كما في بعض النصوص؟
أم أنّه دخل بصورة سلمية؟

والذي يظهر من التتبع ويوضحه سير الحوادث، هو أن توجّه
ابن زياد إلى الكوفة، وتولية أمرها قد سبق خروجه من
البصرة، وذلك عن طريق جهاز الدولة، ليكون أنصار الأمويين
على أهبة الاستعداد لقدمه، خشية من الطوارئ التي تعترض
دخوله.

وعندما شاع نبأ توجّهه قويت عزائم العثمانيّة، ونشط
الأمويّون وأصاب الخوارج خيبة أمل لعلمهم بعداء ابن زياد
لهم، إذ عاملهم في البصرة بشدّة حيث قتلهم بدون رحمة.
وشرّدهم في البلاد، وهنا لابدّ أن يعدّوا العدة للتخلّي عن كلّ
مشاركة في أيّ أمر يثير غضبه عليهم، كما لابدّ من أن يظهروا
بمظهر الولاء للدولة، حقناً لدمائهم، وإبقاءً على نفوسهم،

فيتعاونوا مع ابن زياد للقضاء على عدوهم.

ومقتضى واقع الأمر أن يزيد لم يعتمد على ابن زياد، كفرد يتمتع بقوة وله خبرة سياسية فقط، فیدخل الكوفة أعزل من السلاح والمجند، بل لابد وأن يكون مزوداً بقوة ذات عدة وعدد كاف، لخوض معركة حاسمة، وتقرّر مصير العهد الأموي، بالإضافة إلى العناصر الموالية للأمويين، فهي على استعداد للوثبة عندما يجمع شملهم قائد له خبرة ودهاء، وكان قدوم عبيد الله فاتحاً، وقد توجه إلى الكوفة بجيش قوامه خمسمائة فارس على أقل إحصاء.

وقد صحب معه جماعة من وجوه أهل البصرة ورؤساء القبائل من الذين لهم نفوذهم بالكوفة وعشائريتهم إليهم، وهؤلاء يقومون بدور الدعاية والتخدير.

ويظهر من بعض المؤرخين القدامى: أنه عند قدوم عبيد الله الكوفة اصطدم بجيش الشيعة الذين سارعوا لصدّه عن الدخول، ولكنه أسرع، فدخل القصر وأغلق بابه»^(١).

متى دخل ابن زياد الكوفة؟

«يحيط الغموض بكيفية دخول ابن زياد الكوفة ويكتنف هذا

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ٩٢.

الموضوع جهالة تدعو إلى كثير من التساؤل:

فهل دخلها في وضح النهار بهيئة أمير جديد تحوط به حراسه
ويتبعه جنده ويستقبله أعوانه» (١)؟

هكذا قال الشيخ أسد حيدر - رحمه الله وحشره مع سيّد
الشهداء (عليه السلام) - ثم استرسل بطرح بعض الأسئلة التي سنسمعها عند
الحديث عن كيفية دخول ابن الأئمة الفاجرة إلى الكوفة.

وسنحاول استجلاء وقت دخوله من خلال ملاحظة النصوص
للتوصل إلى شيء من التحديد، فهي ليست غامضة معتمة تدفع المتتبع
إلى غياهب الجهالة، أجل إنّ فيها ما يثير العجب والتردد والريب في
كيفية دخوله، كما ستسمع بعد قليل.

الوقت الأول: عدم التحديد مطلقاً

لقد تجاهل أكثر المؤرخين تحديد تاريخ دخول الجرو المسعور إلى
الكوفة واكتفوا بالإشارة إلى أنه أقبل على الظهر سريعاً حتى قدم
الكوفة (٢).

(١) مع الحسين (عليه السلام) في نهضته لأسد حيدر: ٩٢.

(٢) انظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر،
مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨، تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٦ وغيرها..

الوقت الثاني: قبل سيّد الشهداء عليه السلام

صرّح بعضهم أنّه قدم الكوفة قبل سيّد الشهداء الحسين عليه السلام من دون التصريح باليوم على وجه التحديد ^(١)، وهذا المقدار قد تضافروا على التلوّيح والإشارة إليه عندما رووا توهّم الناس أنّ القادم هو الإمام الحسين عليه السلام، وهم يتوقّعون وينتظرون قدوم الإمام عليه السلام، وهذا يعني أنّه قدم قبل الإمام فظنّ الناس أنّه المنتظر ^(٢).

-
- (١) انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوي للبيهقي: ٥٠، العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباغوني: ٢ / ٢٦٥.
- (٢) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢، ٣٣٥، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، ٣٥٨، ٣٥٩، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن عساكر: ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣٤٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣، ينباع المودة للقندوزي: ٣٣٥.

الوقت الثالث: دخوله في الليل

أفاد بعض المؤرخين كابن أعثم وغيره أنَّ الحبيث انتظر حتى تصرَّم المساء وجاء الليل، فدخل الكوفة (١).

وجاء في تعبير ابن أعثم والخوارزمي وابن أبي طالب ما يفيد أنه كان في أواسط الشهر بما يقارب العشرين ليلة الوسطى أو أقل من ذلك، لأنهم وصفوا الليلة التي دخل فيها بالمقمرة (٢)، وربما لا يصدق على الخمس ليالي الأولى والخمسة الأخيرة من الشهر أنها مقمرة.

الوقت الرابع: وقت يقوم فيه السوق

ذكر الذهبي عبارة يمكن أن يستفاد منها أنَّ دخوله كان في غير وقت الليل، إذ قال: «فبادر متعمماً متنكراً، ومَرَّ في السوق» (٣)، والمعروف في

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١، مثير الأحزان لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩، مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمة للإربلي: ٢ / ٤٢، اللهوف لابن طاووس: ٤٤، الفصول المهمة لابن الصبَّاح: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

(٢) انظر: الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١.

تلك الأيام التي كان الناس يعيشون عليها في الغالب على ضوء النهار يزاولون أعمالهم وتجارتهم، فإذا هبط الظلام ودهمهم الليل أقفلوا راجعين وغادروا الأسواق، والحال أن تتمّة عبارة الذهبي تفيد أن الناس الذين كانوا في الأسواق تجمهروا على الجرو المسعور ظائنين أنه سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، وهذا يعني أن الأسواق لم تقفل بعد، ولا زال الناس فيها.

فإذا قبلنا أن الأسواق تُغادر في الليل، يلزم أن يكون دخوله في أيّ جزء من أجزاء النهار، ولو كانت قريبة من الليل.

إلا أن يقال: إنه كان وقت المغرب وقبل أن يمضي هزيع من الليل، فيلتقي هذا القول مع القول في الوقت الثالث.

الوقت الخامس: يوم الجمعة ظهراً

انفرد المقتل المشهور لأبي مخنف بالقول أن قدومه كان يوم الجمعة وقد انصرف الناس من الصلاة ^(١).

وهو - كما يبدو - مخالف لطائفة معتدّ بها من المؤرّخين ممّن ذكرناهم في الوقت الثالث.

وهو في نفس الوقت ينصّ على اسم اليوم بالتحديد «الجمعة»،

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤.

وربما ناسب تجمهر الناس عليه والتفافهم حوله، إن صحَّ هذا الخبر.

كيف دخل ابن زياد؟

تكاد تتفق المصادر أنه دخل الكوفة متنكراً متلثماً متعمماً بعمامة

سوداء (١).

(١) انظر: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن عساكر، ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١، مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣٤٤، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣، ينابيع المودة للقندوزي: ←

وذكر الطبري في إحدى رواياته أنه لبس ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمن، ثمّ اعتجر بمعجزة يمانية^(١).

وقد تقلّد سيفه وتوشّح بقوسه وتكّن بكنانته، وأخذ في يده قضيباً^(٢) من خيزران^(٣) وركب بغلته^(٤) الشهباء^(٥) في زيّ أهل الحجاز^(٦).

سبب تنكّره؟

اختلف المؤرّخون في تفسير علّة تنكّره، وتقابلت أقوالهم على حدّي التباين:

٣٣٥، مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٢) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة

المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٣) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤، المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣، ينابيع المودّة

للقدوزي: ٣٣٥.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

(٥) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة

المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٦) مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢، الفصول

المهمّة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

فمنهم من قال: «لئلا تظن أهلها أنه الحسين»^(١)، كما ذهب إليه ابن نما.

ومنهم من قال: «وأوهم أنه الحسين عليه السلام»^(٢). وعبر في مقتل المشهور ما يشهد لقول هؤلاء فقال: «ملثماً كلثام الحسين عليه السلام»^(٣). وقد أكد ابن شهرآشوب أنه دخل المدينة بغتة في الليل^(٤). ويلاحظ في هذا التصوير والتحليل ملاحظات:

الملاحظة الأولى: اتفاقهم على التنكر

اتفاقهم على التنكر بغض النظر عن الدوافع والعلل، فإنهم صرحوا أنه دخل متنكراً ملثماً، وربما كان اللثام معهوداً للمسافر في الصحراء والطرق والجواد بين الحواضر والمدن، بل ربما داخل المدينة أيضاً، بيد أن التنكر يلزم منه تغيير الزي وغيره من المظاهر التي توهم أنه غير الذي هو في الواقع.

(١) مثير الأحران لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩.

(٢) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧، مطالب

السؤال لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمة للإربلي: ٢ / ٤٢.

(٣) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٩١.

الملاحظة الثانية: التنكر بالزّي

ربما كان زياً خاصاً بأهل كل بلد أو منطقة أو قبيلة، أو كان زياً خاصاً يتميز به العسكر والجند والولاة، تماماً كما هو اليوم، فلأهل الحجاز مثلاً زّي خاصّ ولأهل اليمن كذلك، وللولاة زّي يميّزهم عن غيرهم من الرعيّة، بل ربما امتازت كل قطعة عسكريّة عن أختها بزّي يميّزها، وهكذا.

ولم يعهد للأشخاص والأفراد زّي يميّزهم عن غيرهم، وإن كان ثمة شخص يلتزم زياً معيّناً، فإنّه سيشتربه، ولم نعهد لسيد الشهداء عليه السلام زياً أو لابن زياد - كشخص - زياً يميّزه ويلتزم به ولا يتزيّا بغيره.

وقد سمعنا من بعضهم أنّه قال: دخل متنكراً في زّي أهل الحجاز، والحال أنّ ابن الأئمة الفاجرة يعدّ نفسه من أهل الحجاز، إذ كانت أمّه تمتهن البغاء في الطائف خارج الحضرتسكن حارة البغايا^(١)، فلا

(١) في مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦: في خبر استلحاق زياد، قال: «وذلك أنّه جمع بين أبي سفيان وسُميّة أمّ زياد في الجاهليّة على زنا، وكانت سُميّة من ذوات الرايات بالطائف تؤدّي الضريبة الى الحارث بن كلدة، كانت تنزل بالموضع الذي تنزل فيه البغايا بالطائف خارجاً عن الحضرة في محلّة يقال لها: حارة البغايا».. ثمّ ذكر حديث أبي مريم السلولي بائع الخمر ومسار البغايا في الطائف حينما قصده أبو سفيان وطلب منه بغياً، فقال: ليس عنده سوى سُميّة، فقال: «اتنني بها على ذفرها وقدرها»، في خبر طويل.

يكون قد تنكّر حينئذٍ.

ولم نسمع في التاريخ ولا في الحديث أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان يتلّم، وليس هذا من عادات أهل البيت عليه السلام إلا في مواضع وضرورات نادرة جداً.

وعلى فرض أنّه كان يتلّم فلم يعهد له عليه السلام لثاماً خاصاً يميّزه بحيث يعرف عند الخاصّ والعامّ أنّه لثام الحسين عليه السلام كما ورد في المقتل المشهور!

وفي إحدى روايات الطبري، أنّه لبس ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمن، ثمّ اعتجر بمعجزة يمانية^(١)، فلباسه كلّ من اليمن؟

الملاحظة الثالثة: الغرض من التنكّر

لا ندري لمّ كان يريد أن يوهّم أنّه الحسين عليه السلام، أو يتنكّر لثلاً يوهّم أنّه الحسين؟ على اختلاف الأقوال، فهل هي إشارة إلى فطنته وذكائه، وأنّه كان يريد أن يجسّ نبض المجتمع ويعرف ولاءه.

وهل يحتاج إلى هذه المغامرة لمعرفة ذلك، وقد كانت العيون والمراسيل لا تنقطع بينه وبين المركز والأذنان في الكوفة، وكيف يجتمع ذلك مع وقت دخوله وانتظاره المساء ودخوله بغتة في الليل؟

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

ثم إن كان قد تنكر لثلايوهم الناس أنه الحسين ؑ كيف يتزيّا
بزيّ أهل الحجاز ويدخل من جهة البادية؟!

الملاحظة الرابعة: الدلالة على خوفه

على كلّ تقدير وأيّ قصد كان ينويه في التنكّر ليوهم أنه سيّد
الشهداء ؑ أو غيره، فإنّ فيه دلالة واضحة أنه دخل المدينة خائفاً
يتكّم، وهو يشير إلى أنه لم يدخل بجند وعسكر وعدّة وعدد، وإنّما دخل
برفقة محدودة تؤمّن له المسير وترفع عنه وحشة اقتحام البلد حتّى يصل
إلى القصر ويستلم زمام ولايته، ويتصرّف بالجند والعسكر والشرطة التي
تخضع لهيمنة القروء.

وسيّد الشهداء ؑ لم يكن خائفاً ولا متخفياً في قصد العراق
ودخول الكوفة، كيف وقد أرسل مبعوثه إليها، وهو يأخذ له البيعة على
رؤوس الأشهاد؟!

الملاحظة الخامسة: مقارنة بين دخولين

كيف ما كان تقدير التنكّر ودوافعه، فإنّ فيه دلالة واضحة على
خوفه وتوجّسه واحتماله المخاطر التي تحفّ دخوله.

وكيف ما كان تصوير المؤرّخ لدخول المولى الغريب مسلم ؑ، فإنّه
لم يتنكّر، ولم يوهّم في طريقة دخوله، وغاية ما يفيد تعبير المؤرّخ أنّه

دخل متسترًا تحت جناح الظلام من دون انتظار، وهو نفس الوقت الذي اختاره ابن الأمانة الفاجرة للدخول وقد انتظر المساء ودخول الليل. لكن المتلقي حينما يقرأ عبارة المؤرخ يجد فيها من الغش والتغبيش والتضليل والتمويه والتعمية ما يسرّب إلى ذهنه أنّ المولى الغريب عليه السلام دخل خائفاً، بينما دخل ابن الأمانة الفاجرة قوياً بذكاء وفطنة واستعداد، والتأمل في رسم الموقفين يكشف زيف هذا الإلقاء.

الملاحظة السادسة: الإعداد للقصة

ربما كان المؤرخ يعدّ في بيان الزي الذي تنكر فيه النكرة ابن النكراء ليسوّغ قصة توهّم الناس به وظنّهم أنّه سيّد الشهداء عليه السلام، فهو يقدّم لذلك بتصويره أنّه في زيّ قريب من زيّ سيّد الشهداء عليه السلام فمن الطبيعي أن يتوهّم به الناس!

وربما كان في الأسئلة التي طرحها الشيخ أسد حيدر - رحمه الله وحشره مع سيّد الشهداء عليه السلام - تعبيراً عن تشكيكه القوي بالقصة من دون مناقشة لها وردّها، قال:

«فهل دخلها في وضح النهار بهيئة أمير جديد تحوط به حرّاسه ويتبعه جنده ويستقبله أعوانه؟ أم دخلها متنكراً لا يعرف من هو؟ وهل صحيح أنّه دخل بزيّ أهل الحجاز معتماً بعمامة

سوداء، فظنّ الناس أنّه الحسين»^(١)؟

ونحن لا نستبعد دخوله متنكراً خوفاً واستجابة لطبيعته الخائفة قبل أن يتمكن من زمام الأمور في البلد، إمّا أن يتوهّم به الناس فيظنّونه سيّد الشهداء عليه السلام فهذا ما سنسمع مناقشته بعد قليل.

من أيّ جهة دخل الكوفة؟

صرّح ابن أعثم وغيره أنّه أقبل حتّى دخل الكوفة من طريق البادية ومن جهتها^(٢)، ووافقت عبارة المقتل المشهور قول ابن أعثم باختلاف اللفظ، فقال: «مما يلي البر»^(٣)، والبادية تمتدّ من طرف النجف نحو الحجاز، فلا يبعد أن يكون تعبير ابن أعثم عما هو نفس تعابير الآخرين باختلاف تحديد الجهة بالاسم، فما يلي النجف يلي البر، وهو جهة البادية وطريقها.

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ٩٢.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠، مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

(٣) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤.

استقباله

المتون

ابن سعد، ابن عساكر، مختصر ابن منظور:

«فأقبل عبيد الله بن زياد.. فلما رآته السفلة وأهل السوق، خرجوا يشتدون بين يديه، وهم يظنون أنه حسين! وذاك أنهم كانوا يتوقعونه، فجعلوا يقولون لعبيد الله: يا ابن رسول الله الحمد لله الذي أراناك. وجعلوا يقبلون يده ورجله»^(١).

البلاذري:

«فوردها.. وكان الناس بالكوفة يتوقعون ورود الحسين، فجعلوا يقولون: مرحباً بابن رسول الله، قدمت خير مقدم. وهم يظنون أنه الحسين»^(٢).

البلاذري:

«حتى قدم الكوفة، فحسب أهل الكوفة أنه الحسين بن علي، وهو متلثم، فجعلوا ينادونه: مرحباً بابن ابنة رسول

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر

ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥.

الله صلى الله عليه وآله» (١).

الدينوري:

«فسار حتى وافى الكوفة، فدخلها، وهو متلثم، وقد كان الناس بالكوفة يتوقعون الحسين بن علي عليه السلام وقدومه، فكان لا يمر ابن زياد بجماعة إلا ظنوا أنه الحسين، فيقومون له، ويدعون، ويقولون: مرحباً بابن رسول الله، قدمت خير مقدم» (٢).

الطبري، الشجري، المزي، الذهبي، ابن حجر، ابن بدران ما استدركه على ابن عساكر، ابن الجوزي:

«قال: فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة، حتى قدم الكوفة متلثماً، ولا يمر على مجلس من مجالسهم، فيسلم، إلا قالوا: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله، - وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليه السلام -» (٣).

الطبري:

-
- (١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢.
- (٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤.
- (٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأملالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن عساكر، ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥.

«حتّى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو متلثم، والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين قدم عبيد الله أنّه الحسين، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس، إلّا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم» (١).

الطبري:

«فنزل عبيد الله، فأخرج ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمن، ثمّ اعتجرب بمعجزة يمانيّة، فركب بغلته، ثمّ انحدر راجلاً وحده، فجعل يمرّ بالمحارس، فكلّما نظروا إليه، لم يشكّوا أنّه الحسين، فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله. وجعل لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم» (٢).

ابن أعمش:

«وأقبل حتّى دخل الكوفة من طريق البادية، وذلك في ليلة مقمرة، والناس متوقّعون قدوم الحسين عليه السلام! قال: فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو في ذلك يسلم عليهم، فيردّون عليه السلام، ولا يشكّون أنّه الحسين، وهم يمشون بين يديه،

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

وهم يقولون: مرحباً بك يا ابن بنت رسول الله! [قدمت] خير
مقدم»^(١).

المسعودي:

«فخرج من البصرة مسرعاً، حتى قدم الكوفة على الظهر،
فدخلها في أهله وحشمه، وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها،
وهو راكب بغلة، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعل ابن
زياد يسلم على الناس، فيقولون: وعليك السلام يا ابن رسول
الله! قدمت خير مقدم»^(٢).

أبو الفرج:

«حتى دخلوا الكوفة، وعليه عمامة سوداء، وهو ملتئم،
والناس ينتظرون قدوم الحسين عليهم، فأخذ لا يمر على
جماعة من الناس، إلا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن
رسول الله صلى الله عليه وآله، قدمت خير مقدم»^(٣).

المفيد:

-
- (١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة
المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.
(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.
(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣.

«حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءُ وَهُوَ مُتَلَمِّمٌ، وَالنَّاسُ قَدْ بَلَغَهُمْ إِقْبَالُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَهُ، فَظَنُّوا حِينَ رَأَوْا عِبِيدَ اللَّهِ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ لَا يَمُرُّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ» (١).

مسكويه:

«فَأَقْبَلَ عِبِيدَ اللَّهِ فِي وَجْهِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْكُوفَةَ مُتَلَمِّمًا، فَلَا يَمُرُّ عَلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِهِمْ فَيَسَلِّمُ، إِلَّا قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ. وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ» (٢).

الطبرسي:

«حَتَّى دَخَلَ الْكُوفَةَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءُ، فَظَنُّوا أَنَّهُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ عَلَى مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ» (٣).

ابن شهر آشوب:

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠.

(٢) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

(٣) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

«ودخلها بغتة في الليل وهو ملثم، فزعم من رآه أنه الحسين، فكانوا يقولون: مرحباً يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم»^(١).

ابن الأثير، النويري:

«حتى دخل الكوفة وحده، فجعل يمرّ بالمجالس، فلا يشكّون أنه الحسين، فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله. وهو لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم»^(٢).

ابن نما:

«فلما أشرف عليها نزل، حتى أمسى - لئلا تظنّ أهلها أنه الحسين، ودخلها ممّا يلي النجف، فقالت امرأة: الله أكبر، ابن رسول الله وربّ الكعبة. فتصايح الناس، قالوا: إنا معك أكثر من أربعين ألفاً. وازدحموا عليه حتى أخذوا بذنب دابّته، وظنّهم أنه الحسين»^(٣).

ابن طلحة، الإربلي:

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١.

(٢) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ /

«فصار يجتاز بجماعة جماعة، يسلم عليهم، ولا يشكون في أنه هو الحسين عليه السلام، فيمشون بين يديه، ويقولون: مرحباً يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم» (١).

سبط ابن الجوزي:

«حتى قدم الكوفة متلثماً، فما مرّ على مجلس من مجالسهم، فيسلم، إلا قالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله. وهم يظنون أنه الحسين عليه السلام» (٢).

ابن طاووس:

«ثم دخلها ليلاً، فظن أهلها أنه الحسين عليه السلام، فتباشروا بقدمه، ودنوا منه» (٣).

الذهبي:

«فاعتقد أهل الكوفة أنه الحسين وهو متلثم، فجعلوا يقولون: مرحباً بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله» (٤).

الذهبي:

(١) مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٤٤.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣٤٤.

«فبادر متعمماً متنكراً، ومَرَّ في السوق، فلَمَّا رآه السفلة اشتدوا بين يديه، يظنونهم الحسين، وصاحوا: يا ابن رسول الله! الحمد لله الذي أَرَانَاكَ. وقبلوا يده ورجله» (١).

ابن كثير:

«فلَمَّا دخلها دخلها مثلثاً بعمامة سوداء، فجعل لا يمرّ بـمِلاً من الناس إلّا قال: سلام عليكم. فيقولون: وعليكم السلام، مرحباً بابن رسول الله يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه وتكاثر الناس عليه، ودخلها في سبعة عشر ركباً» (٢).

ابن الصبّاغ، الشبلنجي:

«وصار كلّما اجتاز بجماعة يسلم عليهم، فيقومون له ويقولون: مرحباً بابن رسول الله ظناً منهم أنه الحسين» (٣).

المحلّي:

«فأقبل عبيد الله في وجوه أهل البصرة حتّى قدم المدينة مثلثاً، فلا يمرّ على مجلس من مجالسهم فيسلم عليهم إلّا وقالوا: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنون أنه

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١ عن ابن سعد.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

(٣) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

الحسين بن علي عليه السلام» (١).

الطريحي:

«فلَمَّا وصل الكوفة دخلها وهو متلَمِّمٌ وبِيده قضيب خيزران وأصحابه من حوله، فجعل لا يَمْرَبُلاً إِلَّا وسَلَّمَ عليهم بالقضيب، والناس يردّون عليه السلام، ويزعمون أنّه الحسين لأنّهم كانوا يتوقّعون قدومه» (٢).

القندوزي:

«فلَمَّا وصل الكوفة وهو متلَمِّمٌ وبِيده قضيب من خيزران، وأصحابه حوله، فلا يَمْرَبُلاً إِلَّا سلّم عليهم بالقضيب، وهم يظنّون أنّه الحسين، لأنّهم يتوقّعون قدومه» (٣).

مقتل أبي مخنف (المشهور):

«فسار ابن زياد (لعنه الله) حتّى دخل الكوفة، وكان دخوله ممّا يلي البرّ، وعليه ثياب بيض، وعمامة سوداء ملثماً كلثام الحسين عليه السلام، وهوراكب بغلة شهباء، وبِيده قضيب من خيزران، وأصحابه من خلفه، وكان قدومه يوم الجمعة، وقد

(١) الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(٢) المنتخب للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي: ٣٣٥.

انصرف الناس من الصلاة وهم يتوقعون قدوم الحسين عليه السلام،
فصار لا يمر بمأمن الناس إلا ويسلم عليهم بقضيه، وهم
يظنون أنه الحسين عليه السلام، فيقولون: قدمت خير مقدم يا ابن
بنت رسول الله صلى الله عليه وآله» (١).

الساوي:

«فظنّ الناس أنه الحسين عليه السلام لتشبهه به لباساً وتلثمه.
فدخل القصر، والنعمان يظنّه الحسين، والناس تقول له:
مرحباً يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتتبعه. فسدّ النعمان باب
القصر، فصاح به: افتح، لا فتحت، فعرفه وفتح الباب، وعرف
الناس كلمة عبيد الله. فانكفأوا وانكفوا، وبات مسلم والناس
حوله» (٢).

أسد حيدر:

«يحيط الغموض بكيفية دخول ابن زياد الكوفة ويكتنف هذا
الموضوع جهالة تدعو إلى كثير من التساؤل:
فهل دخلها في وضح النهار بهيئة أمير جديد تحوط به حراسه
ويتبعه جنده ويستقبله أعوانه؟ أم دخلها متنكراً لا يعرف من

(١) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤.

(٢) إِبصار العين للساوي: ٤٢.

هو؟ وهل صحيح أنه دخل بزيّ أهل الحجاز معتمّاً بعمامة سوداء، فظنّ الناس أنه الحسين؟ وهل وقعت مصادمات عند دخوله كما في بعض النصوص؟ أم أنه دخل بصورة سلمية؟ والذي يظهر من التتبّع ويوضّحه سير الحوادث، هو أنّ توجّه ابن زياد إلى الكوفة، وتولية أمرها قد سبق خروجه من البصرة، وذلك عن طريق جهاز الدولة، ليكون أنصار الأمويين على أهبة الاستعداد لقدومه، خشية من الطوائى التي تعترض دخوله.

وعندما شاع نبأ توجّهه قويت عزائم العثمانيّة، ونشط الأمويّون وأصابت الخوارج خيبة أمل لعلمهم بعداء ابن زياد لهم، إذ عاملهم في البصرة بشدّة حيث قتلهم بدون رحمة، وشرّدهم في البلاد، وهنا لابدّ أن يعدّوا العدة للتخلّي عن كلّ مشاركة في أيّ أمر يثير غضبه عليهم، كما لابدّ من أن يظهروا بمظهر الولاء للدولة، حقناً لدمائهم، وإبقاءً على نفوسهم، فيتعاونوا مع ابن زياد للقضاء على عدوّهم.

ومقتضى واقع الأمر أن يزيد لم يعتمد على ابن زياد، كفرد يتمتّع بقوة وله خبرة سياسيّة فقط، فيدخل الكوفة أعزل من السلاح والمجند، بل لابدّ وأن يكون مزوّداً بقوة ذات عدة

وعدد كافٍ، لخوض معركة حاسمة، وتقرّر مصير العهد الأمويّ، بالإضافة إلى العناصر الموالية للأمويّين، فهي على استعداد للوثبة عندما يجمع شملهم قائد له خبرة ودهاء، وكان قدوم عبيد الله فاتحاً، وقد توجّه إلى الكوفة بجيش قوامه خمسمائة فارس على أقلّ إحصاء!!!

وقد صحب معه جماعة من وجوه أهل البصرة ورؤساء القبائل من الذين لهم نفوذهم بالكوفة وعشائريّون إليهم، وهؤلاء يقومون بدور الدعاية والتخذيّل.

ويظهر من بعض المؤرّخين القُدّامي: أنّه عند قدوم عبيد الله الكوفة اصطدم بجيش الشيعة الذين سارعوا لصدّه عن الدخول، ولكنّه أسرع، فدخل القصر وأغلق بابه» (١).

* * * * *

تضمّنت النصوص عدّة مواقف، ينبغي الفصل بينها ليتسنى مراقبتها وتمحيصها وتشخيصها وتحديدّها بوضوح، فنّها ما يرسمه الناس ومنها ما يرسمها النعمان ومَن معه، لذا سنتابعها كلّ على حدة:

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ٩٢.

موقف الناس!

من الذي توهم؟

لقد وصفت المتون التاريخية الذين رأوا ابن الأمة الفاجرة فخالوه سيّد الشهداء (عليه السلام)، وتوهموه ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بصفات يصلح كلّ واحد منها أن يكون عنواناً خاصّاً رغم تداخل بعضها ببعض بيد إتنا أفردناها للتمييز:

الواهم الأول: السفلة!

وصف ابن سعد وابن عساكر وابن منظور في المختصر، الذين ظنّوا ابن الأمة الفاجرة القادم عليهم أنّه سيّد شباب أهل الجنة وأنه الحسين (عليه السلام) المنتظر، بقولهم: «فلما رأته السفلة وأهل السوق»^(١)، وتبع الذهبي ابن سعد بيد أنّه اقتصر على وصفهم بالسفلة، ولم يحشر أهل السوق معهم^(٢) رغم أنّه يروي عن ابن سعد.

وربما لا يخفى على المطالع ما في هذا التعبير من الازدراء والتنقيص والاستصغار والطعن المسموم والتعريض بأنصار سيّد الشهداء (عليه السلام)

(١) ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر

ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١ عن ابن سعد.

والمناصرين له والمتابعين له، وإن كان الموقف قد تكشّف بعد حين ليس ببعيد، وعرف الجميع أنّ القادم هو غير ریحانة النبي صلّى الله عليه وآله، بيد أنّ نماذج المستقبلين والمحتمّين به هم هؤلاء، السفلة! هؤلاء هم من كان ينتظر قدوم الإمام الحسين عليه السلام ويتوقّعه ويهبّ لمناصرته، وليس للوجهاء والشرفاء وعلیّة القوم موضع هنا؟!!

هؤلاء هم الذين اشتدّوا يقبلون يده ورجله ويحمدون الله أن أراهم وجه ابن رسول الله ^(١)، وبالتالي هؤلاء هم الشيعة والأنصار الذين كانوا ينتظرون قدومه، وهؤلاء هم الذين ينوون محاربة القردة النازية على منبر الرسول صلّى الله عليه وآله، وليس العسكر الذي يحارب الأمويّين إلّا هؤلاء السفلة!!

الواهم الثاني: الناس

ربما كان هذا العنوان متداخلاً مع ما يليه بيد أننا أفردناه لاختلافه بالعموم والخصوص والسعة والضيق من حيث الاستيعاب للأعداد، أو بيان نوع التجمهر وأسلوب الاهتمام.

وقد ذكر البلاذري والمسعودي أنّ الذين كانوا يتوقّعون ورود الإمام الحسين عليه السلام هم الناس ^(٢)، وهم الذين جعلوا ينتظرون إلى القادم وإلى

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساکر، مختصر

ابن منظور، ٢٧ / ٥٨، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١ عن ابن سعد.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، مروج الذهب للمسعودي: ٣

أصحابه في الليلة المقمرة ولا يشكون أنه الحسين عليه السلام^(١).

وفي هذا التعبير من العموم ما يفيد انتشار رقعة المستقبلين والمتوهمين، وكأنها حالة عامة شملت المجتمع الكوفي حتى أمكن التعبير عنهم بـ«الناس» في الكوفة، والحال أن ما تفيد النصوص الأخرى أنهم أفراد أو جماعات شاهدته من خلال مروره بها، أو تفضّنت له كقادم طرق المدينة.

وربما قيل: إن لفظ «الناس» يشمل الجماعة أو الجماعات ويمكن التعبير عنها وإن لم تكن شاملة للمجتمع الكوفي عموماً، فإن صحّ هذا القول فسيكون المقصود ما ورد في المصادر الأخرى.

الواهم الثالث: أهل الكوفة

عبر البلاذري والذهبي تعبيراً يفيد العموم بما هو أشمل بحيث يصعب حمله على إرادة الجماعة والجماعات كما تأولنا قبل قليل في لفظ «الناس»، إذ أن التعبير هنا بـ«أهل الكوفة»^(٢)، وربما كان هذا قرينة

٦٦ /

(١) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليمة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ /

تضعف التأويل السابق، وتؤكد أنّ أولئك المؤرخين إنّما عنوا بالناس الجموع المحتشدة في الكوفة التي يصحّ التعبير عنها بأهل الكوفة.

الواهم الرابع: المتواجدون في المجالس

ذكر الطبري وجماعة ممن تأخّر عنه أنّ الذين توهّموا وسلّموا على ابن الأمة الفاجرة باعتباره ريحانة النبي صلى الله عليه وآله هم رؤاد المجالس التي مرّ عليها في طريقه ^(١).

الواهم الخامس: الجماعات التي مرّ بها

ذكر الدينوري ومن تأخّر عنه أنّ ابن الأمة الفاجرة دخل الكوفة، وكان كلّما مرّ على جماعة ^(٢) أو ملاً ^(١) ظنّوا أنّه سيّد الشهداء عليه السلام.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزّي: ٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن عساکر، ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار ←

والفرق بين قول هؤلاء ومن سبقهم أنَّ الجماعة والملا أعمّ من رواد المجالس، فربما كانوا تجمّعات أو جماعات في الطرقات أو السوق أو ما شاكل.

إلا أن يقال: أنَّ المقصود بالملا والجماعات هم المتواجدون في المجالس، فيكون المعنيّ واحداً.

الواهم السادس: المحارس!

ذكر الطبري مشهداً فيه غرابة موحشة، إذ يقول: أنَّ ابن الأمة الفاجرة نزل فتنكربثياب مقطّعة من مقطّعات اليمن، واعتجربمعجرة يمانية، فركب بغلته وانحدر راجلاً وحده، فجعل يمرّ بالمحارس، فكلّما نظروا إليه لم يشكّوا أنّه الحسين عليه السلام، فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله، وجعل لا يكلمهم (٢).

ولاندرى ما الذي جعل رجال هذه المحارس يتيقّنون ولا يشكّون أنَّ القادم هو الحسين عليه السلام، وإذا كانوا قد جعلوا محارساً للطريق وللمدينة، فلم لا تبدي أيّ ردّ فعل مقابل القادم الذي جعلت

للشبلنجي: ٢٥٧.

(١) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣، المنتخب

للطريحي: ٢ / ٤٢٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

المحارس من أجل صدّه وإلقاء القبض عليه؟! وهم الذين جدّوا وجهدوا على تفتيش أيّ داخل وخارج ورصدوا جميع الموالج والمخارج بحثاً عن أيّ حركة يمكن أن تكون لصالح سيّد الشهداء عليه السلام.

ربما أراد المؤرّخ إلقاء بذرة لعلّها تربو وتنتج ما يريد تسريبه إلى الأذهان فيما بعد من تصوير الكوفة كلّها بما فيها من جيش وعسكر كان في صفّ الحقّ وأهله وفي عداد الناصر للإمام الحسين عليه السلام.

بيد أنّ الخبر مريض مفضوح العوار، وقد ناقشنا من قبل ما فيه من تناقض وتهافت وغبابة إضافة إلى تفرّده.

الواهم السابع: من رآه

ذكر ابن شهر آشوب تعبيراً فيه دقّة واختلاف عن تعابير الآخرين، إذ يقول: «ودخلها بغتة في الليل وهو ملتمّ، فزعم من رآه أنّه الحسين، فكانوا يقولون: مرحباً يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم»^(١)، فهو زعم ليس إلّا، فكأنّ ثمة من يزعم من دون تحقّق من زعمه ودعواه، فهو لم يحكم أنّهم كانوا صادقين، وأنّهم لم يشكّوا في اعتقاد أنّ القادم هو الإمام الحسين عليه السلام.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنّه لم يحدّد أنّهم كانوا جماعة، أو

ملاً، أو أنهم كانوا في مجالسهم أو محارسهم، أو ما شاكل، وإنما كان ابن الأمة الفاجرة مستطرقاً، وكان ثمة ناس في الطريق، وفي هؤلاء الناس من رآه والتفت إليه، وزعم أنه تصوّره الإمام عليه السلام، لأنه قد طرق المدينة بغتة وعلى حين غفلة من أهلها!

الواهم الثامن: امرأة

انفرد ابن نما رحمته الله بتصوير المشهد، فهو يروي أنّ ابن الأمة الفاجرة إنما تأخر حتى أمسى لئلا يظنّ أهل الكوفة أنه سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام! وأنّ من التفت إليه أولاً وصرخ وجمع الناس حوله إنما هي امرأة واحدة لا غير، فهي التي صاحت: «الله أكبر ابن رسول الله، وربّ الكعبة، فتصايح الناس»^(١)..

الواهم الثامن: المنصرفون من صلاة الجمعة

ورد في مقتل المشهور لأبي مخنف تصوير تفرّد به عن باقي المصادر حيث جعل دخوله نهراً جهاًراً في وقت الازدحام، وانصراف الناس من الصلاة يوم الجمعة، فصار لا يمرّ بلاً إلا ويسلم عليهم بقضيه^(٢).

(١) مثير الأحران لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩.

(٢) مقتل أبي مخنف (المشهور): ٢٤.

وقفات سريعة

بعد ما سمعنا من استعراض للنصوص ومحتوياتها في هذا المقطع التاريخي، ومؤديات كلمات المؤرخين، سنتوقف قليلاً لمناقشتها مناقشة سريعة ضمن الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: تعدد العناوين

لاحظنا أنّ الذين تَوَهَّموا وظنّوا أنّ القادم الغريب هو سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام يمكن تصنيفهم من خلال النصوص الواردة إلى أكثر من عنوان، ربما استعصى - بعضها عن الاجتماع ومحاوله افتراض اتحاد المقصود، إلّا أن يقال: إنّ الاختلاف بينها في بيان أوّل المتوهّمين، فهم في قول ابن سعد السفلة، وفي قول ابن نما امرأة، وفي إحدى روايات الطبري المتواجدون في المحارس، أو المتواجدون في المجالس، وهكذا..

بيد أنّ هذا الفرض لا يساعد عليه سياق عبارات بعضهم.

وكيف كان! سنغضّ النظر عن هذا الاختلاف في تعيين المتوهمين!

الوقف الثانية: الاتفاق على التوهم

لواخذنا القدر الذي اتفق عليه جميع من روى الحادث، نعرف أنّ ثمة توهمًا حصل عند جماعة أيّا كانت، وتحت أيّ مسمّى أو عنوان، وهو ربما يكون ممكناً إذا حصرناه في أفراد معدودين أو امرأة أو مفرزة واحدة من المحارس، أمّا أن نتصوّرها في أهل الكوفة، أو أهل المجالس، وجميع أهل المحارس التي مرّ عليها، وجميع من خرج من الصلاة يوم الجمعة، فهو أمر لا يمكن الاستسلام له بسهولة.

أجل! قد يرقى إلى مشهد يمكن استساغته بتصوير التأثير بالعقل الجمعيّ والانسحاق للإذاعة والشائعات، كأن تصرخ امرأة فيستجيب الناس من دون تدبّر ولا تحقيق، أو يتوهم أهل مفرزة في المحارس فيتخابر الناس ويشيع الخبر من دون متابعة منهم وتبيين.

وهذا التفسير للموقف ربما يقبل لو سلم الخبر من المناقشات

الأخرى.

الوقف الثالثة: الدخول ليلاً!

تكاد تتفق المصادر - عدا المقتل المشهور - على أنّ الجرو الأمويّ

طرق الكوفة ليلاً في أوله بعد المساء، أو بعد أن مضى هزيع منه، فلا يلتفت إلى المقتل المشهور بعد مخالفته للمصادر جميعاً وتفزذه بذلك.

فإذا كان الدخول في الليل، فهذا يعني أن المناهج والشوارع قد فرغت من المارة، أو خفت فيها حركة الناس، لأن الناس كانوا يومها يتحركون على ضوء النهار، فإذا جتّهم الليل وهبط الظلام تفرّقوا قبل ذلك إلى منازلهم ونواديمهم التي تحيط بها دورهم ومنازلهم، ولا يخرج منهم أحد إلا لضرورة تستدعي ذلك، فلا يمكن افتراض تجمعهم الناس وتكاثر أهل الكوفة عليه.

الوقفه الرابعة: التأكّد من أنّه الحسين عليه السلام!

أخبر المؤرّخ في أكثر المصادر أنّ القوم قد تأكّدوا واعتقدوا، ولم يشكّوا أنّ القادم إنّما هو الإمام الحسين عليه السلام لا غيربتاناً!

وقدّم تعليلاً وحيداً لحصول اليقين بذلك، وهو أنّهم كانوا يتوقّعون قدوم سيّد الشهداء عليه السلام.

بلد مثل الكوفة، بكثافتها السكّانية وامتداداتها القبليّة والعشائريّة، وعلاقاتها المترامية الأطراف بالشام وبلاد فارس والحجاز واليمن، وما أكثر القبائل اليمنيّة وغير العرب فيها، ومركزيّتها بين البلدان، وسوقها العامرة التي تردها التجّار والوفود من كلّ صقع ومكان، وغيرها من العوامل والأسباب التي تجعلها ممزّراً ومراحاً ومقصداً للقوافل والأفراد

والجماعات، يدخلها ركب فيه عدّة رجال فيجزمون أنّ القادم هو ابن رسول الله لا غيره؟! وإن كانوا يتوقعون قدوم الإمام عليه السلام، ولكن الكوفة لم تكن نائية بعيدة لا يدخلها إلا من قصدها، ولم تكن منزوية بعيدة عن الجوّاد والطرق كقرية منقطعة بحيث لا يصلها سوى من تعمّد الوصول إليها، فلا يمكن أن يكون هذا الركب القادم إلا الركب المترقّب الموعود..

حركة القوافل وعدد الداخلين والخارجين منها في كلّ يوم وفي كلّ حين عدد كبير بحكم مركزيّتها وموقعها الجغرافي، وامتدادات سكّانها والعشائر القاطنة فيها، فلا معنى لانحصار الركب الداخل في أذهان الناس بالركب المتوقّع الوصول على نحو الخصوص مع عدم احتمال غيره بتاتاً بحيث يعتقدون ويجزمون ولا يشكّون!

الوقفه الخامسة: علّة التوقع

لقد جاء في مقام تعليل توهم من توهم أنّ القادم إنّما هو ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ السفلة! - كما سمّاهم ابن سعد ومن تلاه -، أو الناس كانوا يتوقعون قدوم سيّد الشهداء عليه السلام.

وهذا التعليل - كما يبدو للناظر في المتن - من الراوي والمؤرّخ، وليس من السفلة أو الناس أنفسهم، فهم لم يصرّحوا بذلك ويعلّلوا به سبب اعتقادهم وجزمهم بحيث لا يشكّون أنّ القادم هو الإمام

الحسين عليه السلام.

وذلك يعني أنّ المؤرّخ نفسه لم يجد مبرراً لهذا التوهّم والاعتقاد، فحاول تبريره وبيان علّة له تدعو المتلقّي لقبول هذا الحدث الغريب الذي لا يقنع القارئ للوهلة الأولى.

الوقفه السادسة: هل للتوقع مسوّغات؟

لم يكن الفاصل الزمني بين دخول ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة ودخول المولى الغريب عليه السلام بعيداً واسعاً، ولم يكن سيّد الشهداء عليه السلام قد وعد أهل الكوفة بالمجيء والقدوم عليهم مطلقاً، حتّى يكون الناس في حال ترقّب وتوقع لقدمه، إذ إنّهُ علّق مجيئه إلى الكوفة على ما سيقرّره له المولى الغريب عليه السلام من تطابق الكتب والرسل مع ما يظهر من النوايا واتّفاق أهل الحجى والرأي منهم، ولم يكن المولى الغريب عليه السلام قد أخبر أنّه قد كاتب سيّد الشهداء عليه السلام أو أنّه بشّر بقدمه، أو وعد القوم بذلك. لقد دخل ابن الأمة الفاجرة إلى الكوفة في البدايات، ولم يكن أيّ وعد من سيّد الشهداء عليه السلام، ولا من مبعوثه بالقدوم، وإن كانت ثمة أمنيات تراود بعض الكوفيّين ممّن كاتب الإمام عليه السلام، فلا ندري كيف برّر المؤرّخ توهّم الناس بتوقع قدوم الإمام الحسين عليه السلام؟! والحال أنّ سفيره ومعتمده عليه السلام لم يبد أيّ توقّع أمام الناس، ولم يدعهم إلى استقبال من قبل، أو يشير لهم أيّ إشارة إلى اقتراب موعد اللقاء بوجه الله ووجه

رسوله وسيد شباب أهل الجنة ؑ؟!

ومن هنا يضطرّ القارئ أن يقف وقفة طويلة وهو يترّعبارة الطبري وهو يقول: «والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين قدم عبيد الله أنّه الحسين (١)».. كيف أرسل جملة من المقدمات إرسال المسلّمات، وباغت بها ذهن المتلقّي بحيث لم يجعل له محيصاً من قبول النتيجة دون تردّد..

والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم.. كيف؟ ومتى؟ ومن الذي بلغهم؟ ولم يكن يومها أيّ كلام عن إقبال الإمام ؑ، ورّتب على هذه المقدّمة التي لا أساس لها مقدّمة أخرى، فقال: فهم ينتظرون قدومه، لأنّهم قد بلغهم إقباله، فلا بدّ أن يكونوا ينتظرون القدوم، فتكون النتيجة أنّه من الطبيعي جدّاً أن يظنّوا أنّ القادم هو الحسين ؑ!!

الوقفة السابعة: تقارب الصفات

لقد عاش سيد الشهداء ؑ في الكوفة سنين أيّام خلافة أمير المؤمنين ؑ، وكان رجال الكوفة وشخصيّاتها يتردّدون على المدينة قبل أن تنعم الكوفة بحكم سيد الوصيّين ؑ، وكان وجه سيد شباب أهل الجنة وشخصه ؑ معروفاً لديهم، وقد التقوه وعرفوه كما يعرفون

أبناءهم.

كما كان ابن الأمة الفاجرة قد عاش في الكوفة رداً من الزمن، وهو من الأذنان الطويلة البارزة، وقد تميّز بين جراء الأمويين وكلابهم، والكوفة تعرفه تماماً كما تعرف أباه الذي أذاقهم الويلات، وصلّب قاماتهم على جذوع النخل، وسمل أعين عيونهم، وجزّ رؤوس جماجمهم. ولم يكن القادم الموعود والقادم الداخل على حين غفلة مجهولان لا يعرفهما أهل الكوفة.

والفرق بينهما بعد المشرق والمغرب بل أكثر، تماماً كالفرق بين معدن الطهر ومعدن النجاسة، وبين الجنة والنار، ومطلق الجمال وغاية القبح، وسموّ الحسن وحضيض السوء والرداءة، وكلّ الإشراق والنور والتألق، وكلّ الظلام والعتمة والضمور، وبكلمة: لا يقاس أحدهما بالآخر، ولا يوجد ما يكون جامعاً بينهما بتاتاً، لا شبه بينهما خلقاً وخلُقا ومنطقاً، فسيد الشهداء عليه السلام طوال مرتفع القامة عريض ما بين المنكبين شامخ.. ووجه الحسين عليه السلام وجه الله وأشبه الخلق برسول الله، وكان ابن زياد دميماً قبيحاً..

وكيف كان! ليس بينهما ما يولّد الوهم خلقاً وخلُقا، والكوفة يومها تضمّ رجالاً كثيرين يعرفونهما عن قريب، فما هو المسوّغ لوقوع الوهم.. إلا أن يقال: إنّ الذي توهم واحد أو أكثر بقليل، وهو ينسجم مع

تعبيرات بعضهم، وتأباه النصوص الأخرى.

أيريد المؤرّخ أن يوحى للمتلقّي أن ابن زياد فيه من الصفات المشتركة مع خير البشر بعد جدّه وأبيه وأمّه وأخيه ممّا يجعل التوهّم ممكناً؟! لقد جهدوا أن ينتشلوا أحوال قيعان المستنقعات الأمويّة العفنة وطحالبها المخاطية اللزجة ويرتفعوا بها إلى مستوى البشر، ودفعتهم وقاحتهم ومنابتهم القدرة أن يمّوهوا دمن القروء لتقاس بمن اصطفاهم الله واجتباهم واختارهم وفصلهم على العالمين.. حتّى صار أمير المؤمنين ومولى الموحدين وأخو رسول ربّ العالمين وأولاده المعصومون يقاسون إلى تلك النظائر!!

ولو تأمل المطالع للتاريخ لعلم أنّ هذا التعبير يؤدّي تماماً إلى ما عبّر عنه ابن سعد ومن تلاه، لكن بطريقة فيها من الدهاء والالتفاف ممّا يجعله كلاماً مستساغاً لا يستوحش منه القارئ ولا ينفر منه طبعه، ويقبله من حيث لا يجد تلك الفضاضة والعدوان..

فهم لم يصرّحوا أنّ من استقبل سيّد الشهداء عليه السلام وتصايح فرحاً بقدمه كانوا جماعة من السفلة والسوقيّة، كما فعل ابن سعد، بيد أنّهم جعلوا المبتهجين والمستقبلين جماعة لا تكاد تميّزين سيّد الشهداء عليه السلام وبين ابن الأئمة الفاجرة، ولا يكون هؤلاء بهذه الصفة إلّا إذا كانوا من السفلة والسوقيّة، ولو كانوا من وجوه القوم وعليّة الكوفة وأشرافها،

فإنهم - لا شك - لا يخفى عليهم أمرهما، وهما معروفان معرفة تامة عند هذه الشريحة من المجتمع الكوفي، إذ أنها عاشت معهما عن قريب واتصلت بهما اتصالاً وثيقاً..

الوقفة الثامنة: وجوه أهل البصرة

مما يؤكد أن ليس فيمن توهم واعتقد أن القادم هو سيد الشهداء عليه السلام أحد ممن يسمّونهم وجوه الكوفة وأشرافها ورؤوسها، أن شخص ابن زياد قد يكون مجهولاً لهم إذ أنه تنكروا له، غير أن مرافقيه لم يروا التاريخ أن أحداً منهم فعل ذلك أيضاً، بل مفاد النصوص أن الجرو الأموي وحده فعل ذلك، وكان في الرفقة - حين دخل - وجوه أهل البصرة كما يقولون، فهلاً عرف أحد وجوه الكوفة وجهاً من وجوه البصرة؟!

وفي هذا شاهد على تقارب تعبير ابن سعد وتعابير الآخرين، والفرق في فجاجة اللفظ وصراحته المقذعة.

الوقفة التاسعة: توهم الجميع

نقرأ في النصوص الأكثر أن ابن الأمة الفاجرة كلما مرّ بمجلس اعتقد أهل ذلك المجلس أنه سيد الشهداء عليه السلام، وكلما مرّ بملاً أو جماعة لم يشكوا أنه هو! وأن كل من رآه من السفلة!! وكل من شاهده من أهل

السوق وصل إلى هذه القناعة..

فربما توهمت امرأة وصرخت، أو توهم رجل وصاح، في موضع محدد، فخدعت الصرخة من حضر هناك، وتبع الناس الصيحة التي سمعوها، أمّا أن يتوهم أهل المجالس وأهل السوق والسفلة! والجماعات والملا المتواجد على الطريق مع اختلاف تجمعاتهم وأفرادهم ومجموعاتهم وتباعدها بحيث يطبق من هو في المجلس الأول مع من هو في المجلس الثاني، ومن هم في الجماعة الأولى مع من تواجد في الجماعة الثانية، وهكذا، فهذا من أعجب العجب، وهو يعني اتفاقهم على شيء لم يخبره أحد فيهم أفراداً وجماعات بحيث لم يشكّ منهم أحد أبداً، وحصلت لهم هذه القناعة جميعاً، وتكرّر هذا التوهم بعدد تكثر الملا والجماعات والمجالس التي مرّ عليها، فهل كان الشبه بين الشخصين متطابقاً متوافقاً لا يخرم أحدهما صورة الآخر بتاتاً؟! وتشابه الركبان كملاً رفقة ونساء؟! فهذا ما لا يمكن تصوّره.. أو أنّ هؤلاء جميعاً كانوا اجتمعوا على هذا الوهم بالذات بقدرة قادر، وتصوير مصوّر عليم خبير؟ أو أنّهم جميعاً من الغوغاء، أو كما عبّر عنهم ابن سعد سفلة وسوقيّة، ينعمون مع كلّ ناعق، ويشورون كالحشرات ويتطايرون كالجراد في وجه كلّ قادم!

الوقفه التاسعة: طول فترة التوهم

اعتقد أهل المحارس، وأهل المجالس، والسفلة وأهل السوق، والملا والجماعات المنتشرون على طريقه من مدخل الكوفة حتى بلغ باب القصر، وكان يسلم عليهم ويسلمون عليه، وبقي الأمر كذلك طول هذه المسافة والفترة التي يقتضيها اجتياز الطريق والمروء بالمناهج والسكك المؤدية إلى قصر الخبال، ولم يتفطن أحد حتى نعق الغراب فيهم، وعرف أنّ هذا ليس الإمام المنتظر الموعود عليه السلام، وإنما هو ابن الأمة الفاجرة ابن زياد! سواء كان الناعق هو المرافق أو النعمان أو غيرهما، المهم أنّ أحداً في الكوفة لم يتفطن، وأنّ رجلاً من كبراء القوم ووجهاء البلد لم يحضر رغم هذه الضجة التي أحدثها الطارق على حين غفلة بحيث يعرف القادم أو يعرفه، ولم يكشف أيّ أحد من وجوه البصرة المرافقة له، ولم يميّز أيّ واحد الفرق بين الركبين، وكأنّ المرأة أو النساء اللواتي حضرن المشهد لم يعرفن الصديقة الطاهرة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام ومخدرات الرسالة اللواتي كنّ في الكوفة قبل حين، ولا يعرفن نساء بني زياد؟!

الوقفه العاشرة: أسباب التوهم

يبدو لمن تابع النصوص أنّ الأسباب التي دعت الناس إلى التوهم عديدة، منها:

السبب الأول: ما له علاقة بابن الأمة الفاجرة

لقد دخل ابن الأمة الفاجرة متنكراً ملثماً وبدّل زيّه، ولبس زياً معيناً غير ما كان عليه، حجازياً كان أو يمانياً أو غيرهما..
وسواء كان تنكره هذا خوفاً أو بقصد إيهام الناظرين وأهل البلد أنه الحسين ؑ، فإن المؤرخ هنا يفيد ويسرّب للمتلقّي ما يلحّ عليه دوماً من كون أولاد الزواني المشهورات يتمتّعون بقدر عالي من الحنكة والفتنة والتقدير الصائبة التي لا تخطئ ولا تتخلف، فإنّه بعمل بسيط وتافه - يفعله كلّ من كان يسافر في مثل تلك الأيام - استطاع أن يوهم الناس ويحقّق ما يريد، وقد فعل فعلاً مثمراً ناجحاً وسلك خطّة ونصب للناس كميناً لم يفلتوا منه..

السبب الثاني: ماله علاقة بسيد الشهداء ؑ

يفهم المطالع أنّ سيد الشهداء ؑ كان قد وعد القوم بالقدوم عليهم وشيكاً في تلك الأيام، فهم يتوقّعون قدومه، وهو تعليل ذكره المؤرخ، كما ذكرنا وناقشناه قبل قليل.

السبب الثالث: وقت الدخول

إذ إنّ ابن الأمة الفاجرة انتظر المساء وكان دخوله في الليل، والليل ستيروبما يصعب معه التمييز، سيّما إذا كان القادم متنكراً ملثماً، فيكون

هذا العامل من العوامل المؤثرة جداً في التوهم، بيد أن الليلة كانت مقمرة على قول ابن أعثم، وضوء القمر يكسر الظلام الدامس، وينور الليل الحالك، ويكفي في تلك الأيَّام لتمييز الركب القادم وإن التبس الأمر في واحد منهم.

السبب الرابع: ما له علاقة بنفس المتوهمين

إذ إنهم كانوا خليطاً عكراً من نكرات الناس ومجاهيلهم وسفلتهم وبعض السوقيين، كذا صَوَّروهم صراحة أو إشارة، فلو كانوا من الرجال والعقلاء وذوي الحجى والرأى منهم لما تعجلوا، ولتمكَّنوا من تمييز القادم، لأنهم يعرفونه ويعرفون سيِّد الشهداء عليه السلام، ويعلمون أن سيِّد الشهداء عليه السلام لم يدهم بالقدوم الفورى مطلقاً، وإنما هو ينتظر ما سيقرَّره له سفيره ومعتمه عليه السلام.

فهم ملأ وجماعات من الغوغاء الذين يمكن أن ينصاعوا لصرخة امرأة، ويستسلموا لتشخيصها من دون أيِّ مراجعة للعقل.. وقد وصفهم ابن سعد ومن تلاه بكلمة فسماهم السفلة، كذا!

الوقف الحادية عشرة: علامات الخوف

لنترك التسمية والعناوين الحقيقيَّة التي تليق بابن الأمة الفاجرة لحظة - ونستغفر الله من ذلك - ونذكر بعض ألقابه وعناوينه الظاهريَّة

التي وسم بها زوراً وبهتاناً وتعدّياً على الله والحق وأهل الحق .. وإنما نفعل ذلك لضرورة البحث ، ليس إلا.

إنّ الرجل المكين الأمين عند السلطان .. والقويّ البطّاش الجريء المقدام على كلّ كبيرة وجريرة ، لا يخاف الله في الباطل ، ولا يحترم النفس التي حرّم الله ، ولا يرى لدم حرمة ، ولا يتورّع عن سفك الدم الذي صار ثار الله ، متوحّش مرعب .. وغد مفترس كاسر ..

والي البصرة والكوفة .. أمير العراقيين .. قائد قطعات أكبر الجيوش وأعظم الثكنات العسكريّة يومذاك ، المتصرّف في ولايته .. مطلق العنان والسلطان واليد في عباد الله وخلق الله أجمعين ..

ابن زياد الفصّ الغليظ الذي أذاق الكوفة وأهلها ويلات الدهر .. يقدم على الكوفة وله فيها جند متجحفلة ، ويغادر البصرة وله فيها عساكر مجنّدة ، ويمشي في رفقة من الوجوه معتمدة ..

ومع هذا كلّه وغيره ممّا لم نذكره ، فإنّه لا يدخل الكوفة معلناً عن دخوله ومعدّاً له ، مع أنّه إنّما دُعي ليقهر الكوفة وأهلها بالخوف والرعب والموت الأحمر ، ويذكرهم بأيّام أبيه وأيّام القرد المترهّل العجوز معاوية ، ويوهن عزائمهم ويخمد جذوتهم ويكمّ أفواههم ويفتّ أعضادهم ، ويخضعهم لسلطان القروذ بالسيف والتهديد والوعد والوعيد ..

اختاروه لتلك الفترة لمعرفة الناس ببطشه وبطش أبيه - في ظاهر

الأنساب - زياد، وقد اكتوى الجميع بنيراهما في الكوفة والبصرة..

وهو يدخل الكوفة بغتة وعلى حين غفلة من أهلها؟!

لا يدخلها إلا متنكراً؟! ملثماً؟!

لا يدخلها بزيه، وإنما يختار له زياً آخر إمعاناً في التنكر والتلبس في

صور الآخرين.. يمانيين أو حجازيين..

لا يدخلها، بل يقف على مشارفها حتى يأتي المساء، ويحيط

الظلام بالآفاق، وتهبط العتمة على البلاد والعباد؟! لا يدخلها إلا

ليلاً؟!

يحاول إيهام الناس أنه الحسين عليه السلام؟!

لا يبدو للناظر الذي يعرف ابن زياد أنه إنما فعل ذلك - إن فعله -

لشيء سوى الخوف! إنه الجبان الذي بقي في قصر الخبال ولم يغادره

خائفاً مرتعشاً مرعوباً حتى استشهد المولى الغريب عليه السلام، لم يخرج حتى

إلى المسجد الذي كان للقصر باب يفتح عليه مباشرة، لم يخرج حتى أمر

أن تدلى المشاعل وتستكشف ما تحت الأظلة وما بينها، ولم يخرج

للناس إلا بعد أن استُبرء المسجد ومُسح مسحاً كاملاً دقيقاً، فخرج

تحوطه الحرّاس والسيوف والحراب..

إنّ الجبان الرعديد الذي شهد البصريّ وغيره بجنبه ^(١) وشهدت له

(١) أتينا على تفصيل ذلك في كتاب «مسلم بن عقيل بين المسجد الأعظم ودار

مشاهده ومواقفه، كشف عن جنبه هنا بشكل مفضوح، فهو قد سمع أنَّ في البلد حركة تشكّل تهديداً له قبل أن يتمكن من مقرّ قيادته، واحتمل أن تواجهه مخاطر وزواجع تعترض طريقه وتصدّه عن الوصول، أو تهجم عليه، أو تغتاله، أو تجهز عليه، أو أيّ فرض آخر، وهو كما قالوا عنه، جبان رعديد إذا كان وحده، بطّاش جسور إذا كان بين رهطه وحرّاسه وفي وضع آمن..

الوقف الثانية عشرة: معالجة الموقف

إذا كان لابدّ من قبول الخبر والتسليم لما ورد في المصادر من قصّة التوهّم واعتقاد الناس أنّ القادم هو سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وتبيّن لهم فيما بعد أنّه ابن الأئمة الفاجرة، رغم المناقشات السابقة وما سيأتي، فلنقتصر على قدر يمكن أن نعالج به الملاحظات والوقفات السابقة، ونقدّم مشهداً ينسجم معها ولا يباينها مباينة عكسيّة تامّة، وربما نقل المؤرّخ عن صورة بصياغة فيها مبالغة مفضوحة...

فلو اقتصرنا على القول بأنّ شيئاً من هذا القبيل قد وقع، وصوّرنا الحدث بهذا القدر بحيث لا يشكّل الحدث ظاهرة ملفّقة للنظر منتشرة

طوعة» وانظر أيضاً: «مسلم بن عقيل معركة القصر»، و«مسلم بن عقيل الحرب الأخير»، و«مسلم بن عقيل وقائع الشهادة»، للمؤلف.

واسعة تشمل رقعتها الناس وأهل الكوفة والجماعات والملا وأهل المحارس وما شاكلها من التعابير، وإنما هو توهم موضعي حصل لامرأة كما صرح ابن نما، فتبعها بعض من حضر، أو أن جماعة، أو أهل مجلس بالخصوص، أو أهل واحدة من المحارس وقع لهم هذا التوهم الذي جرهم للاعتقاد المذكور، فإن هذا ربما يحصل في بلد واسع مترامي الأطراف كثير الحارات والدوائر، يقطنه من كل صنوف المجتمع وشرائحه ومستوياته ومختلف العشائر والقبائل..

خروج الناس لاستقباله!

لفتة:

ذكر المؤرخون استقبال الناس لابن زياد في سياق واحد عند تعرّضهم لدخوله إلى الكوفة بتلك الهيئة الخاصة، فربما كَوّن هذا السياق مشهداً في ذهن المتلقّي يجعله يتابع حركة ابن الأمة الفاجرة بين الناس، فيخال الاستقبال له، والحال أن الناس إنما استبشروا وتصايحوا وتدانوا منه وفعلوا ما فعلوا لاعتقادهم أن القادم هو سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام، فهو في الحقيقة استقبال للإمام عليه السلام وليس لابن الأمة الفاجرة!

صور من الاستقبال:

اشتدّ السفلة بين يديه فجعلوا يقولون لعبيد الله: «يا ابن رسول الله الحمد لله الذي أراناك. وجعلوا يقبلون يده ورجله» (١).
وجعل من في المحارس يقولون: «مرحباً بك يا ابن رسول الله، وجعل لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم» (٢).
«وجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو في ذلك يسلم عليهم، فيردّون عليه السلام، وهم يمشون بين يديه، وهم يقولون: مرحباً بك يا ابن بنت رسول الله! قدمت خير مقدم» (٣).

واستقبله أهل المجالس التي كان يمرّ بها وهم يقولون: «مرحباً بك يا ابن رسول الله، وهو لا يكلمهم، وخرج إليه الناس من دورهم» (٤).
«وقالت امرأة: الله أكبر، ابن رسول الله وربّ الكعبة، فتصايح الناس، قالوا: إنا معك أكثر من أربعين ألفاً. وازدحموا عليه حتّى أخذوا

(١) ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١ عن ابن سعد..

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٣) الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٥، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٤) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

بذنب دابّته»^(١).

«فصار يحتاز بجماعة جماعة، يسلم عليهم، ولا يشكون في أنه هو الحسين عليه السلام، فيمشون بين يديه، ويقولون: مرحباً يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم»^(٢)، «فتباشروا بقدومه ودنوا منه»^(٣).

وهكذا.. والعبائر متقاربة، ولاندري ما إذا كان ابن زياد يسلم عليهم ويردّون، أو أنّ الناس كانوا يسلمون ولا يكلمهم؟!

وكيف خرج الناس من دورهم وبيوتهم واجتمعوا عليه حتّى أخذوا بذنب دابّته وتهافتوا على يديه ورجليه يقبلونها، ويخبرونه بالعدد الذي معه، أربعون ألفاً..

وحدثت كلّ هذه الضجة في الكوفة، وفرغت البيوت من سكّانها، وغصّت الشوارع والطرق بهم، ولم يطر منهم مخبر من هؤلاء الشيعة والأنصار ليخبر سفير الحسين عليه السلام ومعتمده بقدوم الحسين عليه السلام؟! ولم يكن فيهم واحد من أنصار المولى الغريب عليه السلام؟ ولم يخرج أحدهم للاستقبال والتأثير بهذه الضجة العظيمة التي ملأت أجواء المدينة الملتهبة!!

(١) مثير الأحران لابن غما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩.

(٢) مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٤٤.

محاربة جيش الشيعة له وصدّه عن الدخول!

قال الشيخ أسد حيدر - رحمه الله وحشره مع سيّد الشهداء ؑ :-

«يحيط الغموض بكيفية دخول ابن زياد الكوفة، ويكتنف هذا الموضوع جهالة تدعو إلى كثير من التساؤل: فهل دخلها في وضح النهار بهيئة أمير جديد تحوط به حرّاسه ويتبعه جنده ويستقبله أعوانه؟ أم دخلها متنكراً لا يعرف من هو؟ وهل صحيح أنه دخل بزّي أهل الحجاز معتمّاً بعمامة سوداء، فظنّ الناس أنّه الحسين؟

وهل وقعت مصادمات عند دخوله كما في بعض النصوص؟ أم أنّه دخل بصورة سلميّة؟

والذي يظهر من التتبّع ويوضّحه سير الحوادث، هو أنّ توجّه ابن زياد إلى الكوفة، وتولية أمرها قد سبق خروجه من البصرة، وذلك عن طريق جهاز الدولة، ليكون أنصار الأمويين على أهبة الاستعداد لقدومه، خشية من الطوائى التي تعترض دخوله.

وعندما شاع نبأ توجّهه قويت عزائم العثمانيّة، ونشط الأمويون وأصابت الخوارج خيبة أمل لعلمهم بعداء ابن زياد لهم، إذ عاملهم في البصرة بشدّة حيث قتلهم بدون رحمة،

وشرّدهم في البلاد، وهنا لابدّ أن يعدّوا العدة للتخليّ عن كلّ مشاركة في أيّ أمرٍ يثير غضبه عليهم، كما لابدّ من أن يظهروا بمظهر الولاء للدولة، حقناً لدمائهم، وإبقاءً على نفوسهم، فيتعاونوا مع ابن زياد للقضاء على عدوّهم.

ومقتضى واقع الأمر أنّ يزيد لم يعتمد على ابن زياد، كفرد يتمنّع بقوة وله خبرة سياسيّة فقط، فيدخل الكوفة أعزل من السلاح والجند، بل لابدّ وأن يكون مزوّداً بقوة ذات عدة وعدد كافٍ، لخوض معركة حاسمة، وتقرّر مصير العهد الأمويّ، بالإضافة إلى العناصر الموالية للأمويّين، فهي على استعداد للوثبة عندما يجمع شملهم قائد له خبرة ودهاء!! وكان قدوم عبيد الله فاتحاً، وقد توجه إلى الكوفة بجيش قوامه خمسمائة فارس على أقلّ إحصاء!!

وقد صحب معه جماعة من وجوه أهل البصرة ورؤساء القبائل من الذين لهم نفوذهم بالكوفة وعشائريّتمون إليهم، وهؤلاء يقومون بدور الدعاية والتخدير.

ويظهر من بعض المؤرّخين القُدّامي: أنّه عند قدوم عبيد الله الكوفة اصطدم بجيش الشيعة الذين سارعوا لصده عن

الدخول، ولكنه أسرع، فدخل القصر وأغلق بابه» (١).

رحم الله الشيخ وملاً قبره نوراً وسروراً وهوراً وحبوراً... يبدو من طرحه للأسئلة في مواضيع تظافر على نقلها المؤرخون أنه لم يكن مقتنعاً بنقلهم، فشكك فيما نقلوا عن طريق السؤال فقط! ويقول إنَّ الحدث يكتنفه الغموض وتحيطه الجهالة، فهو يسأل ما إذا كان ابن الأمة الفاجرة قد دخل متنكراً ملثماً متخفياً، أو أنه دخل دخولاً رسمياً، والحال أنَّ المصادر المتوفرة بين أيدينا على كثرتها لم تشر أبداً أي إشارة إلى أنه قد دخل دخولاً علنياً رسمياً، بيد أن مقتضيات الحدث تدعو المتأمل في التاريخ أن يكون ثمة تكاتب وتواصل بين المركز والأطراف، وتستتبع إرسال الكتب وتبليغ المهمات، فكما أرسل القرد المخمور إلى جروه في البصرة يأمره بالنزوح إلى الكوفة، يلزم أن يكون قد أرسل إلى ذنبه في الكوفة بالعزل وتسليم الكوفة إلى الوالي الجديد.

ثم يطرح عليه السلام بعض ما يظنّه مناسباً للموقف كاحتمال، وربما ذكر حدثاً كما قال: «ويظهر من بعض المؤرخين القدامى: أنه عند قدوم عبيد الله الكوفة اصطدم بجيش الشيعة الذين سارعوا لصده عن

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ٩٢.

الدخول، ولكنه أسرع، فدخل القصر وأغلق بابه»^(١).

وهو يشير إلى ما ذكره المقدسي في البدء والتاريخ، إذ أنه وثق كلامه به، من دون ذكر للجزء والصفحة، وعند مراجعة المصدر وجدنا العبارة كالتالي:

«فهم إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة وقاتلوه حتى دخل قصره وأغلق بابه، فلما كان عند المساء وتفرق الناس عن المسلم ابن عقيل بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم وعلى هاني ورفعوا مسلماً بين شرف القصر، وقتل أدنى من العضادة، ثم ضربوا عنقه»^(٢)..

فالمقدسي يستعرض باختصار ما جرى منذ أن خرج ابن الأئمة الفاجرة من البصرة حتى وصل إلى الكوفة، ثم يختصر مجريات الأحداث في الكوفة بهذه الجمل المعدودة، ويشير إلى ما جرى من النداء بالشعار وتجمع الناس وتفرقهم الذي أدى إلى أسر المولى الغريب عليه السلام وشهادته، وهو واضح للمتأمل في سياق عبارة المقدسي، ولادلالة فيها على وقوع المواجهة والتصدي له عند دخوله، وإنما يشير إلى انجحار ابن الأئمة الفاجرة في القصر وإغلاق أبوابه بعد أن نودي بالشعار وتجمع الناس ثم

(١) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ٩٢.

(٢) البدء والتاريخ للمقدسي: ٦ / ٩.

تفرّقوا، فبقى المولى الغريب عليه السلام وحده، كما هو المشهور في غيره من الكتب.

فلا يمكن استفادة وقوع المواجهة عند دخوله الكوفة من عبارة المقدسي.

أجل! ربما أمكن الإشارة في المقام إلى ما قاله المسعودي بعد أن عرف الناس أنّ القادم ابن مرجانة، قال: «وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر»^(١).

وهذا إن صحّ، فهو لا يسمّى قتالاً ومواجهة بقصد صدّه عن دخول الكوفة!

ولاندري من أين استفاد عليه السلام أنّ الخمسمائة الذين كانوا معه، هو أقلّ أخصاء، والحال أنّ العدد المذكور هو أعلى الأرقام المذكورة في كتب التاريخ، وقد ذكر على نحو الـ«القيّل»، كما مرّ معنا، وقد تساقط عنه وتأخّر حتّى دخل عُبيد القرود الكوفة وحده، حسب نفس النصّ الذي يذكر العدد..

موقف ابن زياد من الناس

ذكر ابن سعد ومن تلاه أنّ ابن الأمانة الفاجرة حينما رأى السفلة

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

وأهل السوق - كما سمّاهم ابن سعد نفسه - على هذه الحال قال: «لشدّ ما فسد هؤلاء»^(١).

وقد نظر إلى الناس، فساءه تباشيرهم بالحسين وغمّه^(٢)، فغاضه ما سمع منهم، وقال: «ألا أرى هؤلاء كما أرى»^(٣)، «فضرب الباب في وجوه الناس»^(٤)، «ودخل قصر الإمارة، وقد امتلأ غيظاً وغضباً»^(٥)، «فنزل فيه واجماً كئيباً لما رأى»^(٦)، «وكشف أحوالهم، وهو ساكت»^(٧). هذا خلاصة ما تناقله رواة الأخبار في الكتب عن موقف ابن زياد

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩، مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢ ...

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨.

(٤) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٥) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥.

(٦) تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢.

(٧) مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢.

بعد أن رأى ما رأى من الناس، فإن كان قد تنكّر ودخل هذا المدخل الغريب المريب لوالي عتيد مخيف مرعب، كي يستكشف وضع الناس وأهواءهم، فقد حقّق ما يريد وتبيّن للتاريخ فطنته وذكاؤه! وإن كان قد تنكّر وتلّم كي لا يعرف فينجو بنفسه وهو والي البصرة وحاكمها والمعدّ لقهر الكوفة وإخضاعها وترويعها وتركيعها، فقد نجى، وتبيّن لقارئ التاريخ فطنته وذكاؤه!

ولاندرى ما هي الضرورة لهذا الإخراج الفني الدقيق لهذه القصة، وهو حاكم متسلّط غشوم ظلوم عات متجبر كفّار عنيد، يغادر بلداً له فيه عسكري وجيش نظامي متماسك، يهدّد ويزبد ويرعد، ويتوعّد بقتل من سوّلت له نفسه بالإرجاف والخلاف أن يقتله وعريفه ووليّه، وليأخذنّ الأدنى بالأقصى والبريء بالسقيم حتّى يستقيموا، فلا يريد أن يرى فيه مخالف ولا مشاقّ، ويقسم أنّه يفعل ما يريد بهم، لأنّه ابن زياد وقد أشبهه من بين من وطأ الحصى، ولم ينتزعه شبه خال ولا عم^(١).. لقد صدق في الأخيرة، إذ إنّّه لا يعرف له خال ولا عمّ، فهو الدعيّ ابن

(١) انظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٨...

الدعيّ وابن سليله الزنا والبغاء.

وحينما دخل الكوفة، دخلها أميراً والياً متسلّطاً غشوماً عسوفاً متجبّراً طاغياً باغياً، ووحشاً كاسراً، وقد استلم جيشاً منظماً متماسكاً متكامل القوام والقوى، ومنتظم القطعات والعدة والعدد^(١)..

وقد أخبر بتفاصيل ما يجري في الكوفة من خلال كتب القرد المخمور القابع في الشام، ونقولات المخبرين، فلماذا يضطرّ أن يدخل بهذه الهيئة والبزة والزّي المنكر الذي تنكر فيه؟

إلا أن يقال: إنّه قد رسمت له الكوفة كغابة متشابكة الأغصان متداخلة الأفنان من السيوف والحراّب والرماح والأسنة، فصّدق وخاف على نفسه، ودخلها متنكراً! فربما كان هذا التصرّو يسوّغ ما فعل! وهو بعيد!

إلى أين توجّه ابن زياد؟

يمكن تقسيم أقوال المؤرّخين في بيان المكان الأوّل الذي توجّه له ابن الأمة الفاجرة بعد أن دخل الكوفة إلى ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: المسجد

أفاد ابن سعد ومن تلاه أنّ ابن الأمة الفاجرة مضى بعد دخوله

(١) انظر: «مسلم بن عقيل معركة القصر»، وغيره، للمؤلف..

الكوفة حتّى دخل المسجد، فصلّى ركعتين^(١)، وقال الدينوري: «أقبل حتّى دخل المسجد الأعظم، ونودي في الناس، فاجتمعوا، وصعد المنبر»^(٢).. وجاءت عبارة الذهبي جامعة لكلا القولين، إذ قال: «دخل المسجد، فصلّى ركعتين، وصعد المنبر، وكشف لثامه»^(٣).

وهذه الأقوال سواء في إفادة أنّه توجّه أوّل ما توجّه إلى المسجد الأعظم، قبل أن يذهب إلى أيّ مكان آخر، وبناءً على قول الدينوري والذهبي، فإنّه قد باشر مهامّه، وأعلن عن تعليق مخالفته بالكوفة وأهلها قبل أن يدخل قصر الإمارة ويتفقّد محلّ الحكم والسلطنة.

القول الثاني: القصر

ذكر البلاذري في أحد لفظيه أنّ ابن الأمانة الفاجرة قد أقبل حتّى دخل الدار^(٤)، ولا يبعد أن يكون المراد من الدار «قصر الإمارة»، لأنّه كان مركزاً للحكومة ومحلاً لإقامة الحاكم، وقد صرّح في عبارته الثانية أنّه

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١.

(٤) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢.

صار إلى القصر فدخله ^(١)، وعلى هذا جماعة من المؤرخين يتقدمهم الطبري، وقد ذكروا نزوله في القصر فور وصوله تصريحاً ^(٢) أو تضميناً حينما ذكروا ما دار بينه وبين النعمان حتى فتح له باب القصر ^(٣)..

القول الثالث: القصر ثم المسجد

نجد في القول الثالث ما يمكن أن يكون جمعاً بين القولين السابقين

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي:

٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر:

٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن

عساكر، ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥، تاريخ الطبري: ٥ /

٣٥٨، مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦، الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧،

مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠، تجارب الأمم

لمسكويه: ٢ / ٤٢، إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، المناقب لابن شهر آشوب: ٤ /

٩١، مثير الأحزان لابن نفا: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ /

١٨٩، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨، البداية والنهاية لابن كثير: ٨

/ ١٥٣. الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٥، الكامل لابن الأثير: ٣

/ ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤،

نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

حيث ذكر الخوارزمي وتبعه ابن أبي طالب أنّ ابن الأئمة الفاجرة دخل القصر أولاً ثمّ نودي بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج ابن زياد وقام خطيباً^(١)، وكذا أفاد السيّد ابن طاووس، بيد أنّه قال: «فدخل قصر الإمارة وبات فيه إلى الغداة، ثمّ خرج وصعد المنبر وخطبهم»^(٢).

وكيف كان! فإنّ هذا القول ربما كان قد جمع بين الأقوال ورّب الأحداث بما يمكن أن يكون مناسباً لتصوير المشهد، إذ إنّ أصحاب هذا القول جميعاً متأخرون عن أصحاب القولين الآخرين، وربما صرّحوا أنّهم يعتمدون في النقل على بعض من سبقهم في القولين.

وكلا القولين الأوّل والثاني فيهما من الصراحة الواضحة بسبق الدخول إلى أحد الموضعين، بيد أنّ الضرورة تقضي الجمع بينهما كيف ما اتّفق لحلّ التعارض الموجود بينهما.

وربما أمكن الجمع بالقول أنّه دخل المسجد فصلّى ثمّ دخل القصر ثمّ خرج إلى الناس فخطبهم، إنّ في الليل أو في الغداة من اليوم التالي، وهو جمع تبرّعي لا شاهد عليه ولا دليل من النصوص.

ولمن يريد أن يشكّك في أصل القصة، ويناقش في المشهد المرسوم

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢

. / ١٨٠.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ٤٤.

لدخوله بتلك الكيفية أن يجعل هذا التعارض شاهداً على التضعيف.

كيف شخّص الناس ابن زياد؟

يمكن تقسيم المصادر من حيث رواية هذا المشهد إلى أقسام:

القسم الأول: لم ترو المشهد

يلاحظ أنّ جملة من المؤرخين لم يتعرّضوا لذكر هذا المشهد وتصويره سواء منهم من سلك سبيل الاختصار في بيان الأحداث، أو من فصل منهم وأطنب، منهم ابن قتيبة، والبلاذري، والدينوري، واليعقوبي، والطبري في إحدى رواياته، والشجري، والمزّي، والذهبي، وابن الجوزي، وابن عبد ربّه، والباعوني، وابن حبان، وأبو الفرج، وغيرهم كثير.. ويمكن أن يكون إعراض هؤلاء عن نقل المشهد - لأيّ غرض كان - شاهداً لمن أراد التوقّف أو التشكيك.

القسم الثاني: أسفر فعرف نفسه

هذا القسم يشتمل على مصدر يعدّ من أقدم المصادر التاريخية المعهودة على الإطلاق، إذ إنّ أوّل من نقل المشهد بهذا التصوير هو ابن سعد وتلاه آخرون من قبيل ابن عساكر والذهبي وغيرهما، وخلاصة المشهد فيه:

إنّ ابن الأمة الفاجرة مضى. بين جموع السفلة التي اشتدّت حوله

واجتمعت عليه حتّى دخل المسجد فصلى ركعتين والناس ينتظرونه، ثمّ صعد المنبر وكشف عن وجهه الكالح الدميم، فلمّا رآه الناس مال بعضهم على بعض وأقشعوا عنه ^(١).

ويروي المسعودي خبراً يصرّح فيه أنّ الناس عرفوه عند القصر بعد أن كلّم النعمان وحسر اللثام عن فيه فعرفه النعمان، ففتح له، وتنادى الناس: «ابن مرجانة» ^(٢).

وأفاد ابن نما أنّ الناس حينما ازدحموا عليه وأخذوا بذنب دابّته، «فحسر اللثام، وقال: أنا عبيد الله» ^(٣)...

وبغضّ النظر عن الاختلافات في نقل المشهد، فإنّها جميعاً تتحدّث عن أنّ الناس عرفوا ابن زياد لمجرّد أنّه حسر اللثام، عدا ابن نما الذي أضاف أنّه عزّفهم بنفسه بقوله: «أنا عبيد الله»..

فالناس إذن يعرفون ابن الأمة الفاجرة لولا اللثام!! ولا ندري كيف خفي على الناس هيئته العامّة إذا كانوا يعرفونه إذا حسر اللثام، ولا كيف

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ /

خفي على الناس التعرّف إلى المحيطين به من وجوه أهل البصرة من أمثال مسلم بن عمرو، وكيف كان الناس لا يميّزون بين كلاب ابن الأمة الفاجرة وحواري سيّد شباب أهل الجنة ﷺ، ولكن الأمر على قول ابن سعد ومن تابعه هيّ، لأنهم كانوا من السفلة!

القسم الثالث: عزّفه مسلم بن عمرو

صرّح جماعة أنّ أحد مرافقي ابن الأمة الفاجرة ويُدعى مسلم بن عمرو، تلمل من الوضع وأزعجه مشهد تكاثر الناس على سيّده وهم يقومون بواجب التعظيم لغيره، فصاح فيهم ونهرهم في محاولة لتفريقهم عنه وكشف الحقيقة لهم، وقد اختلفت عبارات هذا القسم من المؤرّخين رغم اتّفاقهم على أصل المشهد، وربما كان أوّل من روى ذلك هو الطبري - حسب فحصنا - ومعاصره ابن أعثم، ثمّ تلاهما من تأخّر عنهما من المؤرّخين، فقال الطبري:

«فرأى من تباشيرهم بالحسين ﷺ ما ساءه، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبید الله بن زياد»^(١).

(١) إعلام الوری للطبرسي: ٢٢٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣، وفيه:

«فقال لهم مسلم بن عمرو من جهة يزيد: تأخّروا، هذا الأمير عبید الله بن زياد...»، ولاندرى ما يقصد بقوله: «من جهة يزيد».. فربما يقصد أنّه كان يكلم الناس من قبل يزيد، وهو الممثل عنه في تعريف ابن الأمة الفاجرة إلى

«فأخذ حين أقبل على الظهر، وإثماً معه بضعة عشر رجلاً،
فلما دخل القصر وعلم الناس أنه عبيد الله بن زياد» (١).
وفي النصّ إشعار أنّ الناس لم يتفرّقوا بمجرد إخبار هذا الوغد، وإثماً
انتظروا فتأكّدوا أنه الجرو الأمويّ عندما دخل القصر.
وروى المشهد ابن أعثم فقال:

«فتكلّم مسلم بن عمرو الباهلي، وقال: إليكم عن الأمير
ترابيّة! فليس هذا من تظنّون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد.
قال: فتفرّق الناس عنه ودخل عبيد الله بن زياد قصر
الإمارة» (٢).

وهو يفيد أنّ الناس قد تفرّقوا فور سماعهم كلام الباهلي، قبل
دخول الجرو إلى جحره.

ملاحظة:

يروى ابن أعثم أنّ الباهلي وصف الناس المتجمهرين على ابن الأمة
الفاجرة ظناً منه أنه سيّد الشهداء عليه السلام، بالترابيّة! ويمكن أن يلاحظ في
هذا التعبير إحياءات عديدة، منها:

الناس في الكوفة، باعتباره رسوله إلى ابن زياد..

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨.

(٢) الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥.

الإيحاء الأول: الانتساب إلى أمير المؤمنين عليه السلام

يفيد وصفهم بهذا الوصف في مقام الردع والإبعاد والطرْد والتبكيك والتوبيخ والصدّ، وبهذا الوصف على الخصوص، إذ إنهم كانوا يستخدمونه بخلاف ما هو عليه في الواقع، فيتوهمون ويوهمون أنها سبّة لأمر المؤمنين عليه السلام وأتباعه، فأشعر باستخدامه هنا ضمن تلك الظروف وملابسات الموقف ليوحي أنّ الانتساب إلى أمير المؤمنين عليه السلام سبّة عند هؤلاء البهائم، وهم قد جعلوها كذلك منذ يوم السقيفة..

الإيحاء الثاني: إنهم شيعة

يوحي وصفهم بالترايبية في مقام مخاطبة الأتباع أنّ الذين تباشروا بقدمه وتدانونا منه وتحلقوا حوله كلّهم كانوا من الشيعة بالمعنى الاصطلاحي، أي من أتباع أمير المؤمنين وأبنائه الأئمّة الميامين عليه السلام الذين يعتقد الشيعة أنّهم المنصوبون من قبل ربّ العالمين، والحال أنّ القوم كانوا من الخليط الاجتماعيّ المتلونّ في الكوفة، وربما كان فيهم عدد من الشيعة والأبرار المغمورين، نقول ربما، ولا دليل ولا شاهد على ما نقول سوى الاحتمال الذي لا يصمد أمام أيّ استدلال، وقد ذكرنا في أكثر من موضع من دراستنا حول المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام أنّ الأكثرية الكاثرة التي كانت تقطن الكوفة يومها كانوا من غير الشيعة، سواء الخوارج منهم وغير المسلمين وأتباع السقيفة.. وقد

رَكَزَ الْأُمُيَّوْنَ وَأَدَوَاتِهِمْ فِي مُحَاوَلَةٍ بَائِسَةٍ مَشْؤُومَةٍ مِنْهُمْ لِإِشْعَارِ الْمُتَلَقِّي أَنَّ الَّذِينَ بَايَعُوا وَخَذَلُوا وَعَدُوا عَلَى رِيحَانَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَتَلُوهُ إِنَّمَا هُمْ شِيعَتُهُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

الإيحاء الثالث: التهديد

إِنَّ وَصْفَهُم بِالْتَرَابِيَّةِ فِي ذَلِكَ الظَّرْفِ الْعَصِيبِ فِيهِ وَقَعَ عَنيفٌ مِنَ التَّهْدِيدِ الْمَرْعَبِ الْمَخِيفِ الَّذِي يَعْيه الْكَوْفِيُّ وَعِيًّا كَبِيرًا، حَيْثُ كَانَتْ الْأَوَامِرُ مِنْذُ عَهْدٍ قَدِيمٍ تَنْصُ عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ مَنْسُوبٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ صَرَّحُوا بِذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ وَرِسَائِلِهِمْ إِلَى وَلَائِهِمْ، وَتَتَّبَعُوا الشَّيْعَةَ تَحْتَ كُلِّ حَجَرٍ وَمَدْرٍ، فَقَتَلُوهُمْ وَصَلَبُوهُمْ وَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ وَأَذَاقُوهُمْ أَلْوَانَ الْعَذَابِ وَهَجَّرُوهُمْ وَطَرَدُوهُمْ وَحَاصَرُوهُمْ وَضَيَّقُوا الْخَنَاقَ عَلَيْهِمْ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْمَأْوَى حَتَّى تَقَازِفَهُمُ الْفَضَاءُ الْأَعْظَمُ، وَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمْ.. فَهُوَ يُخَاطِبُهُمْ بِخُطَابٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُؤَثِّرُ فِيهِمْ أَيَّمَا تَأْثِيرٍ..

الإيحاء الرابع: الترابية هم السفلة

مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّ الْمُتَابِعَ لِلتَّارِيخِ سَيَقْرَأُ النُّصُوصَ الْوَارِدَةَ فِي الْمَصَادِرِ رَغْمَ اخْتِلَافِ عَصُورِ كِتَابَتِهَا، وَتَعَدَّدِ الْكُتَّابِ وَالرَّوَاةِ لَهَا، فَلَوْ جُمِعَ النُّصُوصُ مُتَتَّبَعٌ، فَسَمِعَ ابْنُ سَعْدٍ وَمَنْ تَلَاهُ يَصِفُ مِنْ هَبِّ لَاسْتِقْبَالِ ابْنِ الْأُمَةِ الْفَاجِرَةِ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِ«السَّفَلَةِ»، ثُمَّ يَسْمَعُ هَذَا الْوَعْدَ الْمُتَهَالِكِ فِي الضَّلَالِ يَصِفُهُمْ بِ«الْتَرَابِيَّةِ»، تَتَكَوَّنُ فِي

ذهنه صورة عفوية غير متكلّفة أنّ الترابيّة هم سفلة المجتمع!! وليس الترابيّة إلّا الأبرار الأخيار الذين اصطفاهم الله من خلقه وانتجبهم واختارهم على العالمين باختيارهم لحيرة ربّ العالمين وطاعتهم وتسليمهم لجبار السموات والأرضين الخلاق العليم..

القسم الرابع: عرفوه بعد أن تكلم عند القصر

أفاد الطبري في إحدى رواياته، ونقل ابن الأثير والنويري: أنّ الناس تبعوا ابن زياد حتّى وصل إلى باب القصر، فكلم النعمان فسمعه إنسان، فعرفه وأقسم لمن خلفه أنّ القادم ابن زياد، فكأنّهم لم يقبلوا منه، وقالوا له: ويحك إنّهُ الحسين عليه السلام! فلمّا دخل القصر تأكّدوا وانفضّوا^(١).

يبدو من النصّ أنّ في القوم إنسان يمكنه أن يميّز ابن مرجانة من صوته، ولاندرى كيف يبقى هذا الإنسان الفطن العارف بابن مرجانة معرفة دقيقة إلى هذا الحدّ مغفلاً قد انطلت عليه الحيلة طيلة هذه الفترة..

كما يبدو منه أنّ الناس لم يقتنعوا بقول الإنسان هذا رغم قسمه،

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩، الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

فبقوا هناك لولا أنه دخل القصر، فانفضوا..

القسم الخامس: جمع بين القسمين

نقل الشيخ المفيد مشهداً كأنه يريد أن يجمع بين القولين الثالث والرابع، فذكر إخبار مسلم بن عمرو لهم من دون أن يتأثر الناس بكلامه ولم يتراجعوا، وكأنهم لم يسمعوا شيئاً، ثم قال: إنه سار حتى وافي القصر بالليل ومعه جماعة قد التقوا به لا يشكون أنه الحسين عليه السلام، وتكلم مع النعمان فسمعه إنسان تماماً كما أخبر الطبري (١).

وكذا أفاد الخوارزمي وتبعه ابن أبي طالب سوى أنهما قالوا إن الذي سمعه وعرفه جماعة، ولم يرويا قول الناس أنه الحسين عليه السلام رغم الإخبار (٢).

وهنا - أيضاً - لا ندري كيف استمر الناس يتبعونه ويحيطون به رغم إخبار أحد مرافقيه، وهو لم يكن مجهولاً للكوفيين، لأنه من أذئاب الأمويين، ومرافق للقادم الغريب!

وكيف بقي الإنسان أو الجماعة على حدّ تعبير الخوارزمي خلفه، ولم يشك أحد أنه ابن مرجانة وهم يعرفونه معرفة قريبة يمكنهم تشخيصه من صوته؟!

(١) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليمة المجالس لابن أبي طالب: ٢

يبدو أنه جمع يورث الشكّ في أصل القصة أكثر مما يعالج العوار فيها.

القسم السادس: عرفوه من دخوله القصر

صرّح القندوزي أنه يروي مقتل سيّد الشهداء عليه السلام معتمداً على أبي مخنف (المقتل المشهور)، بيد أنه يختلف هنا عنه ^(١) إذ أنّ النسخة المطبوعة من المقتل توّعت الأمر إلى إخبار مسلم بن عمرو، والقندوزي يوعزه إلى دخول القصر، قال: «فلما دخل قصر الإمارة علموا أنه ابن زياد» ^(٢)، وكأنّ مجرّد دخوله القصر كان كافياً لتشخيصه، إذ لو كان الإمام الحسين عليه السلام لما دخل القصر دون صدّ أو مقاومة! بيد أنّ النعمان كان يحبّ العافية ويفضّل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حسب ما كانوا يزعمون!

القسم السابع: لمّا عرفوه

عمد السيّد ابن طاووس إلى ذكر النتيجة دون الإشارة إلى طريق الوصول إليها، فقال: «فلما عرفوا أنه ابن زياد، تفرّقوا عنه» ^(٣)، المهمّ! إنهم عرفوا الجرو، أمّا كيف عرفوه؟ فهذا ما لم يتعرّض له السيّد رحمته الله.

(١) لاحظنا عند تحقيق كتاب ينابيع المودة اختلافاً واضحاً بين النسخة المطبوعة من المقتل المشهور والنسخة التي يعتمدها القندوزي.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ٣٣٥.

(٣) اللهوف لابن طاووس: ٤٤.

موقف الناس بعد أن عرفوا ابن زياد

إضافة إلى مصادر القسم الأول من العنوان السابق التي لم تذكر المشهد من رأس، فإنّ جملة من المصادر التي ذكرت المشهد تجاوزت هذا المقطع ولم تذكر موقف الناس بعد أن عرفوا ابن الأمة الفاجرة^(١).. وتعرّض الآخرون لبيان ما اعترى الناس بعد أن عرفوه وخابت آمالهم، وربما كانت الصور متقاربة بيد أنّها تحمل إشعارات تعبيرية مختلفة:

الصورة الأولى: التفرّق والانفضاض

اكتفى بعضهم بعرض المشهد عرضاً بارداً ليس فيه أيّ إثارة أو مفاجأة أو ردود فعل ملحوظة بدت من القوم، وكأنّهم كانوا يتوقّعون أن يكون القادم هو ابن الأمة الفاجرة، فقالوا: إنّ الناس تفرّقوا وانفضّوا^(٢).. هكذا! تفرّقوا من دون أيّ انفعال يحكي خيبة الآمال، وانقلاب الفرح ترحاً، والسعادة شقاءً، والترقب والتوجّس والتحسّب

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨، إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٥. الإرشاد للمفيد: ٢ /

٤٠. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسلية المجالس لابن أبي طالب:

٢ / ١٨٠. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

اللهوف لابن طاووس: ٤٤.

لما سيطاهم بعد أن كشفوا النوايا وأصحروا ما في الكوا من أمام عدوهم ..

الصورة الثانية: التفرق بعد المفاجأة

رسم ابن سعد ومن تلاه صورة فيها إشعار أن الناس قد مال بعضهم على بعض، وأقشعوا عنه ^(١)، في إشارة إلى ما أصابهم من الوجوم وشيء من الذهول بحيث مالوا على بعض كأنهم يتساءلون ويلوذ بعضهم ببعض، ويتداخلون وقد أقشعوا، فتفرقوا كالغيمة إذا أقشعت.

الصورة الثالثة: تفرقوا خائفين

نجد في الصورة التي رسمها ابن نما مفاجأة مروعة، وخيبة مذهلة، حيث فاجأهم ابن الأمة الفاجرة فحسر اللثام، وقال: «أنا عبيد الله، فتساقط القوم ووطئ بعضهم بعضاً» ^(٢)، كشف عن وجهه الكالح، فألمات القلوب التي كانت تنتظر أن تحيا بالنظر إلى وجه الله ووجه السبط المذكور بوجه رسول الله ﷺ، وعرفهم باسمه، وإذا به سليل البغايا وابن الأدعياء، وهم ينتظرون الطهر ابن الطاهرين، وسليل الأنبياء

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩.

والأوصياء والصالحين، وهم يعرفون ابن زياد، يعرفونه ويعرفون أباه، ويعرفون ماذا يعني هذا الاسم في عالم الإجرام والولع بالولوغ بالدماء البريئة وممارسة التعذيب والإرعاب والترهيب والتخويف، فداهمهم الخوف، وأسقطت المفاجأة بأيديهم، فانتشروا وولّوا هاربين مذعورين مرعوبين من هول ما سمعوا وعرفوا، فجعل بعضهم يظاً بعضاً..

الصورة الرابعة: تفرّقوا خائبين

رسم الطبري ومَن تلاه صورة لا تحكي الخوف والرعب، وإنما تعبّر عن الخيبة والإحباط والانهزام والفشل العميق الذي قضم الأمل، ونخر القلوب المتهاوية، فبدّل الأمل إلى يأس، والاستبشار إلى حزن، والتطلّع إلى المستقبل المشرق الوضّاء إلى اجترار الماضي المؤلم المأساوي الحزين، والانسراح والانفتاح إلى كآبة، إذ إنهم علموا أنّ القادم هو ابن الأمة الفاجرة، تماماً كما صوّره الطبري، فقال: «دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد»^(١).

الصورة الخامسة: تفرّقوا مهاجمين

انفرد المسعودي في رسم المشهد متحرّكاً يحكي شيئاً من العنفوان والغليان، والجرأة والإصهار عن النفرة، والاشتمزاز والتملّص الذي دفع

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

الحضور أن يحصبوه بالحصباء، فيفلت منهم الجرو الأموي ويدخل القصر لينجو بنفسه (١) ..

وهي صورة غريبة بين جميع الصور التي رسمها غيره من المؤرخين، ولا يمكن أن تلتئم مع الانهزام والخيبة والمفاجأة التي داهمت الحضور، إلا أن يقال: إنَّ بعض من حضر فعل ذلك، بيد أنَّ ظاهر النص لا يساعد عليه.

جمع الصور

يمكن أن نجمع الصور في إطار واحد إذا قبلنا أن كل مؤرخ أو راوٍ نقل الصورة، وأشار إلى جانب من الوضع النفسي، أو التأثير والانفعال الذي اعترى الناس، فمنهم من اكتفى بذكر النتيجة النهائية، والآخر حكى ما أصابهم من الخوف والرعب، أو الخيبة واليأس، أو الحزن والكآبة، وهي كلها تحكي تفاعلات يمكن أن تعتمل في النفس البشرية عند مواجهة المواقف العصبية والمفاجأة المروعة ..

موقف النعمان بن بشير

لم يذكر المؤرخون المتقدمون موقفاً للنعمان، سواء منهم من ذكر اجتماع الناس على ابن الأمة الفاجرة، أو من لم يذكر، وكذا فعل غيرهم

مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ^(١)، وكان الطبري - حسب فحصنا - أول من يروي ذلك في إحدى رواياته فقط، ثم تلاه آخرون معدودون، وفيهم من يروي عنه في الغالب، وقد اختلفوا في تصوير الموقف لاختلافهم في التفاصيل^(٢):

(١) انظر: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساکر، مختصر ابن منظور، ٢٧ / ٥٨. الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢ / ٤، المحاسن والمساوي للبيهقي: ٥٠. جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥. جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٤٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٤. تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢١٦. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٤٨، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي: ٦ / ٤٢٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن عساکر: ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٨. الفتوح لابن أعمش: ٥ / ٦٥. العقد الفريد لابن عبد ربّه: ٤ / ٣٧٨، جواهر المطالب للباغوني: ٢ / ٢٦٥. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧. مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣. تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢. المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١. مثير الأحزان لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠. العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩. مطالب السؤول لابن طلحة: ٧٤، كشف الغمّة للإربلي: ٢ / ٤٢. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨. اللهوف لابن طاووس: ٤٤. تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٨٩. تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٣٤٤. سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠١.

(٢) قال الطبري في إحدى رواياته: «وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم، وسمع بهم النعمان بن بشير، فغلق عليه وعلى خاصّته، وانتهى إليه عبيد الله، وهولا ←

يشكّ أنّه الحسين، ومعه الخلق يضجّون، فكلمه النعمان، فقال: أنشدك الله إلّا تنحيت عني! ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتلك من أرب. فجعل لا يكلمه. ثمّ إنّ دنا وتدلىّ الآخريّن شرفتني، فجعل يكلمه فقال: افتح، لا فتحت، فقد طال ليلك ... ففتح له النعمان، فدخل».

المسعودي: «حتّى انتهى إلى القصور فيه النعمان بن بشير، فتحصّن فيه، ثمّ أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله ما لي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم. وحسر اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له».

المفيد: «وسار حتّى وافى القصر بالليل ومعه جماعة قد التّفوا به لا يشكّون أنّه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير عليه وعلى خاصّته، فناده بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فأطلع عليه النعمان وهو يظنّه الحسين عليه السلام، فقال: أنشدك الله إلّا تنحيت، والله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من أرب. فجعل لا يكلمه، ثمّ إنّ دنا وتدلىّ النعمان من شرف القصر، فجعل يكلمه، فقال: افتح، لا فتحت، فقد طال ليلك ... ففتح له النعمان، فدخل.

الطبرسي: «وساروا حتّى وافوا قصر الإمارة، فأغلق النعمان بن بشير عليهم الباب، حتّى علم أنّه عبيد الله بن زياد، ففتح له الباب».

الخوارزمي، ابن أبي طالب: «فتفرّق الناس عنه، وتحصّن النعمان بن بشير منه وهو يظنّ أنّه الحسين، فجعل يناشده الله والفتنة، وهو ساكت من وراء الحائط. ثمّ قال له: افتح الباب لعنك الله».

ابن الأثير، النويري: «وخرج إليه الناس من دورهم، فساءه ما رأى منهم، وسمع النعمان، فأغلق عليه الباب، وهو لا يشكّ أنّه الحسين، وانتهى إليه

ويمكن التأمل في النصوص التي حكّت قصّة وقوف ابن الأمة الفاجرة على باب القصر، وموقف النعمان منه، وملاحظة الإشارات التالية:

عبيد الله ومعه الخلق يصيحون، فقال له النعمان: أنشدك الله إلّا تنحيت عني، فوالله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من حاجة. فدنا منه عبيد الله، وقال له: افتح لا فتحت.. ففتح له النعمان، فدخل».

ابن كثير: «ولما انتهى ابن زياد إلى باب القصر، وهو متلّم ظنّه النعمان بن بشير الحسين قد قدم، فأغلق باب القصر، وقال: ما أنا بمسلم إليك أمانتي. فقال له عبيد الله: افتح، لا فتحت. ففتح وهو يظنّه الحسين، فلما تحقّق أنّه عبيد الله أسقط في يده، فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة».

ابن الصبّاغ، الشبلنجي: «ثمّ إنّّه قصد قصر الإمارة، وجاء يريد الدخول إليه، فوجد النعمان بن بشير قد أغلقه وتحصّن فيه هو وأصحابه، وذلك أنّ النعمان بن بشير هو وأصحابه ظنّوا أن ابن زياد هو الحسين ؑ، فصاح بهم عبيد الله بن زياد: افتحوا، لا بارك الله فيكم، ولاكثر في أمثالكم. فعرفوا صوته لعنه الله، وقالوا: ابن مرجانة. فنزلوا، وفتحوا له، ودخل القصر، وبات به».

تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦. الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠. إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤. مقتل الحسين ؑ للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣. الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

الإشارة الأولى: مورد اتفاق المصادر

اتَّفقت المصادر على الإشارة إلى أنَّ النعمان لم يعرف ابن الأَمة الفاجرة، واعتقد أنه سيّد الشهداء عليه السلام، تماماً كما اعتقد السفلة، أو أهل الكوفة، سواء من عبّر عنه بصراحة أنه لم يشكّ أنه الحسين عليه السلام ^(١)، أو من عبّر أنّه ظنّه الحسين عليه السلام، فخاطبه بابن رسول الله، وناشده أن لا يتعرّض لأمانته.

قال الشيخ أسد حيدر رحمته الله:

«والذي يظهر من التتبّع ويوضّحه سيرالحوادث، هو أن توجّه ابن زياد إلى الكوفة، وتولية أمرها قد سبق خروجه من البصرة، وذلك عن طريق جهاز الدولة، ليكون أنصار الأمويين على أهبة الاستعداد لقدمه، خشية من الطوارئ التي تعترض دخوله» ^(٢).

وهذا النقل يفيد انقطاع النعمان عن جهاز الدولة، وعن الحوادث المحدقة بالقصر، والزلازل الذي ضرب الكوفة فرجّها، والأمواج العاتية التي تخفق شوارع الكوفة وأزقتها وأحياءها، وكأنّه فرد معزول لا حول له ولا طول، ولا يد له ولا رجل، ولا شرطة ولا قوّات أمنيّة ولا عسكريون

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٢) مع الحسين عليه السلام في نهضته لأسد حيدر: ٩٢.

جند ولا جيش ولا عيون ولا جواسيس ، وكأنَّ الكوفة قد أفلتت ، وليس فيها من أنصار القروذ دياراً.. وهذا ما يكذِّبه التاريخ والتأمل في الأحداث.. لم يهتزَّ في الكوفة تلك الأيام إلاَّ أقلية إذا قيست لمجموع سكَّانها وتعداد عساكرها وجندها وشرطتها وحرسها ^(١)..

ولاندرى كيف تمَّ عزل النعمان ونصب ابن الأمة الفاجرة دون أيِّ إخبار ولا إشعار لرأس السلطة في الكوفة المهذَّدة بالانفجار يومها - حسب الفهم السائد - ؟

ولا كيف خفي على النعمان وهو الوالي الآخذ بزمام الحكم يومها في مدينة متمرّدة دخول القادم الغريب الذي طرق المدينة على حين غفلة من أهلها، ولم يخبره جواسيسه وعيونه المنبئين في جميع أرجاء البلد، ولم يبلغه شيء، ولا نقل له أحد ما سمعه من مسلم بن عمرو الباهلي..

ولاندرى كيف جهل النعمان شخص ابن الأمة الفاجرة وعجز التمييز بينه وبين سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام، وهو يعرفهما جيّداً.. ولو خفي عليه شخص ابن الأمة الفاجرة كيف خفي عليه تمييز المرافقين من وجوه أهل البصرة، وهو يعرفهم أيضاً..

وكيف لا يميّز بين ركب ابن رسول الله عليه السلام وركب ابن مرجانة؟! إنَّ النعمان يختلف عن غيره من سكَّان الكوفة، فهو من الأنصار،

(١) أتينا على تفصيل ذلك في غير موضع من دراستنا عن المولى الغريب عليه السلام.

ومَن عاش عمره متقلِّباً في نوادي قريش ومجالس العرب، ويعرف الأشخاص بحكم ظروفه المعيشية والاجتماعية وممارساته ومهامه..

الإشارة الثانية: كيف تخاطبنا

لا تفيد عبارة الطبري شيئاً يتعلّق عن الموضوع الذي خاطب به النعمان عُبيد القروذ، مع أنّه الأقدم في النقل، بيد أنّ المسعودي قال: «ثمّ أشرف عليه»^(١)، وأفاد الشيخ المفيد أنّ ابن الأمة الفاجرة دنا وتدلّى النعمان من شرف القصر فجعل يكلمه^(٢)، وفيه إشارة إلى أنّ النعمان كان على شرف القصر وخاطبه من فوق، وربما أفاد قول ابن الصبّاغ والشبلنجي نفس المعنى لقوله: «فتزلوا وفتحوا له»^(٣).

غير أنّ عبارة الخوارزمي وابن أبي طالب قد لا تفيد ذلك بوضوح، لأنّ سكوته وراء الحائط^(٤) أعمّ من كونه فوق شرف القصر، وكذا عبارة ابن الأثير والنويري، إذ إنّ قوله: «فدنا منه عبيد الله»^(٥)، أيضاً لا يفيد

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠.

(٣) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢.

١٨٠ /

(٥) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

ما أفاد القوم السابقون .

وتفيد عبارة ابن كثير أنَّ الكلام تمَّ من وراء الباب، وإِنَّمَا فتح النعمان بعد أن تحقَّق أنَّ المتكلِّم هو ابن الأُمة الفاجرة^(١).
كيف كان! فَإِنَّ من تأخَّر عن الطبري حاول سدَّ هذه الثغرة في الخبر، ومقتضيات الظروف تقتضي حمل عبارات المتأخِّرين على قول المتقدِّمين، إذ العادة أن يشرفوا من شرف القصر، وهو موضع كانوا يستخدمونه للاتصال بخارج القصر، كما صنعوا في مخاطبة الناس حينما أرادوا تفريقهم بعد أن تجمهروا حوله أثناء ما يسمّونه: «معركة القصر»..

الإشارة الثالثة: من الذي بدأ الخطاب؟

يبدو من عبارة الطبري وغيره أنَّ النعمان هو الذي ابتدأ بالخطاب وناشد القادم أن يتنحَّى عنه^(٢)، فيما أفاد الشيخ المفيد أنَّ بعض من كان مع عُبيد القُرود ناداه ليفتح لهم الباب، فأطلع عليه النعمان وناشده^(٣)، وصرَّح ابن الصَّبَّاح والشبلنجي: أنَّ ابن زياد صاح بهم

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠.

افتحوا^(١).

الإشارة الرابعة: كلام النعمان

لو سلّمنا أنّ حيلة عُبيد القُرود انطلت على النعمان وأصحابه وأصحاب المحارس والمسالخ والشرطة والجند والسفلة والناس أجمعين، وأنّ النعمان لم يخبر بالعزل والنصب الجديد، وأنّه لا يعرف ابن مرجانة، ولا يعرف سيّد الشهداء عليه السلام ولم يستطع هو ولا أجهزته التمييز في ذلك الموقف العصيب المتهب، فإنّ مَنْ روى كلام النعمان مع القدام الجديد، أكّد أنّه اعتقد أنّ القدام هو سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وكلمه وفق هذا الاعتقاد، ويمكن أن نلقي نظرة سريعة على مضامين كلامه^(٢):

(١) الفصول المهمة لابن الصّبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

(٢) قال الطبري في إحدى رواياته: «فكلمه النعمان، فقال: أنشدك الله إلّا

تنحيت عني! ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتلك من أرب».

المسعودي: «حتى انتهى إلى القصور وفيه النعمان بن بشير، فتحصّن فيه، ثمّ أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله ما لي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟».

المفيد: «فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فأطلع عليه النعمان وهو يظنّه الحسين عليه السلام، فقال: أنشدك الله إلّا تنحيت، والله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من أرب».

الخوارزمي، ابن أبي طالب: «فجعل يناشده الله والفتنة».

المضمون الأول: المناشدة

اتفقوا على رواية مناشدة النعمان للقادم الجديد: أن يتنحى عنه..
ربما أكدوا على ذلك لتأكيد ما ذكره عند الإشارة إلى موقف
النعمان من كونه يحب العافية، ولكن يبدو في تصوير الموقف الكثير من
السذاجة والتبسيط والتسطيح في تعامل والٍ مخضرم، وممارس للسياسة
والقتال، سلّطه الأمويّون على الكوفة في فترة من أخرج فتراتهما، وهم
والنعمان وابن مرجانة يعرفون ظروف الكوفة ومكوناتها وتقلّباتها،
ويعرفون سبط النبي صلى الله عليه وآله وشبل أمير المؤمنين علي عليه السلام..

والٍ يحكم مصرّاً من أهم وأخطر الأمصار، ويتأمر على ثكنة تعدّ من
أعظم الثكنات يومها، ورصيдаً عسكرياً ضخماً يدفع إلى الثغور، وخزيناً
يبعث في المشاتي والمصايف، ويدير جهازاً حكومياً معقداً يضبط من
خلال تشعباته وامتداداته الشاردة والواردة في القطعات العسكرية

ابن الأثير، النويري: «فقال له النعمان: أنشدك الله إلا تنحيت عني، فوالله ما
أنا بمسلم إليك أمانتي، وما لي في قتالك من حاجة».

ابن كثير: «فأغلق باب القصر، وقال: ما أنا بمسلم إليك أمانتي».

تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦. الإرشاد للمفيد:

٢ / ٤٠. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي

طالب: ٢ / ١٨٠. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ /

٣٨٩. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

خصوصاً والبلد عموماً، ولم نسمع بتمرد شمل أجواء العرفاء ومن فوقهم في الأرباع أو الأسباع والعشائر - كعشائر لا كأفراد - ومن يستؤمنهم بالوجهاء والأشراف..

المهم! بلد لا زال يتبع لسلطان القروء، بلد قائم بكل مقومات الحكم، وعلى رأسه والٍ مثل النعمان، يقصده رجل يعتقد الوالي - لأي سبب كان - أنه عدو يريد أن ينقض عليه وعلى حكومته، ويستولي على بلاده وإدارته، ويأتي على سلطانه وسلطان من سلطه، ثم يتدلى عليه من بين شرف القصر، فيناشده أن يتنحى عنه؟!!

هكذا يأتي - حسب القصة ونستغفر الله ونعتذر من مليكنا ومولانا سيّد شباب أهل الجنّة - سيّد الشهداء (عليه السلام) بشكل بارد موهوم، لا خيل ولا رجال، ولا عسكرو ولا أتباع ولا أشياع، إلا بعض السفلة! وسرعان ما تفرّقوا عنه، فدخل البلد على حين غفلة، ويتوجّه مباشرة - دون أيّ تنسيق مع أيّ أحد حتّى مع سفيره ومبعوثه وثقته المولى الغريب (عليه السلام) وغيره من الشيعة - ويمشي على وجهه حتّى يصل إلى باب القصر.. فيخدع النعمان - الوالي الحاكم المتسلّط المتنبّع للأخبار بحكم ضرورة الأحداث وتقلّباتها - فيكتفي بالانحجار في قصره، فيغلق عليه بابه، ثمّ يتدلى عليه من بين الشرف ويناشده بصوت بارد مترخّج تمتطّي الكلمات على شفّيته بتثاقل وتلعثم فيلتمسه التماساً خجولاً: أن يتنحى

عنه !!؟

كأن التبسيط والسذاجة في تصوير الموقف فيه من المبالغة ما يدعو للتريث وعدم استعجال التسليم لها.

المضمون الثاني: أسباب المناشدة

بعد أن ناشد من ظنّه «الإمام الحسين عليه السلام» أن يتنحى عنه أبدى له سببين كما تفيد النصوص:

السبب الأول: حماية الأمانة

أقسم النعمان أنّه لا يسلمّ أمانته ^(١)، وأنه متمسك بها، ولا يرضى التفريط بها، ولهذا دعا سيّد الشهداء عليه السلام وناشده أن يبتعد عنه ويتنحى، إذ أنّ وقوفه على باب القصر يفيد أنه يريد الاستيلاء عليه، وهذا ما لا يكون له أن يتحقّق في أدبيات النعمان..

السبب الثاني: رفض المواجهة والقتال

ناشد الإمام التنحى، لأنّه ليس له في قتاله من أرب، ولا

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦. الإرشاد

للمفيد: ٢ / ٤٠. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن

أبي طالب: ٢ / ١٨٠. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠

/ ٣٨٩. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

حاجة^(١)، وهو لا يريد أن يتورّط بقتال سيّد الشهداء ﷺ ومواجهته، فيدعوه أن يبتعد عنه قبل أن يضطرّه إلى القتال واستعمال القوة. وهنا لا يفوتنا التنويه إلى بعض التذكيرات:

التذكير الأوّل: هل الأمانة هي القصر فقط؟

كأنّ ما سمّاه النعمان بـ«الأمانة» ينحصر في القصر، وفي هذه البقعة التي دارت عليها الأسوار، واحتوت النعمان وأهله وخدمه وحشمه وحرسه.. فلا يهتمّ أن يدخل سيّد الشهداء ﷺ الكوفة، ويستولي عليها، ويجعل لها دار إمارة أخرى، ويحكمها ما دام القصر ومن فيه سالمًا..

فهل يفهم النعمان - وهو الوالي المخضرم في خدمة الأمويين - من الأمانة الولاية والحكم والتسلّط على رقاب الناس، أو القصر وما دارت عليه أسواره؟! فهو قد أغلق عليه باب القصر وناشد القادم أن يتنحّى عنه!

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠. مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

التذكير الثاني: سذاجة تعامل النعمان

في تعبير المسعودي كشف للورطة التي تورط بها النعمان من خلال مناشدته وقوله: «يا ابن رسول الله ما لي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟»^(١).

وهنا أيضاً يشعر المتلقي أنّ النعمان تعامل بسذاجة وعفوية وخطأ أقرب ما يكون من الخبل، إذ أنّ النعمان يناشد سيّد الشهداء ؑ القادم - حسب التصوير العام - للانقضاء على الحكم وطرده القروود وجرائها من الكوفة ثمّ من الشام، وإخراجها من القصر والحيلولة بينها وبين منبر الرسول، يناشده ويعاتبه بهذا الكلام البارد المتهالك، والمنطق الخائر الخائر العاجز والمناشدة المتهاودة.. ما لي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي دون البلدان؟! دعني وما أنا فيه واطلب بلداً غيري، وأنا لا أقاتلك، وهو يظنّ بل يعتقد أنّ هذا سيصرف سيّد الشهداء ؑ عن غايته ويبعده عن هدفه ويقنعه أن يترك القصر للنعمان تسرح فيه القروود والكلاب؟!

أهكذا يتعامل النعمان؟

أهكذا يمكن إقناع سيّد الشهداء ؑ؟

بهذا يمكن أن تنتهي الحركة التي هزّت التاريخ، وكانت منذ أن خلق

الله آدم وقبله، وستبقى إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين؟!!

التذكير الثالث: ما هي ضرورة القصر؟

لو كان القادم هو سيّد الشهداء عليه السلام، كما اعتقد النعمان وغيره من السفلة، فلماذا يقصد القصر وقد انجحرفيه النعمان، وأغلق أبوابه، ولا إرب له في قتاله، ولا إثارة الفتنة، وقد حصر النعمان الأمانة بالقصر دون غيره، فأقسم أنه لا يسلم أمانته، يعني ما أغلق عليه الباب، فليكن النعمان كغيره من أصحاب القصور في الكوفة يومذاك، ممّن له هوى في اتباع القروذ والبقاء على ولاء أولاد البغايا من الأمويين وغيرهم، فكيف كان يتعامل مع هؤلاء سيّد الشهداء عليه السلام فإنه سيتعامل مع النعمان، وهو رجل يحبّ العافية - حسب فرض المؤرخ - فيؤمن له سيّد الشهداء عليه السلام ممراً آمناً يسلكه للالتحاق بغابة أسياده، أو أيّ حلّ آخر، فإنّ سيّد الشهداء عليه السلام لو استقرّ في الكوفة وانصاعت له وبايعته إماماً وحاكماً، فإنّ فيها ما يكفي لتأديب النعمان وإخراجه من جحره..

المهمّ! إذا استولى الإمام عليه السلام على البلد، فما هي ضرورة الاستيلاء على القصر بالذات! والقصر عاجز، وقد رفع راية السلم واجتناب الحرب؟!!

التذكير الرابع: كيف انقطع القصر عن الأجهزة والعسكر؟

نعود هنا مرّة أخرى لتتسائل: كيف كان الحاكم الوالي منجحراً في

قصره، وقد أغلق عليه بابه، ولم تكن له أي صلة بقطعاته العسكرية وامتداداته الأمنية وعيونه وجواسيسه وشرطته وحرسه وحراس البلد والعرفاء والوجوه والأشراف.. والحال أن القصر لم يكن مهّداً ولا محاصراً، ولم يحدث أي حدث في الكوفة يذكر يؤدي إلى انقطاع النعمان عن دوائر حكمه وأجهزته المبنوثة في جميع الأرجاء..

لم يكن أكثر من أن طرق المدينة ركب صغير غريب وتوجّه نحو القصر بكل هدوء ومسالمة، فلا سلاح ولا خيل ولا رجال ولا عدة ولا عدد، ولا تهديد، ولا صخب قتال، ولا زعقات رجال، ولا أبواق ولا طبول، ولا أي شيء آخر..

فالبلد هو البلد، والكوفة هي الكوفة، لم يجتمع فيها الرجال بعد، ولم تتكثّر فيها قوّات ولا جماعات، فلماذا انبحر الوالي بهذه الصورة المشيرة للاستغراب لكل من يقرأها في التاريخ؟!

مهما كان الوالي (النعمان) جباناً، ومهما كان يحبّ العافية، ومهما كان مسالماً، فإنّ في هذا الركب الصغير القادم الواقف على باب القصر تهديداً حقيقياً - حسب مفروض المؤرّخ وتصور النعمان - فلماذا لا يستنجد بالجند، ولا يدعو القطعات العسكرية لحماية البلد جميعاً فضلاً عن القصر؟ أو ليستنجد بالشيوخ والعرفاء والوجهاء والشرفاء وأذئاب الأمويين المنتشرين في الكوفة على الأقل؟

لقد كانت الكوفة ثكنة عسكريّة متماسكة منتشرة في قطعاته وتنظيماته، ولم ينخرم منها شيء.. ولم يكن المولى الغريب عليه السلام يومها قد جمّع الجموع وأعدّ العدة، ولم تكن إقامته قد طالت في البلد..

التذكير الخامس: الاستعجال في المناشدة

لا ندري كيف باشر الوالي مناشدة القادم الغريب المريب قبل أن يدسّ جواسيسه وعيونه، على فرض أنهم قصّروا ولم يعلموه بالحدث الذي دهم المدينة طيلة فترة اجتياز الركب للكوفة حتّى وصوله إلى القصر، ولم ينزل أحد منهم أو يخرج أيّ خارج من القصر من أيّ جهة أخرى، وللقصر أبواب كثيرة من جميع الجهات، فلو أنّ الركب حاصر القصر من جهة ففي الجهات الأخرى سعة، ليخرج منهم أحد ويتأكّد. ومهما كان هذا الركب القادم خطيراً، فإنّه لم يبلغ ما بلغه القوم يوم محاصرة القصر، وكان يومها الطريق سالكاً، وبعض الأبواب شارعة يدخل منها العسكر والأمراء، وتصدر منه الأوامر إلى قطعان القصر المنتشرة في البلد..

التذكير السادس: صعود الوالي إلى شرف القصر ومباشرة المناشدة

ولاندري لِمَ صعد الوالي الحاكم نفسه إلى شرف القصر ليناشد القادم، وليس هذا من دأبهم سابقاً ولا حقاً، وربما عرّض نفسه إلى الخطر، ولا يأمّن أن تصيبه رمية سهم أو حجر أو أيّ سلاح آخر.. ولا

ضرورة لمباشرة الوالي نفسه للمناشدة، والأكثر من ذلك صعوده بنفسه إلى شرف القصر؟!

بل كان بالإمكان أن ينزل أيّ مفاوض بما فيهم الوالي نفسه، ويخرج للقادم الغريب بحمايته وحرسه، ويكلّم القادم المسالم الذي طرق المدينة خفية وعلى غفلة من أهلها، وليس معه ما يهدّد أو يخيف.

التذكير السابع: عجز النعمان عن تشخيص القادم ومرافقيه؟

يبقى السؤال الحائر ينتظر الجواب، لقد كان النعمان يعرف عُبيد القرود، وهو يعرف أيضاً سيّد الشهداء ؑ، ويعرف أذنان الأول، وحواري الإمام ؑ، وقد دنا ابن مرجانة وتدلى النعمان فعرفه، أو أنّه تكلم فعرفوه، فكيف استعجل الوالي المتأني الذي يحبّ العافية، ويُعرف بالمسألة والتمهّل، فناشده ولم يستجلب ولو للحظة القادم ومرافقيه، فهو بإمكانه أن يميّز وجوه أهل البصرة، وليس فيهم من تنكّر، ويستطيع أن يعرف مسلم بن عمرو الباهلي، وهو لم يتنكّر، فإن كان الجند والحرس والناس والسفلة لا يعرفونهم، فإنّ النعمان يعرفهم جيّداً، ويقوى على التمييز بينهم وبين حواري سيّد الشهداء ؑ.

الإشارة الخامسة: كلام عُبيد القُرود

«افتح لا فتحت»^(١)، «فقد طال ليلك»^(٢).. «لقد طال نومك يا نعيم»^(٣).. «افتح الباب لعنك الله»^(٤).. «افتح، لا فتحت»^(٥).. «افتحوا، لا بارك الله فيكم، ولاكثر في أمثالكم»^(٦).

هذه هي كلمات ابن مرجانة وفق المصادر التي روت الحدث، ويبدو ما فيها من التغطرس والجبروت والطغيان والتهديد والغلاظة والجفاء والتعنت والكبرياء الفارغة واللسان المقذع والاستعلاء والعتوّ، ما يغني عن تكلف التعرّض لها والتعليق عليها.

الإشارة السادسة: كيف شخّصه النعمان

لقد مرّ معنا قبل قليل كيف عرف السفلة أو الناس الذين تجمهروا حول ابن الأئمة الفاجرة، والآن نقرأ النصوص التي توفّرت على ذكر مشهد

(١) الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسلية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

(٦) الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

وقوفه على باب القصور وما دار بينه وبين النعمان، لنعرف كيف تسنى للنعمان ومن معه أن يشخصوا عبيد القروذ فيدخلونه القصر، وقد اختلفت النصوص في رسم هذا المشهد:

الرسم الأول: عرفه الناس فعرفه

أفاد سياق عبارة الطبري ومن تلاه، أنّ إنساناً خلفه سمع كلام ابن مرجانة وكان خلفه، فتكفّى إلى القوم وأخبرهم أنّه ابن مرجانة، وأقسم على ذلك وهم ينكرون عليه ذلك، ولكن النعمان فتح له فدخل^(١)، وروى ذلك المفيد وابن الأثير والنويري، حرفاً بحرف، ولم يذكروا تنكر القوم وإصرارهم على أنّه الحسين عليه السلام^(٢).

وقال الخوارزمي، ابن أبي طالب: «فسمعها جماعة، فقالوا: ابن مرجانة والله، ففتحوا الباب»^(٣). وهؤلاء جميعاً يؤكّدون أنّ ثمة من شخصه قبل النعمان ومن معه، وأنّ النعمان اعتمد على هذا التشخيص وفتح له الباب.

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليية المجالس لابن أبي طالب: ٢ / ١٨٠.

الرسم الثاني: حسر اللثام فعرفه

أفاد المسعودي أنَّ ابن الأَمة الفاجرة حسر اللثام عن فيه، فعرفه النعمان، ففتح له ^(١).

يعني أَنه رآه من فوق شرف القصر - حسب الفرض - وشخصه بنفسه بعد أن حسر اللثيم اللثام عن فيه..

الرسم الثالث: عرفه من صوته

أفاد ابن الصَّبَّاح والشبلنجي أَنَّ عُبيد القُرود صاح بالنعمان وصحبه، فعرفوا صوته وفتحوا الباب ^(٢)، والفرق عن الرسم الأول أَنَّ الرسم الأول ينسب معرفته بصوته لإنسان أو لجماعة ممَّن كانوا بالقرب منه على الأرض، فيما نرى هنا أَنَّ النعمان وصحبه عرفوا صوته وشخصه بذلك.

الرسم الرابع: عرفه بعد أن دخل

ومن عجيب النقل ما رواه ابن كثير الذي روى كلام عُبيد القُرود، وأكَّد أَنَّ النعمان سمعه وفتح له وهو يظنُّه الحسين عليه السلام!! ثُمَّ تحقَّق أَنَّهُ عبيد الله فأسقط في يده، فبعد أن واجهه وجهاً لوجه عرفه ^(٣)!

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦.

(٢) الفصول المهمة لابن الصَّبَّاح: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣.

الرسم الخامس: علم به

أجمل الطبرسي في بيان ذلك فقال: «حتى علم أنه عبيد الله بن زياد، ففتح له الباب»^(١)، أما كيف عرفه وعلم به، فهذا ما لم يتعرّض له الطبرسي.

فإن كان المشهد كما يروون فليكن هذا الوجه، فقد عرفه كيف كان! لأننا لا نريد الخوض في مناقشة ذلك بالتفصيل، وربما كفانا ما ذكرناه من مناقشات في غير موضع من هذا البحث عند التعرّض لهذه الحكاية.

مبادرته بعد وصوله

رسمت المصادر صوراً لما بادر إليه ابن الأئمة الفاجرة بعد وصوله إلى الكوفة، وقد أتينا على ذكر المكان الأول الذي قصده اللعين تحت عنوان «إلى أين توجه ابن زياد»، فلا نعيد هنا:

الصورة الأولى: دخوله القصر

اكتفت أكثر المصادر بذكر دخوله إلى القصر بعد أن وصله، ولم تذكر حدثاً آخر وقع تلك الليلة^(٢)، وصرح مثل السيد ابن طاووس أنه بات

(١) إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٣٣٥. جمل من أنساب الأشراف
←

ليلتته تلك ثمّ بادري إلى جمع الناس وخطب فيه غداة غد^(١).

الصورة الثانية: دخل القصر ثمّ خطب

اتفق الدينوري والخوازمي وابن أبي طالب وغيرهم مع المصادر الأخرى في مبادرته الأولى ودخوله القصر غير أنّهم أفادوا أنّ ابن الأمانة الفاجرة أمر ونودي بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج ابن زياد

للبلاذري: ٣٤٢ / ٢. تاريخ الطبري: ٣٤٨ / ٥، الأمالي للشجري: ١ / ١٩٠، تهذيب الكمال للمزي: ٤٢٣ / ٦، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٢٠٦، تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢ / ٣٤٩، الإصابة لابن حجر: ١ / ٣٣٢، ابن بدران ما استدركه على ابن عساكر، ٤ / ٣٣٦، المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٥. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٦٥. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٦. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٧. مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ٦٣. الإرشاد للمفيد: ٢ / ٤٠. تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٢. إعلام الوري للطبرسي: ٢٢٤. المناقب لابن شهر آشوب: ٤ / ٩١. الكامل لابن الأثير: ٣ / ٢٦٨، نهاية الأرب للنويري: ٢٠ / ٣٨٩. مثير الأحزان لابن نما: ١٤، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٤٠، العوالم للبحراني: ١٧ / ١٨٩. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٣٨. اللهوف لابن طاووس: ٤٤. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٣. الفصول المهمة لابن الصبّاغ: ١٨٤، نور الأبصار للشبلنجي: ٢٥٧. الحقائق الوردية للمحلي: ١ / ١١٥.

(١) اللهوف لابن طاووس: ٤٤.

وقام خطيباً^(١).

فهو بادراً إلى الإعلان عن إمرته وتوليّه رقابهم ووعدهم وتوعدهم منذ الليلة الأولى، فبعد أن دخل القصر سرعان ما خرج إلى الناس وخطبهم، فكان جمع الناس وخطبته أول بادرة صدرت منه في الكوفة.

الصورة الثالثة: صلى في المسجد ثم بنى بزوجه

ذكر ابن سعد ومن تلاه أنّ عُبيد القُرود توجّه من ساعته إلى المسجد فصلى ركعتين ثمّ صعد المنبر وكشف عن وجهه، فلمّا رآه الناس مال بعضهم على بعض وأقشعوا عنه، واكتفى بذلك، ولم يذكر أنّه خطبهم ساعتئذٍ.

زواجه وبنائه بامرأته

لكنّه أضاف حدثاً تفرد به - حسب فحصنا - إذ قال: «وبنى عبيد الله بن زياد تلك الليلة بأهله أمّ نافع بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط»^(٢).

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١ / ١٩٩، تسليّة المجالس لابن أبي طالب: ٢ /

١٨٠ /

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات لابن سعد: ٦٥، ابن عساكر، مختصر

ابن منظور، ٢٧ / ٥٨.

ولاندري إن كان قد حمل أم نافع هذه معه من البصرة، وبنى بها في الكوفة، أو أنها كانت في الكوفة، فإن كانت في الكوفة، فهذا يعني أن ثمة تواصلًا كان بينه وبين أهلها، وكان قد أخبرهم بقدومه لثبتي له..

خطبة ابن زياد

ذكرت المصادر لعُبَيد القُرد خطبة وجملة من الإجراءات التعسفية الصارمة الظالمة التي تحكي تجبره وطغيانه وتكبره على الله، واستهائته بالدماء والأعراض، وتتم عن طبيعته الوحشية الشرسة، وتفضح أصله النتن المتكوّن من مزيج سيلانات الزناة والسكرارى من رواد خيام الدعارة، ومغرسه العفن في أحشاء العهر والرذيلة المبتذلة «مرجانة»، وقد أتينا على أكثر قراراته وتفصيل فقرات خطابه في ثنايا دراساتنا عن حياة المولى الغريب عليه السلام خصوصاً في كتاب «معركة القصر» و«بين المسجد الأعظم ودار طوعة».. فلا نعيد هنا، وربما وفّقنا الله لجمع تلك الشّتات المتفرّقة في الدراسات السابقة وتتميمها، إن أمهلنا الأجل ومدّ الله في أعمارنا وأصلح بالنا وحالنا، وشاء لنا ذلك ببركة المولى الغريب عليه السلام، وسيّده وسيّدنا الإمام سيّد الشهداء عليه السلام.. إنّه ولي التوفيق..

محتويات الكتاب

• مسلم بن عقيل عليه السلام دخول الكوفة •

المقدمة.....	٧
رفقاؤه عليه السلام	١١
المتون.....	١١
الرسل الذين وافوا سيّد الشهداء عليه السلام في مكّة.....	١٤
الأول: عبد الله بن سبيع (سبع) الهمداني.....	١٥
الثاني: عبد الله بن مسمع.....	١٦
الثالث: عبيد الله بن مسلم الهمداني.....	١٧
الرابع: عبد الله بن وال.....	١٨
الخامس: عبد الله بن وداك السلمي.....	١٩
السادس: أبو عبد الله الجدلي.....	١٩

- ١٩..... السابع: قيس بن مسهر الصيدأوي
- ٢٠..... الثامن: عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي
- ٢٢..... التاسع: عمارة بن عبد الله السلولي
- ٢٣..... العاشر: هاني بن هاني السبيعي
- ٢٤..... الحادي عشر: سعيد بن عبد الله الحنفي
- ٢٥..... الثاني عشر: عمر بن نافذ التميمي
- ٢٥..... جمع الأسماء
- ٢٥..... أعداد عامة
- ٢٧..... النتيجة
- ٢٧..... المجموعة الأولى: المؤكدة
- ٢٨..... المجموعة الثانية: الخدم
- ٢٩..... المجموعة الثالثة: العدد العام
- ٣١..... تنبيهان
- ٣١..... التنبيه الأول: تكذيب التطير
- ٣١..... التنبيه الثاني: تأكيد مهمة السفارة
- ٣٣..... تاريخ الوصول إلى الكوفة
- ٣٤..... ساعة الدخول
- ٣٧..... كيف دخل؟
- ٣٩..... العبارة الأولى: لم يذكروا التحقي والاستتار

٤٢.....	العبارة الثانية: دخل مستخفياً!!!
٤٣.....	معنى التَخَفِّي!
٤٦.....	فهم آخر للاستخفاء.....
٤٧.....	أين نزل؟.....
٤٩.....	القسم الأول: نصوص لم تذكر محل نزوله.....
٥١.....	القسم الثاني: حدّدت موضعاً.....
٥١.....	الموضع الأول: النزول عند هاني بن عروة.....
٥٤.....	الموضع الثاني: النزول في دار المختار.....
٥٥.....	الموضع الثالث: النزول في دار ابن عوسجة.....
٥٦.....	الموضع الرابع: سالم بن المسيّب.....
٥٧.....	التحوّل من دار إلى دار.....
٥٧.....	الصف الأول: قبل قدوم ابن زياد.....
٥٩.....	الصف الثاني: حين قدوم ابن زياد.....
٦١.....	الصف الثالث: بعد قدوم ابن زياد.....
٦١.....	أحدهما: المسعودي.....
٦٢.....	الأخرى: ابن شهر آشوب.....
٦٣.....	الصف الرابع: بعد تهديد ابن زياد.....
٦٣.....	القسم الأول: لا تذكر التهديد.....
٦٤.....	القسم الثاني: تذكر التهديد.....

- ٨٥..... الصنف الخامس: بعد الخروج إلى القصر
- ٨٩..... النتيجة.
- ٨٩..... النتيجة الأولى: دارهاني
- ٩٠..... المرجّح الأول: قدم المصادر
- ٩٠..... المرجّح الثاني: أمرسيّد الشهداء ؑ
- ٩٢..... المرجّح الثالث: ما هي ضرورة التنقل
- ٩٣..... النتيجة الثانية: النزول عند ابن عوسجة والمختاروهاني
- ٩٥..... أسباب التحوّل
- ٩٦..... التصرّو الأول: دور في الطريق
- ٩٧..... التصرّو الثاني: الإلحاق
- ٩٧..... التصرّو الثالث: أسباب تتعلّق بالمكان
- ٩٨..... التصرّو الرابع: اقتران حدثين
- ٩٩..... التصرّو الخامس: علم المولى ؑ بدور الرجلين
- ١٠٠..... التصرّو السادس: الدواعي الأمنية
- ١٠١..... النتيجة
- ١٠٤..... ملاحظة هامّة تؤثر في استخلاص النتيجة
- ١٠٦..... قد يقال:
- ١٠٦..... أولاً: تفسير بين التفاسير
- ١٠٧..... ثانياً: تفسير لا تصريح

- ثالثاً: الأمر الإلهي والظروف الخاصة ١٠٨
- رابعاً: الفرق بين المواجهة والتوقي ١٠٩
- خامساً: التحيز إلى فئة ١١٠
- وقت دخول المولى الغريب عليه السلام دارهاني ١١٣
- كتاب سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة ١١٧
- إشارة إلى كتب القوم ورسلم ١١٩
- الفريق الأول: الانتهازيون والمنافقون ١١٩
- الفريق الثاني: الشيعة والمؤمنون ١٢١
- مقارنة بين الفريقين ١٢٣
- الفريق الثالث: التائهون الضالّون ١٢٥
- حامل الكتاب ١٢٩
- الطائفة الأولى: بيد الرسل ١٢٩
- الطائفة الثانية: بيد المولى الغريب عليه السلام ١٣٠
- الطائفة الثالثة: عدم التصريح بأحد ١٣٠
- معالجة أقوال الطوائف الثلاث ١٣٠
- متن الكتاب ١٣٣
- النسخة الأولى: المشهورة ١٣٤
- اللفظ الأول: الدينوري ومَن بعده ١٣٤
- اللفظ الثاني: الطبري ومَن تلاه ١٣٧

- اللفظ الثالث: المقتضية..... ١٤٢
- تنبيه هام:..... ١٤٥
- التفريق بين كتب القوم ومطالبهم وردود سيّد الشهداء عليه السلام..... ١٤٥
- مضامين الكتاب..... ١٤٧
- المضمون الأول: المخاطب بالكتاب..... ١٤٧
- المضمون الثاني: التمييز بين المخاطبين..... ١٤٨
- المستوى الأول: التمييز..... ١٤٨
- المستوى الثاني: إمكان اختصاص الخطاب بالمؤمنين..... ١٤٩
- المستوى الثالث: التمييز بين المسلمين والشيعة والمؤمنين..... ١٥٠
- المضمون الثالث: إخبارهم بوصول الكتب وخلاصتها..... ١٥١
- المحتوى الأول: كتاب الدينوري ومن تبعه..... ١٥١
- المحتوى الثاني: كتاب الطبري ومن تبعه..... ١٥٢
- المضمون الرابع: إخبارهم بإرسال المولى الغريب عليه السلام..... ١٥٦
- الإشارة الأولى: الاتفاق على مضمون واحد..... ١٥٧
- الإشارة الثانية: مبادرة أهل الكوفة..... ١٥٧
- الإشارة الثالثة: شروط سيّد الشهداء عليه السلام لقبول الدعوة..... ١٥٩
- الإشارة الرابعة: من دلالات الاشتراط..... ١٦٠
- الإشارة الخامسة: مهمّة المولى الغريب عليه السلام..... ١٦٢
- الإشارة السادسة: وعد سيّد الشهداء عليه السلام..... ١٦٢

- المضمون الخامس: صفات الإمام ١٦٤
- النكتة الأولى: تقدّم الطبري ١٦٥
- النكتة الثانية: جهل القوم بالإمام ١٦٥
- النكتة الثالثة: الإمام لم يتحدّث عن نفسه ١٦٧
- النكتة الرابعة: صفات الإمام ١٦٨
- النسخة الثانية: نسخة ابن أعثم ١٧٦
- أين قرأ كتاب سيّد الشهداء عليه السلام؟ ١٧٩
- من الذي قرأ الكتاب؟ ١٨١
- النكتة الأولى: مباشرة القراءة ١٨١
- النكتة الثانية: الإعلان عن السفارة ١٨٢
- النكتة الثالثة: التوجيه للإمام مباشرة ١٨٢
- النكتة الرابعة: الدعوة للإمام عليه السلام ١٨٢
- النكتة الخامسة: القيام بالمهمّة وإقامة الحجّة ١٨٣
- هل كان محلّ منزله سرّياً مخفياً؟! ١٨٥
- التنويه الأول: طبيعة المهمّة ١٨٦
- التنويه الثاني: انحصار رؤوس الشيعة ١٨٧
- التنويه الثالث: مبايعة الأعداء الضخمة ١٨٧
- التنويه الرابع: الوصيّة بالكتمان واللفظ ١٨٩
- التنويه الخامس: أمانة المولى الغريب عليه السلام ودقّته في التنفيذ ١٩٠

- أصناف مَن اختلف إلى المولى الغريب عليه السلام ١٩١
- العنوان الأول: اختلاف أهل الكوفة ١٩١
- الشكل الأول: غير صريح وفيه دلالة ١٩١
- الشكل الثاني: التصريح ١٩٢
- الشكل الثالث: الناس ١٩٢
- العنوان الثاني: اختلاف الشيعة إليه! ١٩٣
- قراءة الكتاب على الناس وردود أفعالهم ١٩٧
- الصورة الأولى: لم تذكر قراءة الكتاب ١٩٧
- الصورة الثانية: ذكرت القراءة ولم تذكر ردود الأفعال ١٩٨
- الصورة الثالثة: البكاء ١٩٩
- الصورة الرابعة: بكاء الجميع والوعد بالنصرة والقتال ١٩٩
- الصورة الخامسة: تداخل السرور ٢٠٠
- الصورة السادسة: التفريق بين العام والخاص ٢٠١
- موقف الناس! ٢٠١
- التصوير الأول: تأثير الكتاب والقارئ ٢٠٢
- التصوير الثاني: شوقاً للقدوم ٢٠٣
- التصوير الثالث: حزنًا عليه ٢٠٤
- التصوير الرابع: دموع الفرح بالتوفيق ٢٠٤
- التصوير الخامس: فورة الناس ٢٠٤

٢٠٦	موقف الشيعة السعداء
٢٠٨	التلميح الأول: أسماء الشيعة
٢٠٩	التلميح الثاني: كلام العابس
٢٢٠	التلميح الثالث: موقف حبيب
٢٢٧	التلميح الرابع: موقف الحنفي
٢٢٨	التلميح الخامس: موقف محمد بن بشر
٢٣٧	لقتات
٢٤٠	رواية ابن أعثم: تبايعت الشيعة على كلام هذين الرجلين!
٢٤١	الاحتمال الأول: أن يكون الحضور شيعة فقط
٢٤٢	الاحتمال الثاني: الشيعة بالمعنى اللغوي
٢٤٣	الاحتمال الثالث: الشيعة ضمن الحضور
٢٤٥	موقف البشير بن النعمان
٢٤٥	ترجمة إجمالية
٢٥١	أمير المؤمنين عليه السلام يطرده ويكره مجاورته
٢٥٣	محاربته وعداوته لأمير المؤمنين عليه السلام
٢٦١	موقفه في صفين
٢٦٤	في صفين أيضاً
	يرفض أن يعطي الكوفيين زيادتهم في العطاء لهواهم مع أمير
٢٦٨	المؤمنين علي عليه السلام

- ٢٧٠.....مبعوث يزيد إلى ابن الزبير.
- ٢٧١.....مبعوث يزيد إلى أهل المدينة
- ٢٧٢.....انتدابه لحمل السبايا إلى المدينة
- ٢٧٥.....ما وليه النعمان
- ٢٧٦.....ولاية الكوفة وسببها
- ٢٨١.....سبعة أشهر في الكوفة
- ٢٨٣.....بيعته لابن الزبير
- ٢٨٤.....مقتله
- ٢٨٧.....بنت النعمان
- ٢٩٠.....الخلاصة
- ٢٩١.....مواقف النعمان في الكوفة
- ٢٩١.....الموقف الأول: هواه مع سيّد الشهداء عليه السلام
- ٢٩٣.....الملاحظة الأولى: وقت التصريح
- ٢٩٣.....الملاحظة الثانية: المخاطب
- ٢٩٤.....الملاحظة الثالثة: تسجيل موقف!
- ٢٩٥.....الملاحظة الرابعة: جحدوا بها
- ٢٩٥.....الملاحظة الخامسة: تسخيره لقول الحق
- ٢٩٦.....الموقف الثاني: المسالمة
- ٢٩٦.....المتون

٢٩٨	النقطة الأولى: حبّ العافية!
٢٩٩	النقطة الثانية: معالجته للموقف
٢٩٩	النقطة الثالثة: اتباع نهج معاوية!
٣٠١	النقطة الرابعة: العامل الغيبي
٣٠٢	الموقف الثالث: مع كلاب الأمويين
٣٠٢	المتون
٣٠٨	قضية في غاية الأهميّة
٣١٠	الإفادة الأولى: المعارضون على النعمان
٣١٢	الإفادة الثانية: مؤدّيات الاعتراض
٣١٣	الإفادة الثالثة: جواب النعمان
٣١٧	الموقف الرابع: التغافل
٣١٧	الموقف الخامس: خطبة النعمان
٣١٧	المتون
٣٢٠	المضمون الأول: إقحام المؤرّخ تعليقه!
٣٢١	المضمون الثاني: تشخيص النعمان
٣٢٢	المضمون الثالث: التحذير من الفتنة..
٣٢٣	المضمون الرابع: أنتم في أمان ما دمتم في أمان
٣٢٧	المضمون الخامس: التهديد بالقتال
٣٢٨	المضمون الخامس: برواية الطريحي

- ٣٢٩.....إبلاغ يزيد وتحريضه
- ٣٢٩ المتون
- ٣٣٧.....أسماء من كتبوا
- ٣٣٨.....الذنب الأول: عمر بن سعد
- ٣٣٩.....الذنب الثاني: محمد بن الأشعث الكندي
- ٣٤٠.....الذنب الثالث: مسلم بن سعيد الحضرمي
- ٣٤٠.....الذنب الرابع: عبد الله بن مسلم
- ٣٤١.....الذنب الخامس: عبد الله بن شعبة
- ٣٤١.....الذنب السادس: عمارة
- ٣٤٣.....الذنب السابع: رجل يهوى يزيد
- ٣٤٣.....الذنب الثامن: النعمان بن بشير
- ٣٤٤.....الذنب التاسع: جماعة من العثمانية
- ٣٤٤.....الخلاصة
- ٣٤٥.....مضمون الكتب
- ٣٤٦.....المؤدى الأول: ما يخص المولى الغريب عليه السلام
- ٣٤٨.....المؤدى الثاني: ما يخص النعمان
- ٣٥٠.....المؤدى الثالث: تقديم الحلول
- ٣٥٢.....المؤدى الرابع: الاستغناء عن القوات
- ٣٥٣.....يزيد يضم الكوفة إلى ولاية ابن زياد

المتون	٣٥٣
بواعث ضمّ الكوفة إلى ابن زياد	٣٧٥
الباعث الأول: كان قد ولّاه من قبل	٣٧٥
الباعث الثاني: سماعه بقصد الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة	٣٧٦
الباعث الثالث: إجراء احترازي	٣٧٨
الباعث الرابع: تفضيل النعمان للإمام الحسين عليه السلام على يزيد	٣٨١
الباعث الخامس: لما ورده من كتاب عيون في الكوفة	٣٨٣
الخلاصة:	٣٨٤
مستشار يزيد!	٣٨٥
المستشار الأول: رأي القرد المجذور	٣٨٥
المستشار الثاني: أهل الشام	٣٨٨
المستشار الثالث: سرجون	٣٩٠
الأول: إعداد معاوية	٣٩٢
الثاني: رأي سرجون!	٣٩٥
حامل كتاب يزيد	٤٠٠
محتويات كتاب يزيد	٤٠٣
الموضوع الأول: سيّد الشهداء عليه السلام	٤٠٣
الموضوع الثاني: المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام	٤١٢
الموضوع الثالث: سيّد الشهداء والمولى الغريب مسلم عليه السلام ووضع	

- ٤٢٢ الكوفة
- ٤٣٢..... تاريخ كتابة العهد
- ٤٣٥..... خروج ابن الأمة الفاجرة من البصرة
- ٤٣٦..... متى خرج ابن زياد من البصرة؟
- ٤٣٧ عدد من أخرجهم معه
- ٤٣٧ العدد الأول: فاقد للتحديد
- ٤٤٠..... العدد الثاني: فيه تحديد
- ٤٤٢ المحاصل
- ٤٤٤..... أسماء من أخرجهم معه
- ٤٤٤..... الأول: المنذر بن الجارود
- ٤٤٧..... الثاني: شريك بن الأعور
- ٤٤٩ الثالث: مسلم بن عمرو الباهلي
- ٤٥٠..... الرابع: عبد الله بن الحارث
- ٤٥٣..... الخامس: حصين بن تميم
- ٤٥٤ السادس: مهرا
- ٤٥٤ السابع: الحشم والغلمان
- ٤٥٥ الثامن: أهل بيت الجرو
- ٤٥٦..... أحداث في الطريق
- ٤٥٧..... الإفادة الأولى: مكان تمارض القوم

- الإفادة الثانية: مَنْ سقط أولاً..... ٤٥٧
- الإفادة الثالثة: سبب التمارض والتساقط..... ٤٥٨
- مناقشة..... ٤٦٠
- دخول ابن زياد الكوفة..... ٤٦٩
- المتون..... ٤٦٩
- متى دخل ابن زياد الكوفة؟..... ٤٩٠
- الوقت الأول: عدم التحديد مطلقاً..... ٤٩١
- الوقت الثاني: قبل سيّد الشهداء عليه السلام..... ٤٩٢
- الوقت الثالث: دخوله في الليل..... ٤٩٣
- الوقت الرابع: وقت يقوم فيه السوق..... ٤٩٣
- الوقت الخامس: يوم الجمعة ظهراً..... ٤٩٤
- كيف دخل ابن زياد..... ٤٩٥
- سبب تنكره؟..... ٤٩٦
- من أيّ جهة دخل الكوفة..... ٥٠٢
- استقباله..... ٥٠٣
- المتون..... ٥٠٣
- موقف الناس!..... ٥١٥
- من الذي توهّم؟..... ٥١٥
- وقفات سريعة..... ٥٢٣

- الوقف الأول: تعدّد العناوين ٥٢٣
- الوقف الثانية: الاتفاق على التوهم ٥٢٤
- الوقف الثالثة: الدخول ليلاً! ٥٢٤
- الوقف الرابعة: التأكد من أنه الحسين عليه السلام! ٥٢٥
- الوقف الخامسة: علّة التوقع ٥٢٦
- الوقف السادسة: هل للتوقع مسوّغات؟ ٥٢٧
- الوقف السابعة: تقارب الصفات ٥٢٨
- الوقف الثامنة: وجوه أهل البصرة ٥٣١
- الوقف التاسعة: توهم الجميع ٥٣١
- الوقف التاسعة: طول فترة التوهم ٥٣٣
- الوقف العاشرة: أسباب التوهم ٥٣٣
- السبب الأول: ما له علاقة بابن الأمة الفاجرة ٥٣٤
- السبب الثاني: ما له علاقة بسيد الشهداء عليه السلام ٥٣٤
- السبب الثالث: وقت الدخول ٥٣٤
- السبب الرابع: ما له علاقة بنفس المتوهمين ٥٣٥
- الوقف الحادية عشرة: علامات الخوف ٥٣٥
- الوقف الثانية عشرة: معالجة الموقف ٥٣٨
- خروج الناس لاستقباله! ٥٣٩
- لفتة ٥٣٩

- ٥٤٠..... صور من الاستقبال
- ٥٤٢..... محاربة جيش الشيعة له وصدّه عن الدخول!
- ٥٤٦..... موقف ابن زياد من الناس
- ٥٤٩..... إلى أين توجه ابن زياد؟
- ٥٤٩..... القول الأول: المسجد
- ٥٥٠..... القول الثاني: القصر
- ٥٥١..... القول الثالث: القصر ثمّ المسجد
- ٥٥٣..... كيف شخّص الناس ابن زياد؟
- ٥٥٣..... القسم الأول: لم ترو المشهد
- ٥٥٣..... القسم الثاني: أسفر فعرف نفسه
- ٥٥٥..... القسم الثالث: عرفه مسلم بن عمرو
- ٥٥٩..... القسم الرابع: عرفوه بعد أن تكلم عند القصر
- ٥٦٠..... القسم الخامس: جمع بين القسمين
- ٥٦١..... القسم السادس: عرفوه من دخوله القصر
- ٥٦١..... القسم السابع: لما عرفوه
- ٥٦٢..... موقف الناس بعد أن عرفوا ابن زياد
- ٥٦٢..... الصورة الأولى: التفرّق والانفصاض
- ٥٦٣..... الصورة الثانية: التفرّق بعد المفاجأة
- ٥٦٣..... الصورة الثالثة: تفرّقوا خائفين

- ٥٦٤..... الصورة الرابعة: تفرّقوا خائبين
- ٥٦٤..... الصورة الخامسة: تفرّقوا مهاجمين
- ٥٦٥..... جمع الصور
- ٥٦٥..... موقف النعمان بن بشير
- ٥٦٩..... الإشارة الأولى: مورد اتفاق المصادر
- ٥٧١..... الإشارة الثانية: كيف تخاطبا
- ٥٧٢..... الإشارة الثالثة: من الذي بدأ الخطاب؟
- ٥٧٣..... الإشارة الرابعة: كلام النعمان
- ٥٨٣..... الإشارة الخامسة: كلام عُبيد القرود
- ٥٨٣..... الإشارة السادسة: كيف شخّصه النعمان
- ٥٨٦..... مبادرته بعد وصوله
- ٥٨٦..... الصورة الأولى: دخوله القصر
- ٥٨٧..... الصورة الثانية: دخل القصر ثمّ خطب
- ٥٨٨..... الصورة الثالثة: صلى في المسجد ثمّ بنى بزوجه
- ٥٨٩..... خطبة ابن زياد

